# كتاب التسهيل
## لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

**محمد بن أحمد بن جزي الكلبي**

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

---

### الجزء الثالث

---

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

---

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

---

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

---

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

# كتاب التسهيل

## لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثالث

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عني بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية

وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة مريم

مكية إلا آيتى ٥٨ و ٧١ فمدنيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ كٓهيعٓصٓ ۞ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۞ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۞ قَالَ
رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن
وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۞
يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ

## سورة مريم

(كهيعص) قد تكلمنا فى أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل فى هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادى، والياء من على، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان على بن أبى طالب يقول فى دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى، أو ينادى بالأسماء التى اقتطعت منها هذه الحروف (ذكر) تقديره هذا ذكر (عبده زكريا) وصفه بالعبودية تشريفاً له وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة، فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل هو مفعول بفعل مضمر، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له (إذ نادى ربه) يعنى دعاه (نداء خفيا) أخفاه لأنه يسمع الخفى كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد (وهن العظم) أى ضعف (واشتعل) استعارة للشيب من اشتعال النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى قد سعدت بدعائى لك فيما تقدم، فاستجب لى فى هذا فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه (وإنى خفت الموالى) يعنى الأقارب قيل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضيعوا الدين من بعده (من ورائى) أى من بعدى (عاقرا) أى عقيما (فهب لى من لدنك وليا) يعنى وارثا يرثنى، قيل يعنى وراثة المال، وقيل وراثة العلم والنبوة، وهو أرجح لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: نحن معاشر الأنبياء لا نورث وكذلك (يرث من آل يعقوب) العلم والنبوة، وقيل الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح (رضيا) أى مرضيا فهو فعيل بمعنى مفعول (سميا) يعنى من سمى باسمه، وقيل مثيلا ونظيرا، والأول أحسن هنا (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولا لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجب منه

امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۚ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۚ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۚ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن
لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۚ قَالَ إِنَّمَا أَنَا
رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۚ قَالَ
كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۚ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ

---

لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو فى سن من يرجوه ، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ ( عتيا ) قيل يبسا فى الأعضاء والمفاصل ، وقيل مبالغة فى الكبر ( كذلك ) الكاف فى موضع رفع أى الأمر كذلك تصديقاله فيماذكر من كبره وعقم امرأته ، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ قال ربك ، وقيل إن الكاف فى موضع نصب بقال ، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره : هو علىّ هين (اجعل لى آية) أى علامة على حمل امرأته (سويا) أى سليما غير أخرس وانتصابه على الحال من الضمير فى تكلم ، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس ، وقيل إن سويا يرجع إلى الليالى أى مستويات ( فأوحى إليهم ) أى أشار ، وقيل كتبه فى التراب إذ كان لا يقدر على الكلام (أن سبحوا) قيل معناه صلوا ، والسبحة فى اللغة الصلاة ، وقيل قولوا سبحان الله (يايحى) التقدير قال الله ليحي بعد ولادته (خذ الكتاب) يعنى التوراة (بقوة) أى فى العلم به والعمل به (وآتيناه الحكم صبيا) قيل الحكم معرفة الأحكام ، وقيل الحكمة ، وقيل النبوة (وحنانا) قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لا أدرى ما الحنان (وزكاة) أى طهارة ، وقيل ثناء كما يزكى الشاهد (واذكر فى الكتاب مريم) خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القرآن (إذ انتبذت من أهلها) أى اعتزلت منهم وانفردت عنهم (مكانا شرقيا) أى إلى جهة الشرق ولذلك يصلى النصارى إلى المشرق ( أرسلنا إليها روحنا ) يعنى جبريل ، وقيل عيسى ، والأول هو الصحيح لأن جبريل هو الذى تمثل لها باتفاق (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) لما رأت الملك الذى تمثل لها فى صورة البشر ، قد دخل عليها خافت أن يكون من بنى آدم ، فقالت له هذا الكلام ، ومعناه إن كنت ممن يتقى الله فابعد عنى ، فإنى أعوذ بالله منك ، وقيل إن تقيا اسم رجل معروف بالشر عندهم وهذا ضعيف وبعيد (لأهب لك غلاما زكيا) الغلام الزكىّ هو عيسى عليه السلام ، وقرئ ليهب بالياء ، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى ، وقرئ بهمزة التكلم ، وهو جبريل ، وإنما نسب الهبة إلى نفسه ، لأنه هو الذى أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى ( ولم أك بغيا ) البغىّ هى المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغىّ فعول ( ولنجعله آية ) الضمير للولد واللام

مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ

---

تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك (فحملته) يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر ، وقال ابن عباس حملته وولدته في ساعة ( مكانا قصيا ) أي بعيدا ، وإنما بعدت حياء من قومها أن يظنوا بها الشر ( فأجاءها ) معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمزة التعدية ( المخاض) أي النفاس (إلى جذع النخلة ) روى أنها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس (قالت ياليتني مت) إنما تمنت الموت خوفا من إنكار قومها وظنهم بها الشر ووقوعهم في دمها وتمني الموت جائز في مثل هذا ، وليس هذا من تمني الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهي عنه (وكنت نسيا) النسي الشيء الحقير الذي لا يؤبه له ، ويقال بفتح النون وكسرها (فناداها من تحتها) قرئ من بفتح الميم وكسرها ، وقد اختلف على كلتا القراءتين ، هل هو جبريل أو عيسى ، وعلى أنه جبريل قيل إنه كان تحتها كالقابلة ، وقيل كان في مكان أسفل من مكانها (أن لا تحزني) تفسير للنداء ، فأن مفسرة (سريا) جدولا وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم فسره بذلك ، وقيل يعني عيسى فإن السري الرجل الكريم (وهزي إليك بجذع النخلة) كان جذعا يابسا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا ، وقد استدل بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق ، لأن الله أمر مريم بهز النخلة ، والباء في بجذع زائدة كقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (تساقط عليك رطبا جنيا) الفاعل بتساقط النخلة ، وقرئ بالياء والفاعل على ذلك الجذع ، ورطبا تمييز والجني معناه الذي طاب وصلح ، لأن يجتنى (فكلي واشربي ) أي كلي من الرطب ، واشربي من ماء الجدول ، وهو السري ( وقري عينا ) أي طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم أو من تيسير المأكول والمشروب (فإما ترين) هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد ، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد (نذرت للرحمن صوما) أي صمتا عن الكلام ، وقيل يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت ، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها ، ولأن عيسى تكلم عنها فإخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل بالإشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت (فأتت به قومها) لما رأت الآيات : علمت أن الله سيبين عذرها فجاءت به من المكان القصي إلى قومها ( شيئا فريا ) أي شنيعا وهو من الفرية (يا أخت هارون) كان هارون عابدا من بني إسرائيل شبهت به مريم في كثرة العبادة فقيل لها أخته بمعنى أنها شبهه ، وقيل كان أخاها من أبيها ، وكان رجلا صالحا ، وقيل هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذريته ، فأخت على هذا كقولك أخو بني فلان أي واحد منهم ، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة ، فإن

الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۞ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

---

بين زمانهما دهراً طويلا (فأشارت إليه) أى إلى ولدها ليتكلم وصمتت هى كما أمرت (كان فى المهد صبيا) كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف ، وقيل المهد هنا حجرها (آتانى الكتاب) يعنى الإنجيل ، أوالتوراة والإنجيل (مباركا) من البركة وقيل نفاعا ، وقيل معلم للخير واللفظ أعم من ذلك (وأوصانى بالصلاة والزكاة) هما المشروعتان ، وقيل الصلاة هنا الدعاء ، والزكاة : التطهير من العيوب (وبرا) معطوف على مباركا ، روى أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو فى المهد ، ثم عاد إلى حالة الأطفال على عادة البشر ، وفى كلامه هذا رد على النصارى ، لأنه اعترف أنه عبد الله ورد على اليهود لقوله : وجعلنى نبيا (والسلام علىّ) أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر فى قصة يحى ، فهو كقولك : رأيت رجلا فأكرمت الرجل ، وقال الزمخشرى : الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلعنة من اتهم مريم كأنه قال السلام كله علىّ لا عليكم ، بل عليكم ضده (قول الحق) بالرفع خبر مبتدإ تقديره هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر ، وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم (فيه يمترون) أى يختلفون فهو من المراء ، أو يشكون فهو من المرية ، والضمير لليهود والنصارى (وأن الله ربى) من كلام عيسى وقرئ بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه ، وبكسرها لابتداء الكلام ، وقيل هو من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، والمعنى يامحمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم وأن الله ربى وربكم والأول أظهر (فاختلف الأحزاب) هذا ابتداء إخبار ، والأحزاب اليهود والنصارى ، لأنهم اختلفوا فى أمر عيسى اختلافا شديدا فكذبه اليهود وعبده النصارى ، والحق خلاف أقوالهم كلها (من بينهم) معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم (من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى ماأسمعهم وماأبصرهم يوم القيامة على أنهم فى الدنيا فى ضلال مبين (يوم الحسرة) هو يوم يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح ثم يقال ياأهل الجنة خلود لاموت وياأهل النار خلود لاموت ، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية ، لا على الظرفية (وهم فى غفلة) يعنى فى الدنيا فهو متعلق بقوله فى ضلال مبين أو بأنذرهم (صديقا) بناء مبالغة من الصدق أو من

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۞ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۞ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَـٰنَ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ۞ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ۞ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۞ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۞ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ۞ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۞ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۞ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

---

التصديق ، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبيّ بعده ، ويحتمل أنه جمع الوصفين (ما لا يسمع ولا يبصر) يعني الأصنام (صراطا سويا) أي قويما (لأرجمنك) قيل يعني الرجم بالحجارة وقيل الشتم (واهجرني مليا) أي حينا طويلا ، وعطف اهجرني على محذوف تقديره احذر رجمي لك (قال سلام عليك) وداع مفارقة ، وقيل مسالمة لا تحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز (سأستغفر لك) وعد وهو الذي أشير إليه بقوله عن موعدة وعدها إياه قال ابن عطية ، معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك ، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز ، وقيل وعده أن يستغفر له مع كفره ، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك ، ويقوي هذا القول قوله واغفر لأبي إنه كان من الضالين ، ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب لأستغفرن لك ما لم أنه عنك (حفيا) أي بارا متلطفا (وأعتزلكم وما تدعون) أي ما تعبدون (إسحاق ويعقوب) هما ابنه وابن ابنه وهبهما الله له عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم (من رحمتنا) النبوة ، وقيل المال والولد ، واللفظ أعم من ذلك لسان صدق يعني الثناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر (مخلصا) بكسر اللام أي أخلص نفسه وأعماله لله وبفتحها أي أخلصه الله للنبوة والتقريب (وكان رسولا نبيا) النبي أعم من الرسول لأن النبي كل من أوحى الله إليه ولا يكون رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة فكل رسول نبيّ وليس كل نبي رسولا (وناديناه) هو تكليم الله له (الطور) وهو الجبل المشهور بالشام (الأيمن) صفة للجانب وكان على يمين موسى حين وقف عليه ويحتمل أن يكون من اليمن (نجيا) النجي فعيل وهو المنفرد بالمناجاة وقيل هو من المناجاة ، والأول أصح (من رحمتنا) من سببية أو للتبعيض وأخاه على الأول مفعول وعلى الثاني بدل (إنه كان صادق الوعد) روي أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه سنة ، وقيل الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، وهذا يدل على قول من قال إن الذبيح هو إسماعيل (إدريس) هو أول نبيّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم ، وهو أول من خط بالقلم ، ونظر في علم النجوم

النَّبِيِّنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا * وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ

---

وخاط الثياب ، وهو من أجداد نوح عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات ، وفى حديث الإسراء وإنه فى السماء الرابعة ، وقيل يعنى رفعة النبوة وتشريف منزلته ، والأول أشهر ورجحه الحديث (أولئك) إشارة إلى كل من ذكر فى هذه السورة من زكريا إلى إدريس (من النبيين) من هنا للبيان ، والتى بعدها للتبعيض (من ذرية آدم) يعنى نوحا وإدريس (وممن حملنا) يعنى إبراهيم (ومن ذرية إبراهيم) يعنى إسماعيل وإسحاق ويعقوب (وإسرائيل) يعنى أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية (بكيا) جمع باك ووزنه فعول (فخلف من بعدهم خلف) يقال فى عقب الخير خلف بفتح اللام وفى عقب الشر خلف بالسكون وهو المعنى هنا واختلف فيمن المراد بذلك ، فقيل النصارى لأنهم خلفوا اليهود ، وقيل كل من كفر وعصى من بعد بنى إسرائيل (أضاعوا الصلوة) قيل تركوها ، وقيل أخرجوها عن أوقاتها (يلقون غيا) الغى الخسران ، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غىّ (إلا من تاب) استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع (بالغيب) أى أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم (مأتيا) وزنه مفعول ، فقيل إنه بمعنى فاعل ، لأن الوعد هو الذى يأتى وقيل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها (لغوا) يعنى ساقط الكلام (إلا سلاما) استثناء منقطع (بكرة وعشيا) قيل المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالى ، إذ ليس فى الجنة نهار ولا ليل ، وقيل المعنى أن الرزق يأتيهم فى كل حين يحتاجون اليه ، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشى على عادة الناس فى أكلهم (وما نتنزل إلا بأمر ربك) حكاية قول جبريل حين غاب عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له أبطأت عنى واشتقت إليك فقال إنى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أى له ما قدامنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن ، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وقيل ما بين أيدينا : الدنيا إلى النفخة الأولى فى الصور ، وما خلفنا : الآخرة ، وما بين ذلك : ما بين النفختين وقيل ما مضى من أعمارنا وما بقى منها ، والحال التى نحن فيها ، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية (وما كان ربك نسيا) هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك ، والأول أظهر (هل تعلم له سميا) أى مثيلا ونظيرا

يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ
أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا * وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا * قُلْ

---

فهو من المسامى والمضاهى ، وقيل من تسمى باسمه ، لأنه لم يتسم باسم الله غيرالله تعالى ( ويقول الإنسان أئذامامت لسوف أخرج حيا) هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور ، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار ، وقيل إن القائل لذلك أبىّ بن خلف ، وقيل أمية بن خلف والهمزة التى دخلت على أئذامامت للإنكار والاستبعاد ، واللام فى قوله لسوف : سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى ، والإخراج يراد به البعث (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل) احتجاج على صحة البعث ، وردّ على من أنكره ، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية (لنحشرنهم والشياطين) يعنى قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم ، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه ( جثيا ) جمع جاث ، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف ( ثم لننزعن من كل شيعة ) الشيعة : الطائفة من الناس التى تتفق على مذهب أو اتباع إنسان ، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار ، وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما (أيهم) اختلف فى إعرابه ، فقال سيبويه هو مبنى على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة ، وكأن التقدير أيهم أشد فوجب البناء ، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذى يقال له أشد ، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء (أولى بها صليا) الصلى : مصدر صلى النار ، ومعنى الآية : أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب (وإن منكم إلا واردها) خطاب لجميع الناس عند الجمهور ، فأما المؤمنون فيدخلونها ، ولكنها تخمد فلا تضرهم ، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله حصب جهنم أنتم لها واردون ، وأوردهم النار ، وقيل الورود بمعنى القدوم عليها كقوله وردماء مدين ، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال ( حتما ) أى أمرا لا بد منه ( ثم ننجى الذين اتقوا ) إن كان الورود بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما ، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها ( أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ) الفريقان هم المؤمنون والكفار ، والمقام اسم مكان من قام ، وقرئ بالضم من أقام ، والندىّ المجلس ، ومعنى الآية : أن الكفار قالوا للمؤمنين : نحن خير منكم مقاما : أى أحسن حالا فى الدنيا ، وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم مفعول بأهلكنا ، ومعنى الآية : رد على الكفار فى قولهم المذكور : أى ليس حسن الحال فى الدنيا دليلا على الكرامة عند الله ، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم فى الدنيا (هم أحسن) قال الزمخشرى هذه الجملة فى موضع نصب صفة لكم (أثاثا) أى متاع البيت ، وقال ابن عطية هو اسم عام فى المال العين والعروض والحيوان ، وهو اسم جمع ، وقيل هو جمع ، واحده أثاثة ( ورئيا ) بهمزة ساكنة قبل الياء : معناه منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرئى اسم المرئى ، وقرئ بتشديد

مَن كَانَ فِى الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۞ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۞ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۞ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۞ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۞ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۞ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۞ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۞ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۞ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۞ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞

---

الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق ، وقيل هو من رى الشارب أى التنعم بالمشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس زيا بالزاى (فليمدد له الرحمن مدا) أى يمهله ويملى له ، واختلف هل هذا الفعل دعاء أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا (حتى) هنا غاية المد فى الإضلال (إما العذاب) يعنى عذاب الدنيا (شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا (والباقيات الصالحات) ذكر فى الكهف (خير مردا أى مرجعا وعاقبة (أفرأيت الذى كفر ) هو العاصى بن وائل ( وقال لأوتين مالا وولدا ) كان قد قال لئن بعثت كما يزعم محمد ليكونن لى هناك مالا وولدا (أطلع الغيب) الهمزة للإنكار ، والرد على العاصى فى قوله (كلا) رد له عن كلامه (سنكتب مايقول) إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب فى المستقبل (ونمد له من العذاب مدا) أى نزيد له فيه (ونرثه مايقول) أى نرث الأشياء التى قال إنه يؤتاها فى الآخرة ، وهى المال والولد ووراثتها هى بأن يهلك العاصى ويتركها ، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضى الله عنهما (ويأتينا فردا) أى بلا مال ولا ولد ولا ولى ولا نصير (سيكفرون بعبادتهم) قيل إن الضمير فى يكفرون للكفار وفى عبادتهم للمعبودين ، فالمعنى كقولهم ما كنا مشركين ، وقيل إن الضمير فى يكفرون للمعبودين ، وفى عبادتهم للكفار ، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون (ويكونون عليهم ضدا) معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم فيصير العز الذى أملوه ذلة ، وقيل معناه أعداء (أرسلنا الشياطين على الكافرين) تضمن معنى سلطانا ، ولذلك تعدى بعلى (تؤزهم أزا) أى تزعجهم إلى الكفر والمعاصى (فلا تعجل عليهم ) أى لا تستبطئ عذابهم وتطلب تعجيله (إنما نعد لهم عدا) أى نعد مدة بقائهم فى الدنيا . وقيل نعد أنفاسهم (وفدا) قيل معناه ركبانا ، ومعنى الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك ، وقيل مكرمون ، لأن العادة إكرام الوفود (وردا) معناه عطاشا لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش (لا يملكون الشفاعة) الضمير يحتمل أن يكون للكفار ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم ، ويكون من اتخذ : استثناء منقطعا بمعنى لكن ، أو يكون الضمير للمتقين فالاستثناء متصل ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهدا ، أو يكون الضمير للفريقين إذ قد ذكروا قبل ذلك ؛ فالاستثناء أيضا متصل ، ومن اتخذ : يحتمل أن يراد به

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۞ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۞

## ســـورة طه

مكية إلا آيتى ١٣ و ١٣١ فمدنيتان وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طه ۞ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۞ تَنزِيلًا مِّمَّنْ

---

الشافع أو المشفوع له (عهدا) يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن فى الشفاعة . وهذا أرجح لقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الموقف حين ينفرد بها ويقول غيره من الأنبياء نفسى نفسى (شيئا إدّا) أى شيئا صعبا (يتفطرن منه) أى يتشققن من قول الكفار : اتخذ الله ولدا (هدّا) أى انهداما (أن دعوا) أى من أجل أن دعوا (للرحمن ولدا) وقرئ ولدا بضم الواو وإسكان اللام ، وهى لغة (إن كل من فى السموات والأرض) ردّ على مقالة الكفار ، والمعنى أن الكل عبيده ، فكيف يكون أحدهم ولدا له ، وإن نافية ، وكل مبتدأ وخبره آتى الرحمن (سيجعل لهم الرحمن ودّا) هى المحبة والقبول الذى يجعله الله فى القلوب لمن شاء من عباده ، وقيل إنها نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنه (يسرناه بلسانك) الضمير للقرآن وبلسانك أى بلغتك (قوما لدا) جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك قريش ، وقيل معناه فجارا (أو تسمع لهم ركزا) هو الصوت الخفى ، والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر ، وفى ذلك تهديد لقريش

## ســـورة طه

قيل فى طه إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل ، وانظر الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة (ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى) قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورمت قدماه ، فنزلت الآية تخفيفا عنه . فالشقاء على هذا إفراط التعب فى العبادة ، وقيل المراد به التأسف على كفر الكفار ، واللفظ عام فى ذلك كله ، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه القرآن الذى هو سبب السعادة (إلا تذكرة) نصب على الاستثناء المنقطع ، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من موضع لتشقى إذ هو فى موضع مفعول من أجله ، ومنع ذلك الزمخشرى لاختلاف الجنسين ، ويصح أن ينتصب بفعل مضمر تقديره أنزلناه تذكرة (تنزيلا) نصب على المصدرية والعامل فيه مضمر وما أنزلنا وبدأ السورة بلفظ المتكلم فى قوله ماأنزلنا ثم رجع إلى الغيبة فى قوله تنزيلا ممن خلق الأرض الآية : وذلك هو الالتفات

خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَاتِ الْعُلَى ۞ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۞ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۞ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۞

(والسموات العلى) جمع عليا (على العرش استوى) تكلمنا عليه فى الأعراف (الثرى) هو فى اللغة التراب الندى، والمراد به هنا الأرض (وإن تجهر) مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك لأنه يعلم السر وأخفى (يعلم السر وأخفى) السر الكلام الخفى، والأخفى مافى النفس، وقيل السر مافى نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه (الأسماء الحسنى) تكلمنا عليها فى الأعراف (وهل أتاك) لفظ استفهام والمراد به التنبيه (إذ رأى) العامل فى إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدح بزناده فلم يقدح، فرأى نارا فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون (آنست نارا) أى رأيت (بقبس) هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها (أو أجد على النار هدى) يعنى هدى إلى الطريق من دليل أو غيره (فاخلع نعليك) قيل إنما أمر بخلع نعليه، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع فى مقام مناجاة الله وهذا أحسن (الوادى المقدس) أى المطهر (طوى) فى معناه قولان: أحدهما أنه اسم الوادى، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة، والثانى أن معناه مرتين، فإعرابه على هذا مصدر: أى قدس الوادى مرة بعد مرة أو نودى موسى مرة بعد مرة (وأقم الصلاة لذكرى) قيل المعنى لتذكرنى فيها، وقيل لأذكرك بها، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول وعلى الثانى مضاف للفاعل، وقيل معنى لذكرى: عند ذكرى كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس: أى عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استدل بالآية: على وجوب الصلاة على الناسى إذا ذكرها (أكاد أخفيها) اضطرب الناس فى معناه، فقيل أخفيها بمعنى أظهرها، وأخفيت هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول مختل، وذلك أن المعروف فى اللغة أن يقال: أخفى بالألف من الإخفاء وخفى بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك فى الشاذ، وقال الزمخشرى قد جاء فى بعض اللغات أخفى بمعنى خفى: أى أظهر، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة، وقيل أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها وقيل إن المعنى إن الساعة آتيـــة أكاد، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسى فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ۞ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ۞ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۞ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ

---

المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه وهذا المعنى هو اختيار المحققين (لتجزى) يتعلق بآتية (بما تسعى) أي بما تعمل (فلا يصدنك عنها) الضمير للساعة: أي لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد، والخطاب لموسى عليه السلام، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك بعيد (فتردى) معناه تهلك، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب في جواب لا يصدنك (وما تلك بيمينك ياموسى) إنما سأله ليريه عظم مايفعله في العصا من قلبها حية فمعنى السؤال تقرير أنها عصى فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن قلبها، وقيل إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام (وأهش بها على غنمي) معناه أضرب بها الشجر لينتثر الورق للغنم (مآرب) أي حوائج (حية تسعى) أي تمشي (سيرتها الأولى) يعني أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر (واضمم يدك إلى جناحك) الجناح هنا الجنب أي تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر (تخرج بيضاء) روى أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس (من غير سوء) يريد من غير برص ولا عاهة (لنريك من آياتنا الكبرى) يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنريك، وأن تكون صفة للآيات ويختلف المعنى على ذلك (اشرح لي صدري) إن قيل لم قال اشرح لي ويسر لي، مع أن المعنى يصح دون قوله لي؟ فالجواب أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة (واحلل عقدة من لساني) العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجز به، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة (وزيرا) أي معينا، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول (أزرى) أي ظهري والمراد القوة ومنه فآزره أي قواه (قال قد أوتيت سؤلك) أي قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة (إذ أوحينا إلى أمك) يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك، أو وحي إلهام كقوله: وأوحى ربك إلى النحل (مايوحى) إبهام يراد به تعظيم الأمر (أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم) الضمير الأول لموسى والثاني للتابوت أو لموسى واليم البحر، والمراد به هنا النيل، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝

---

بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه فى التابوت وتلقى التابوت فى البحر ففعلت ذلك، وكان فرعون فى موضع يشرف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه وامرأته معه ففتحه فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدا فأباح لها ذلك (يأخذه عدو لى وعدو له) هو فرعون (محبة منى) أى أحببتك، وقيل أراد محبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله منى: يحتمل أن يتعلق بقوله ألقيت، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف (ولتصنع على عينى) أى تربى ويحسن إليك بمرأى منى وحفظ، والعامل فى لتصنع محذوف (إذ تمشى أختك) العامل فى إذ تصنع أو ألقيت، أو فعل مضمر تقديره ومننا عليك (فتقول هل أدلكم على من يكفله) كان لا يقبل ثدى امرأة فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه (وقتلت نفسا) يعنى القبطى الذى وكزه فقضى عليه (فنجيناك من الغم) يعنى الخوف من أن يطلب بثأر المقتول (وفتناك فتونا) أى اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة، وقيل خلصناك من محنة بعد محنة، لأنه خلصه من الذبح ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل، والفتون: يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة (فلبثت سنين) يعنى الأعوام العشرة التى استأجره فيها شعيب (جئت على قدر) أى بميقات محدود قدره الله لنبوتك (واصطنعتك لنفسى) عبارة عن الكرامة والتقريب أى استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتى وإحسانى (ولا تنيا) أى لا تضعفا ولا تقصرا، والونى هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها (أن يفرط) أى يعمل بالشر (فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بنى إسرائيل (ولا تعذبهم) كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم فى خدمته وإذلالهم (قد جئناك بآية) يعنى قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدها وهما آيتان، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل أن يريد التحية أو السلامة (قال فمن ربكما ياموسى) أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه، لأنه الأصل فى النبوة وأخوه تابع له (الذى أعطى كل شىء خلقه) المعنى أن الله أعطى خلقه كل شىء يحتاجون إليه فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، وكل شىء

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۝ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ۝ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ

---

مفعول ثان . وقيل المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته : أي أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقة وإعرابه مفعول ثان ، وكل شيء مفعول أول ، والمعنى الأول أحسن (ثم هدى) أي هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعلمهم كيف ينتفعون به (قال فما بال القرون الأولى) يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى : أي ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى أوما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله : أن العذاب على من كذب وتولى ، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعا للكلام الأول وروغانا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها ، فقال علمها عند ربي ، ثم عاد إلى وصف الله رجوعا إلى الكلام الأول (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (الذي جعل لكم الأرض مهدا) أي فراشا ، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز ، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعى ذلك لنفسه (وسلك لكم فيها سبلا) أي نهج لكم فيها طرقا تمشون فيها (فأخرجنا) يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عز وجل فأخرجنا ، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم ابتدأ كلام الله (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أي أصنافا مختلفة (كلوا وارعوا أنعامكم) المعنى أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام ، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن في ذلك فكأنه أمر به (لأولى النهى) أي العقول واحدها نهية (منها خلقناكم) الضمير للأرض يريد خلقة آدم من تراب (وفيها نعيدكم) يعني بالدفن عند الموت (ومنها نخرجكم) يعني عند البعث (أريناه آياتنا) يعني الآيات التي رآها فرعون وهي تسع آيات ، وليس يريد جميع آيات الله على العموم ، فالإضافة في قوله آياتنا تجرى مجرى التعريف بالعهد : أي آياتنا التي أعطينا موسى كلها ، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا (فاجعل بيننا وبينك موعدا) يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدل على أنه اسم مكان قوله مكانا سوى ، ولكن يضعف بقوله موعدكم يوم الزينة ، لأنه أجاب بظرف الزمان ، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكانا سوى . ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله لا نخلفه ، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان ، ولكن يضعف ذلك بقوله مكانا وبقوله يوم الزينة ، فلابد على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكانا باختلاف تلك الوجوه فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله موعدا ومكانا مفعولين لقوله اجعل ، ويطابقه قوله يوم الزينة

النَّاسُ ضُحًى ۝ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ۝ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ۝ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ۝ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

من طريق المعنى ، لا من طريق اللفظ ، وذلك أن الاجتماع فى المكان يقتضى الزمان ضرورة ، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا على أنه ظرف زمان ، والتقدير موعدا كائنا فى مكان وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد ، أو بفعل من معناه ، ويطابقه قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعدكم وعد يوم الزينة ، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف (مكانا سوى) معناه مستوى فى القرب منا ومنكم ، وقيل معناه مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرئ بكسر السين وضمها ، والمعنى متفق (يوم الزينة) يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء (وأن يحشر) عطف على الزينة ، فهو فى موضع خفض أو على اليوم فهو فى موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس (فيسحتكم) معناه يهلككم ، يقال سحت وأسحت ، وقد قرئ بفتح الياء وضمها ، والمعنى متفق (قالوا إن هذان لساحران) قرئ إن هذين بالياء ولا إشكال فى ذلك ، وقرئ بتخفيف إن وهى مخففة من الثقيلة ، وارتفع بعدها هذان بالابتداء ، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان ، فقيل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ، ومنه ماروى فى الحديث أن الحمد لله بالرفع ، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر ، وهذان لساحران مبتدأ وخبر فى موضع خبر إن ، وقيل جاء القرآن فى هذه الآية بلغة بنى الحرث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالألف حال النصب والخفض ، وقالت عائشة رضى الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أى يذهب بسيرتكم الحسنة (فأجمعوا كيدكم) أى اعزموا وأنفذوه (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لا حقيقة ، وقال بعضهم إن حيلة السحرة فى سعى الحبال والعصىّ هى أنهم حشوها بالزئبق ، وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس ، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم ، وقيل جعلوها للشمس ، فلما أحسّ الزئبق بحر النار أو الشمس سال ، وهو فى حشو الحبال والعصىّ فحملها فتخيل للناس أنها تمشى فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعتها (إنما صنعوا كيد

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ * وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ * يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ۝ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ * وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا

---

ساحر) ما هنا موصولة وهى اسم إن وكيد خبرها (آمنا برب هارون وموسى) قدم هارون لتعادل رؤس الآى (من خلاف) أى قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (والذى فطرنا) معطوف على ماجاءنا من البينات، وقيل هى واو القسم (هـذه الحياة) نصب على الظرفيـة أى إنمـا قضاؤك فى هـذه الدنيا (إنه من يأت ربه مجرما) قيل إن هنا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة، وقيل هو من كلام الله (أن أسر بعبادى) يعنى بنى إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف (يبسا) أى يابسا، وهو مصـدر وصف به (لاتخاف دركا ولا تخشى) أى لاتخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق فى البحر (ماغشيهم) إبهام لقصد التهويل (وما هدى) إن قيل إن قوله وأضل فرعون قومه يغنى عن قوله وماهدى، فالجواب أنه مبالغة وتأكيد، وقال الزمخشرى هو تهكم بفرعون فى قوله. وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (يابنى إسرائيل) خطاب لهم بعد خروجهم من البحر، وإغراق فرعون، وقيل هو خطاب لمن كان منهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأول أظهر (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) لمـا أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبنى إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سـيناء ليكلم فيه ربه، والطور هو الجبل، واختلف هل هذا الطور هو الذى رأى فيه موسى النار فى أول نبوته، أوهو غيره (ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكر فى البقرة (فقد هوى) أى هلك، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفل (وإنى لغفار لمن تاب) المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد والمغفرة للمؤمن الذى لم يتب فى مشيئة الله عند أهل السـنة، وقالت المعتزلة لايغفر إلا لمن تاب (ثم اهتدى) أى اسـتقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله فى قلب من تاب وآمن وعمل صـالحا، (وما أعجلك عن

قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ

قومك ياموسى) قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله، وطالبا لرضاه، وأمر بنى إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامرىّ حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ماأعجلك عن قومك، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل، وقيل سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين: أحدهما أن قومه على أثره: أى قريب منه، فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب، والثانى أنه إنما تقدم طالبا لرضا الله (وأضلهم السامرىّ) كان السامرىّ رجلا من بنى إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة، وكان ساحراً منافقا (فرجع موسى إلى قومه) يعنى رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوما التى كلمه الله فيها (أسفا) ذكر فى الأعراف (ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا) يعنى ماوعدهم من الوصول إلى الطور (أفطال عليكم العهد) يعنى المدة وهذا الكلام توبيخ لهم (بملكنا) قرئ بالفتح والضم والكسر، ومعناه ماأخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد السامرىّ فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، واعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم فى النظر وعدم توفيقهم للرأى السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر (حملنا أوزارا من زينة القوم) الأوزار هنا الأحمال سميت أوزارا لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أى الذنوب وزينة القوم هى حلىّ القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامرىّ: اجمعوا هذا الحلىّ فى حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك وأوقد السامرىّ نارا على الحلىّ وصاغ منه عجلا وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامرى، ولذلك قال لموسى قد فتنا قومك من بعدك (فقذفناها) أى قذفنا أحمال الحلىّ فى الحفرة (فكذلك ألقى السامرىّ) كان السامرىّ قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب وألقى الله فى نفسه أنه إذا جعلها على شيء مواتا صار حيوانا فألقاها على العجل فخار العجل أى صاح صياح العجول. فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلى فى الحفرة ألقى السامرىّ قبضة التراب (جسداً) أى جسما بلا روح، والخوار صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم) أى قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض (فنسى) يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون من كلام بنى إسرائيل والفاعل موسى: أى نسى موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه فى الطور، والنسيان على هذا بمعنى الذهول، والوجه الثانى: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل على هذا السامرىّ: أى نسى دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا المعنى: الترك (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) معناه لايرد عليهم كلاما إذا

لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا • وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا أَمْرِى • قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ • قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا • أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى • قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى • قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ • قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى • قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى الْيَمِّ

---

كلدوه وذلك ردّ عليهم فى دعوى الربوبية له ، وقرئ يرجع بالرفع ، وأن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب وهى مصدرية (قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) لازائدة للتأكيد ، والمعنى مامنعك أن تتبعنى فى المشى إلى الطور ، أو تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم بمن لم يعبده (قال يا ابن أم) ذكر فى الأعراف (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بنى إسرائيل قد عبدوا العجل (إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) أى لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم ، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعنى فى الزجر والقتال ولو اتبعتك فى المشى إلى الطور لاتبعنى بعضهم دون بعض فتفرقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعنى فى المشى إلى الطور (ولم ترقب قولى) يعنى قوله له : اخلفنى فى قومى وأصلح (قال فما خطبك ياسامرىّ) أى قال موسى ماشأنك ولفظ الخطب يقتضى الانتهار ،لأنه يستعمل فى المكاره (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى رأيت مالم يروه يعنى جبريل عليه السلام وفرسه (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل ، وقرأ ابن مسعود « من أثر فرس الرسول» وإنما سمى جبريل بالرسول ، لأن الله أرسله إلى موسى ، والقبضة مصدر قبض ، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير ، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه ، وبالصاد المهملة : إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك فى الشاذ (فنبذتها) أى ألقيتها على الحلى ، فصار عجلا أو على العجل فصار له خوار (فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس) عاقب موسى عليه السلام السامرى بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ، ومكالمته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لامساس : أى لاممـاسة ولا إذاية ، وروى أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له والذى مسه فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه (وإن لك موعدا) يعنى العذاب فى الآخرة وهذا تهديد ووعيد (ظلت) أصله ظللت ، حذفت إحدى اللامين والأصل فى معنى ظل : أقام بالنهار ، ثم استعمل فى الدأب على الشىء ليلا ونهاراً (لنحرّقنه) من الإحراق بالنار ، وقرئ بفتح النون وضم الراء بمعنى نبرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ، لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار ، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى نلقيه فى البحر ، والنسف تفريق الغبار ونحوه

نَسْفًا ۝ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۞ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۝ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۞ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

---

(إنما إلهكم الله) الآية : من كلام موسى لبنى إسرائيل (كذلك نقص عليك) مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وأنباء ماقد سبق : أخبار المتقدمين (ذكرا) يعنى القرآن (من أعرض عنه) يعنى إعراض تكذيب به (وزرا) الوزر فى اللغة الثقل ، ويعنى هنا العذاب لقوله « خالدين فيه » أوالذنوب لأنها سبب العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) شبه الوزر بالحمل لثقله ، قال الزمخشرى ساء تجرى مجرى بئس ، ففاعلها مضمر يفسره حملا ، وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر (يوم ينفخ فى الصور) أى ينفخ الملك فى القرن ، وقرئ ننفخ بالنون أى بأمرنا (زرقا) أى زرق الألوان كالسواد ، وقيل زرق العيون من العمى (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) أى يقول بعضهم لبعض فى السر إن لبثتم فى الدنيا إلا عشر ليال وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا ، وقيل يعنون لبثهم فى القبور (يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) أى يقول أعلمهم بالأمور ، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره (ينسفها ربى) أى يجعلها كالغبار ثم يفرقها (فيذرها قاعا صفصفا) الضمير فى يذرها للجبال ، والمراد موضعها من الأرض ، والقاع الصفصف : المستوى من الأرض الذى لاارتفاع فيه (لاترى فيها عوجا) المعروف فى اللغة أن العوج بالكسر فى المعانى ، وبالفتح فى الأشخاص والأرض شخص ، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح ، وإنما قاله بالكسر مبالغة فى نفيه ، فإن الذى فى المعانى أدق من الذى فى الأشخاص ، فنفاه ليكون غاية فى نفى العوج من كل وجه (ولاأمتا) الأمت : هو الارتفاع اليسير (يتبعون الداعى) يعنى الذى يدعو الخلق إلى الحشر (لاعوج له) أى لايعوج أحد عن اتباعه والمشى نحو صوته ، أولاعوج لدعوته لأنها حق (همسا) هو الصوت الخفى (لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ، ومن فى موضع نصب بتنفع ، وهى واقعة على المشفوع له ، فالمعنى لاتنفع الشفاعة أحدا إلا من أذن له الرحمن فى أن يشفع له ، وأن يكون الاستثناء منقطعا ومن واقعة على الشافع ، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع (ورضى له قولا) إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه ، فاللام فى له بمعنى لأجله ، أى رضى قول الشافع لأجل المشفوع فيه ، وإن أريد الشافع فالمعنى رضى له قوله فى الشفاعة (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) الضميران

ظُلْمًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۞ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۞ فَتَعَـٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۞ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۞ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۞ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۞ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۞ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ اجْتَبَـٰهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۞ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ

---

لجميع الخلق ، والمعنى ذكر فى آية الكرسى (ولا يحيطون به علما) قيل المعنى لايحيطون بمعلوماته كقوله ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، والصحيح عندى أن المعنى لايحيطون بمعرفة ذاته إذ لايعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولوأراد المعنى الأول لقال ولايحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى إلا بماشاء هناك ولم يستثن هنا (وعنت الوجوه) أى ذلت يوم القيامة (ولا هضما) أى بخسا ونقصا لحسناته (أو يحدث لهم ذكرا) أى تذكرا ، وقيل شرفا وهو هنا بعيد (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية : كقوله لاتحرك به لسانك لتعجل به ، وقيل كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه فى الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى تفسرله المعانى ، والأول أشهر (عهدنا إلى آدم ) أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (فنسى) يحتمل أن يكون النسيان الذى هو ضد الذكر ، فيكون ذلك عذراً لآدم أو يريد الترك ، وقال ابن عطية : ولايمكن غيره ، لأن الناسى لاعقاب عليه ، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس فى البقرة (فلايخرجنكما من الجنة فتشقى) أى لاتطيعاه فيخرجكما من الجنة فجعل المسبب موضع السبب وخص آدم بقوله فتشقى لأنه كان المخاطب أولا ، والمقصود بالكلام ، وقيل لأن الشقاء فى معيشة الدنيا مختص بالرجال (لا تظمأ فيها ولا تضحى) الظمأ هو العطش ، والضحى هو البروز للشمس (يخصفان) ذكر فى الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك فى البقرة (اهبطا خطاب لآدم وحواء ( فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها فمن اتبع ( فلا يضل ولا يشقى) أى لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة (معيشة ضنكا) أى ضيقة ، فقيل إن ذلك فى الدنيا ، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال ، وقد قال بعض الصوفية لايعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه ، وقيل إن ذلك فى البرزخ ، وقيل فى جهنم بأكل الزقوم ، وهذا

حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ الْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُولِى النُّهَىٰ ۝ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ

---

ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى يعنى أعمى البصر (فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) من الترك لا من الذهول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى عذاب جهنم أشد وأبقى من المعيشة الضنك ومن الحشر أعمى (أفلم يهدلهم) معناه أفلم يتبين لهم ، والضمير لقريش والفاعل بيهد مقدر تقديره أولم يهدلهم الهدى أو الأمر ، وقال الزمخشرى الفاعل الجملة التى بعده ، وقيل الفاعل ضمير الله عز وجل ، ويدل عليه قراءة أفلم نهد بالنون ، وقال الكوفيون الفاعل كم (يمشون فى مساكنهم) يريد أن قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثارهلاكهم (لأولى النهى) أى ذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) الكلمة هنا القضاء السابق ، والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما : أى واقعابهم (وأجل مسمى) معطوف على كلمة : أى لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما وإنما أخره لتعتدل رؤس الآى ، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر ، وبذلك ورد تفسيره فى البخارى ، وقيل المراد به أجل الموت ، وقيل القيامة (وسبح) يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة ، أوقول سبحان الله وهو ظاهر اللفظ (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح ، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون أمرا بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح : الصلاة ، فالتى قبل طلوع الشمس الصبح ، والتى قبل غروبها الظهر والعصر ، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح ، وكرر الصبح فى ذلك تأكيداً للأمر بها ، وسمى الطرفين أطرافا لأحد وجهين : إما على نحو فقد صغت قلوبكما ، وإما أن يجعل النهار للجنس ، فلكل يوم طرف ، وآناء الليل ساعاته ، واحدها إنى (ولا تمدن عينيك) ذكر فى الحجر ومد العينين هو تطويل النظر ففى ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه (زهرة الحياة الدنيا) شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار ، لأن الزهر له منظر حسن ، ثم يذبل ويضمحل ، وفى نصب زهرة خمسة أوجه أن ينتصب بفعل مضمر على الذم ، أويضمن متعنا معنى أعطينا ، ويكون زهرة مفعولا ثانياله ، أويكون بدلا من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير ذوى زهرة أو ينتصب على الحال (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم (لا نسألك رزقا) أى لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن

نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ * وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ *
وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ
وَنَخْزَىٰ * قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِىِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ *

## سـورة الأنبيـاء

مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم
مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوٓا

---

نرزقك ، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمركم الله ، ويتلو هذه الآية (أولم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى) البينة هنا البرهان ، والصحف الأولى هى التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ، والضمير فى قالوا وفى أولم تأتهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت : أجابهم الله بهذا الجواب ، والمعنى قد جاءكم برهان مافى التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فلأى شيء تطلبون آية أخرى ، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص مافى الصحف الأولى ، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) الآية : معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا ، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه صلى الله عليه وسلم (قل كل متربص) أى قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر (فتربصوا) تهديد (الصراط السوى) المستقيم

## سـورة الأنبيـاء عليهم السلام

(اقترب للناس حسابهم) الناس لفظ عام ، وقال ابن عباس : المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك ، لأنه من صفاتهم ، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب ، لأن الذى مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقى لها ولأن كل آت قريب (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى بالذكر القرآن ، ومحدث : أى محدث النزول (وأسروا النجوى الذين ظلموا) الواو فى أسروا ضمير فاعل يعود على ماقبله ، والذين ظلموا : بدل من الضمير ، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا ، وجاء ذلك على لغة من قال أكلونى البراغيث ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب ، وقال سيبويه لم تأت هذه اللغة فى القرآن ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوباً بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر ، والأول أحسن (هل هذا إلا بشر مثلكم) هذا الكلام فى موضع نصب بدل من النجوى ، لأنه هو الكلام الذى تناجوا به ، والبشر المذكور فى الآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال ربى يعلم القول) إخبار بأنه ما تناجوا به على أنهم أسروه ، فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى؟ فالجواب : أن القول يشمل السر والجهر

أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۞ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۞ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۞ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۞ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۞ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن

---

لحصل به ذكر السر وزيادة (بل قالوا أضغاث أحلام) أى أخلاط منامات ، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم (كما أرسل الأولون) أى كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه فى الإتيان بالمعجزة (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا ، ثم قال (أفهم يؤمنون) أى أن حالهم فى عدم الإيمان وفى الهلاك كحال من قبلهم ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك ولا يكون على هذا جواباً لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخبارا مستأنفاً على وجه التهديد ؛ وأهلكناها فى موضع الصفة لقرية ، والمراد أهل القرية (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) رد على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالا من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا (أهل الذكر) يعنى أحبار أهل الكتاب (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أى ما جعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين ، ووحد الجسد لإرادة الجنس ، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد ، وفى الآية رد على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام (ومن نشاء) يعنى المؤمنين (فيه ذكركم) أى شرفكم وقيل تذكيركم (قصمنا) أى أهلكنا ، وأصله من قصم الظهر أى كسره (من قرية) يريد أهل القرية ؛ قال ابن عباس : هى قرية باليمن يقال لها حضور بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير ، فلا يريد قرية معينة (يركضون) عبارة عن فرارهم ، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجرى أو شبهوا فى سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة (لاتركضوا) أى قيل لهم لاتركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم ، أو رجال بختنصر إن كانت القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعاً ليرجعوا فيقتلوهم (أترفتم) أى نعمتم (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أى ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون عما جرى عليكم ، ويحتمل أن يكون تسئلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضاً تهكم (قالوا ياويلنا) الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم (حصيداً خامدين) شبهوا فى هلاكهم بالزرع المحصود ، ومعنى خامدين : موتى وهو تشبيه بخمود النار (لاعبين) حال منفية أى ما خلقنا السموات

لَدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ۞ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۞ وَلَهُ مَن فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۞ أَمِ اتَّخَذُوٓا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۞ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۞ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ

---

والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا) اللهو فى لغةاليمن: الولد، وقيل المرأة، ومن لدنا: أى من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولداً لاتخذناه من الملائكة، لا من بنى آدم، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين، وقال الزمخشرى المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ لهواً لكان ذلك فى قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة، وفى كلا القولين نظر (إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية، والأول أظهر (بل نقذف بالحق على الباطل) الحق عام فى القرآن والرسالة والشرع وكل ماهو حق، والباطل عام فى أضداد ذلك (فيدمغه) أى يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ (ومن عنده) يعنى الملائكة (ولا يستحسرون) أى لايعيون ولا يملون (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أم هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق بينشرون والمعنى أن الآلهة التى اتخذها المشركون لايقدرون أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بآلهة فى الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة (لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير فى قوله فيهما للسموات والأرض، وإلا الله صفة لآلهة، وإلا بمعنى غير، فاقتضى الكلام أمرين أحدهما نفى كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، والأمر الثانى: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله إلا الله، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لولم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس فى معنى الآية: إنها دليل على التمانع الذى أورده الأصوليون، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال لأن النقيضين لايجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما، وذلك أيضاً محال، لأن النقيضين لا يرتفعان معاً، ولأن ذلك يؤدى إلى عجزهما وقصورهما، فلايكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذى تنفذ إرادته هو الإله، والذى لاتنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد. وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لايطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع فى التدبير وقصد المغالبة، ألاترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليان لخطة واحدة (لايسئل عما يفعل) لأنه مالك كل شيء والمالك يفعل فى ملكه مايشاء، ولأنه حكيم، فأفعاله كلها جارية على الحكمة (وهم يسئلون) لفقد العلتين (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرر هذا الإنكار استعظاما للشرك. ومبالغة فى تقبيحه لأن قبله من صفات الله مايوجب توحيده وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لامن جهة العقل ولامن جهة الشرع

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝

---

(هاتوا برهانكم) تعجيز لهم وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) رد على المشركين والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيهما ما يقتضي الإشراك بالله ، بل كلها متفقة على التوحيد (وما أرسلنا) لآية : رد على المشركين ، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا إله إلا الله (عباد مكرمون) يعني الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار أنهم بنات الله ، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البنوة ، ووصفهم بالكرامة ، لأن ذلك هو الذي غر الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا (لا يسبقونه بالقول) أي لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أي لمن ارتضى أن يشفع له ، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا وهي استغفارهم لمن في الأرض (مشفقون) أي خائفون (ومن يقل منهم) الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين وقيل إن الذي قال إني إله هو إبليس لعنه الله (كانتا رتقا ففتقناهما) الرتق مصدر وصف به ، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح ، والفتق الفتح فقيل كانت السموات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء ، وقيل كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا والرؤية في قوله أو لم ير على هذا رؤية قلب ، وقيل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، فالرؤية على هذا رؤية عين (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من الماء كل حيوان ويعني بالماء المني وقيل الماء الذي يشرب لأنه سبب لحياة الحيوان ، ويدخل في ذلك النبات باستعارة (رواسي) يعني الجبال (أن تميد) تقديره كراهية أن تميد (فجاجا) يعني الطرق الكبار ، وإعرابه عند الزمخشري حال من السبل ، لأنه صفة تقدمت على النكرة (لعلهم يهتدون) يعني في طرقهم وتصرفاتهم (سقفا محفوظا) أي حفظ من السقوط ومن الشياطين (عن آياتها معرضون) يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك (كل في فلك يسبحون) التنوين في كل عوض عن الإضافة أي كلهم في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر دون الليل والنهار ، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك فالجملة في موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا ، فإن قيل : لفظ كل ويسبحون جمع ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان ؟ فالجواب : أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهي كثيرة

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۞ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۞ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۞ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ

---

قاله الزمخشري وقال القزنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في فلك، وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب أنه أراد كل واحد يسبح في فلكه، وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلة أي كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله كل في فلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) سببها أن الكفار طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر يموت، وقيل إنهم تمنوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما بعده (أفإن مت فهم الخالدون) موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام (كل نفس ذائقة الموت) أي كل نفس مخلوقة لابد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة (ونبلوكم بالشر والخير) أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك (فتنة) مصدر من معنى نبلوكم (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بذم أو مدح، والجملة تفسير للهزء أي يقولون أهذا الذي (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الجملة في موضع الحال أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم (خلق الإنسان من عجل) خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للمبالغة: كقولهم خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها أو العذاب الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئة لقوله فلا تستعجلون، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أي من طين، وهذا أضعف (سأريكم آياتي) وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل (ويقولون) الآية: تفسير لاستعجالهم (الوعد) القيامة وقيل نزول العذاب بهم (لو يعلم) جواب لو محذوف (حين) مفعول به ليعلموا: أي لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا (بل تأتيهم) الضمير الفاعل للنار، وقيل للساعة (تبهتهم) أي تفجؤهم (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخرون عن العذاب (ولقد استهزئ) الآية تسلية بالتأسي (فحاق) أي أحاط (من يكلؤكم) أي من

رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ * بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ * قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ * وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ

---

يحفظكم من أمر الله ، ومن استفهامية ، والمعنى تهديد ، وإقامة حجة ، لأنهم لو أجابوا عن هـذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ، ثم جاء قوله (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهـم تقوم عليهـم الحجة إن أجابوا ، ولـكنهم يعرضون عن ذكر الله : أى عن الجواب الذى فيـه ذكر الله ، وقال الزمخشرى معنى الإضراب هنا أنهـم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى تمنعهم من العذاب ، وأم هنا للاسـتفهام ، والمعنى الإنـكار والنفى ، وذلك أنه لمـا سألهم عمن يكلؤهم : أخبر بعد ذلك أن آلهتهـم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله : لا يستطيعون نصر أنفسهم ، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره (ولا هم منا يصحبون) الضمير للـكفار : أى لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) أى متعناهم بالنعم والعافية فى الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله ، والإضراب ببل عن معنى الكلام المتقدم : أى لم يحملهم على الـكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم (ننقصها من أطرافها) ذكر فى الرعد (ولا يسمع الصم الدعاء) إشارة إلى الـكفار ، والصم استعارة فى إفراط إعراضهم (نفحة) أى خطرة وفيها تقليل العذاب ، والمعنى أنهم لو رأوا أقل شىء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم (ونضع الموازين القسط) أى العدل ، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع ، لأنه مصـدر وصف به كالعدل والرضا ، وعلى تقدير ذوات القسط ، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال ، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام ، إما صحف الأعمال ، أو ماشاء الله ، وقالت المعتزلة : إن الميزان عبارة عن العدل فى الجزاء (ليوم القيامة) ، وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة ، أو لحـكمة ، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشرى هو كقولك كتبت الـكتاب لست خلون من الشهر (مثقال حبة) أى وزنها والرفع على أن كان تامة ، والنصب على أنهـا ناقصة واسمها مضمر (الفرقان) هنا التوراة ، وقيل التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة (وهـذا ذكر) يعنى القرآن (رشده) أى إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغـير ذلك (من قبـل) أى قبـل موسى وهارون ، وقيل آتيناه رشده قبل النبوة (وكنا به

التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَالِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا

---

عالمين ) أى علمناه أنه يستحق ذلك ( التماثيل ) يعنى الأصنام وكانت على صور بنى آدم ( وجدنا آباءنا ) اعتراف بالتقليد من غير دليل ( قالوا أجئتنا بالحق ) أى هل الذى تقول حق أم مزاح ، وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل ، وعن اللعب بالجملة الإسمية ، لأنه أثبت عندهم ( فطرهن ) أى خلقهن ، والضمير للسموات والأرض ، أو التماثيل ، وهذا أليق بالرد عليهم (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى خروجهم إلى عيدهم (جذاذاً) أى فتاتاً ، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح ، وهو من الجذ بمعنى القطع (إلا كبيراً لهم) ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدوم فى يده ( لعلهم إليه يرجعون) الضمير للصنم الكبير أى يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء ، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أى يرجعون إليه فيبين لهم الحق (قالوا من فعل هذا) قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة ، فقالوا من فعل هذا (فتى يذكرهم) أى يذكرهم بالذم وبقوله لأكيدن أصنامكم (يقال له إبراهيم) قيل إن إعراب إبراهيم منادى ، وقيل خبر ابتداء مضمر ، وقيل رفع على الإهمال ، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله ، لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزمخشرى (لعلهم يشهدون). أى يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له (قال بل فعله كبيرهم) قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم ، كأنه يقول إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض، لأنه كذب ، فإن قيل : فقد جاء فى الحديث إن ابراهيم كذب ثلاث كذبات: أحدها قوله فعله كبيرهم ، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب ، وإن كان القصد به معنى آخر ، ويدل على ذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أى رجعوا إليها بالفكرة والنظر ، أو رجعوا إليها بالملامة (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أى الظالمون لأنفسكم فى عبادتكم مالا ينطق ولا يقدر على شيء أو الظالمون لإبراهيم فى قولكم عنه إنه لمن الظالمين ، وفى تعنيفه على أعين الناس (ثم نكسوا على رءوسهم) استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة (فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون ،

وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۞ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ۞ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ۞ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۞ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۞ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا

---

وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال فى فعلهم ، وغاية المكابرة والمعاندة فى جدالهم ، ويحتمل أن يكون نكسوا على رءوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون : إعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة ، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رءوسهم حقيقة : أى أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة (أف لكم) تقدم الكلام على أف فى الإسراء (قالوا حرقوه) لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم (قلنا يانار كونى برداً وسلاماً) أى ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، واختلف كيف بردت النار فقيل أزال الله عنها مافيها من الحر والإحراق ، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها ، وقيل خلق بينه وبينها حائلا ، ومعنى السلام هنا السلامة ، وقد روى أنه لولم يقل سلاماً لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس فى قصة إبراهيم لعدم صحته ، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه (إلى الأرض التى باركنا فيها) هى الشام خرج إليها من العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها (نافلة) أى عطية ، والتنفيل العطاء ، وقيل سماه نافلة : لأنه عطاء بغير سؤال ، فكأنه تبرع ، وقيل الهبة إسحاق ، والنافلة يعقوب ، لأنه سأل إسحاق بقوله هب لى من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ماسأل ، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى ، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول (يهدون بأمرنا أى يرشدون الناس بإذننا (ولوطا) قيل إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضا ، وقيل بفعل مضمر تقديره اذكر (آتيناه حكما) أى حكما بين الناس : أو حكمة (من القرية) هى سدوم من أرض الشام (وأدخلناه فى رحمتنا) أى فى الجنة أو فى أهل رحمتنا (نادى من قبل) أى دعا قبل إبرهيم ولوط (من الكرب) يعنى من الغرق (ونصرناه من القوم) تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدى بمن ، أو تضمن معنى نجيناه أو أجرناه (وداود وسليمان) كان داود نبيا ملكا ، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاما (فى الحرث) قيل زرع ، وقيل كرم ، والحرث يقال فيهما (إذ نفشت) رعت فيه بالليل

وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ

(لحكمهم) الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين ، وقيل لداود وسليمان خاصة ، على أن يكون أقل الجمع اثنان (ففهمناها سليمان) تخاصم إلى دواد رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب ، فأخبراه بما حكم به أبوه ، فدخل عليه فقال يانبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع ، قال وماهو؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان ، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها ، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها ، والأرض بزرعها إلى ربها ، فقال له داود : وفقت يابني ، وقضى بينهما بذلك ، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء مافات من الزرع ، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان ، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حكما ، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحي أو اجتهاد فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء ، وروى أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه ، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء ، وعلى القول بالجواز اختلف ، هل وقع أم لا ؟ وظاهر قوله ففهمناها سليمان : أنه كان باجتهاد فخص الله به سليمان ففهم القضية ، ومن قال كان بوحي جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود ، وأما حكم إفساد المواشي الزرع في شرعنا ، فقال مالك والشافعي : يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك ، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان ، لأن النفش لايكون إلا بالليل ، وقال أبو حنيفة : لايضمن ماأفسدت بالليل ولا بالنهار ، لقوله صلى الله عليه وسلم : العجماء جرحها جبار (وكلا آتيناه حكما وعلما) قيل يعني في هذه النازلة ، وأن داود لم يخطئ فيها ، ولكنه رجع إلى ماهو أرجح ، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب ، وقيل بل يعني حكما وعلما في غير هذه النازلة ، وعلى هذا القول فإنه أخطأ فيها ، وأن المصيب واحد من المجتهدين (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كان هذا التسبيح قول سبحان الله ، وقيل الصلاة معه إذا صلى ، وقدم الجبال على الطير ، لأن تسبيحها أغرب إذ هي جماد (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل هذا ، وقال ابن عطية : معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود استوجب ذلك مناصفة (صنعة لبوس) يعني دروع الحديد ، وأول من صنعها داود عليه السلام ، وقال ابن عطية اللبوس في اللغة السلاح وقال الزمخشري اللبوس اللباس (لتحصنكم من بأسكم) أي لتقيكم في القتال وقرئ بالياء والتاء والنون ، فالنون لله تعالى ، والتاء للصنعة ، والياء لداود أو للبوس (فهل أنتم شاكرون) لفظ استفهام ، ومعناه استدعاء إلى الشكر (ولسليمان الريح عاصفة) عطف الريح على الجبال ، والعاصفة هي الشديدة فإن قيل : كيف يقال عاصفة وقال في ص رخاء أي لينة ؟ فالجواب : أنها كانت في نفسها لينة طيبة ، وكانت تسرع في جريها كالعاصف فجمعت الوصفين ، وقيل كانت رخاء في ذهابه ، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه ، لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع ؛ وقيل كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته (إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني أرض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه فخص في الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها (يغوصون له) أي

عَٰلِمِينَ ۝ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ

---

يدخلون فى الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار (عملا دون ذلك) أقل من الغوص كالبنيان والخدمة (وكنالهم حافظين) أى نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ماصنعوه، وقيل معناه عالمين بعددهم (وأيوب إذ نادى ربه) كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم، وقيل من بنى إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم سلط البلاء[1] على جسمه فصبر إلى أن مر به قومه فشمتوا به، فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ليس تصريحا بالدعاء، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان فى ذلك من حسن التلطف ماليس فى التصريح بالطلب (فكشفنا مابه من ضر) لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم فى الدنيا وقيل فى الآخرة، وقيل ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله (رحمة من عندنا) أى رحمة لأيوب، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين (وذا الكفل) قيل هو إلياس وقيل زكريا، وقيل نبى بعث إلى رجل واحد، وقيل رجل صالح غير نبى، وسمى ذا الكفل: أى ذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده (وذا النون) هو يونس عليه السلام، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه (إذ ذهب مغاضبا) أى مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله ولا تكن كصاحب الحوت، ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه (فظن أن لن نقدر عليه) أى ظن أن لن نضيق عليه، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه، وقيل هو من القدر والقضاء: أى ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة (فنادى فى الظلمات) قيل هذا الكلام محذوف لبيانه فى غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمى فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات، وهى ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله وتركهم فى ظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذى اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم (ونجيناه من الغم) يعنى من بطن الحوت وإخراجه إلى البر (وكذلك ننجى المؤمنين) يحتمل أن يكون مطلقا أو لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة أخى يونس ذى النون مادعا بها مكروب إلا استجيب له (لاتذرنى

---

(١) المراد بالبلاء المرض الذى أصابه وهو مرض باطنى لاتنفر منه الطباع البشرية لعصمة الأنبياء من ذلك

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ ۞ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۞ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۞ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۞ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۞ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً

---

فرداً) أي بلا ولد ولا وارث (وأنت خير الوارثين) إن لم ترزقني وارثا فأنت خير الوارثين، فهو استسلام لله (وأصلحنا له زوجه) يعني ولدت بعد أن كانت عقيما، واسم زوجته أشياع، قاله السهيلي (يسارعون في الخيرات) والضمير للأنبياء المذكورين (رغبا ورهبا) الرغب الرجاء، والرهب الخوف، وقيل الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب أن ترفع ظهورها (والتي أحصنت فرجها) هي مريم بنت عمران ومعنى أحصنت من العفة أي أعفته عن الحرام والحلال، كقولها لم يمسسني بشر (فنفخنا فيها من روحنا) أي أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو الملك (آية) أي دلالة، ولذلك لم يثن (إن هذه أمتكم) أي ملتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أي إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين، لأن جميع الأنبياء متفقون في أصول العقائد (فتقطعوا أمرهم) أي اختلفوا فيه، وهو استعارة من جعل الشيء قطعا، والضمير للمخاطبين، قيل فالأصل تقطعتم (فلا كفران لسعيه) أي لا إبطال ثواب عمله (وإنا له كاتبون) أي نكتب عمله في صحيفته (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قرئ حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام، واختلف في معنى الآية، فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنع على قرية أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا، ولا زائدة في الوجهين، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة، ويتصور فيه الوجهان، وتكون لا نافية فيهما أي حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، ولا على هذا نافية أيضا، ففيه رد على من أنكر البعث (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون، وجواب إذا: فإذا هي شاخصة، وقيل الجواب ياويلنا لأن تقديره يقولون ياويلنا، وفتحت يأجوج ومأجوج أي فتح سدها لحذف المضاف (وهم من كل حدب ينسلون) الحدب المرتفع من الأرض، وينسلون: أي يسرعون، والضمير ليأجوج ومأجوج: أي يخرجون من كل طريق لكثرتهم، وقيل لجميع الناس (الوعد الحق) يعني القيامة (فإذا هي شاخصة) إذا هنا للمفاجأة، والضمير عند سيبويه ضمير القصة، وعند الفراء للأبصار، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب

مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

---

جهنم ) هذا خطاب للمشركين ، والحصب : ما توقد به النار : كالحطب وقرأ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه «حطب جهنم» ، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توبيخا لمن عبدها (واردون) الورود هنا الدخول (زفير) ذكر في هود (لا يسمعون) قيل يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئا ، وقيل يصمهم الله كما يعميهم (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) سبقت أي قضيت في الأزل ، والحسنى السعادة ، ونزلت الآية لما اعترض ابن الزبعرى على قوله : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا ، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد ، واللفظ مع ذلك على عمومه في كل من سبقت له السعادة (حسيسها) أي صوتها (الفزع الأكبر) أهوال القيامة على الجملة ، وقيل ذبح الموت وقيل النفخة الأولى في الصور لقوله ففزع من السموات ومن في الأرض (كطي السجل للكتب) السجل الصحيفة والكتاب مصدر : أي كما يطوى السجل ليكتب فيه ، أو ليصان الكتاب الذي فيه ، وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف ، وقيل هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، وهذا أيضا ضعيف (كما بدأنا أول خلق نعيده ) أي كما قدرنا على البداءة نقدر على الإعادة ، فهو كقوله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناهم كما جاء في الحديث : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده ، والكاف متعلقة بقوله نعيده (فاعلين) تأكيداً لوقوع البعث ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ) في الزبور هنا قولان : أحدهما أنه كتاب داود ، والذكر هنا على هذا التوراة التي أنزل الله على موسى ، وما في الزبور من ذكر الله تعالى ، والقول الثاني أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء ، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ : أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرده بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها ، والأول أرجح ، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالا ، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ، ولأن النص قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وقيل الأرض المقدسة ، وقيل أرض الجنة ، والأول أظهر ، والعباد الصالحون : أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ففي الآية ثناء عليهم ، وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) هذا خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تشريف عظيم ، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول ،

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝

## سورة الحج

مدنية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ

---

والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدرا فى موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولا من أجله، والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة فى الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب من وجهين: أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، والآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ماعوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك (آذنتكم على سواء) أى أعلمتكم بالحق على استواء فى الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر (وإن أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون) إن هنا وفى الموضع الآخر نافية، وأدرى فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده فى موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه، والهمزة فى قوله أقريب للتسوية لا لمجرد الاستفهام، وقيل يوقف على إن أدرى فى الموضعين، ويبتدأ بما بعده، وهذا خطأ لأنه يطلب مابعده (لعله فتنة) الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم (ومتاع إلى حين) أى الموت أو القيامة (المستعان على ماتصفون) أى أستعين به على الصبر على ماتصفون من الكفر والتكذيب

## سورة الحج

(اتقوا ربكم) تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (إن زلزلة الساعة) أى شدتها وهولها كقوله وزلزلوا، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله إذا زلزلت الأرض زلزالها، والجملة تعليل الأمر بالتقوى، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك فى الدنيا بين يدى القيامة، أو بعد أن تقوم القيامة، والأرجح أن ذلك قبل القيامة، لأن فى ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة (يوم ترونها) العامل فى الظرف تذهل، والضمير للزلزلة، وقيل الساعة، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها (تذهل) الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة (مرضعة) إنما لم يقل مرضع، لأن المرضعة هى التى

ٱللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ

---

فى حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبى ، والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به ، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم فى الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبى حينئذ (وترى الناس سكارى) تشبيه بالسكارى من شدة الغم (وما هم بسكارى) فى حقيقة السكر ، وقرئ سكرى والمعنى متفق (ومن الناس من يجادل فى الله) نزلت فى النضر بن الحارث ، وقيل فى أبى جهل ، وهى تتناول كل من اتصف بذلك (شيطان مريد) أى شديد الإغواء ، ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس (كتب) تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب ، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله وفى أنه عطف عليه وقيل تأكيد (من تولاه) أى تبعه أو اتخذه وليا ، والضمير فى عليه وفى أنه فى الموضعين وفى تولاه للشيطان ، وفى يضله ، ويهديه للمتولى له ، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولا لمن يجادل (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث) الآية : معناها إن شككتم فى البعث الأخروى فزوال ذلك الشك أن تنظروا فى ابتداء خلقتكم فتعلموا أن الذى قدر على أن خلقكم أول مرة : قادر على أن يعيدكم ثانى مرة ، وأن الذى قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها : قادر على أن يخرجكم من قبوركم (خلقناكم من تراب) إشارة إلى خلق آدم ، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم (من علقة) العلقة قطعة من دم جامدة (من مضغة) أى قطعة من لحم (مخلقة) المخلقة التامة الخلقة ، وغير المخلقة الغير التامة : كالسقط ، وقيل المخلقة المسواة السالمة من النقصان (لنبين لكم) اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث (ونقر) فعل مستأنف (إلى أجل مسمى) يعنى وقت وضع الحمل وهو يختلف وأقله ست أشهر إلى ما فوق ذلك (نخرجكم طفلا) أفرده لأنه أراد الجنس ، أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلا (لتبلغوا أشدكم) هو كمال القوة والعقل والتمييز ، وقد اختلف فيه من ثمانى عشرة سنة إلى خمس وأربعين (أرذل العمر) ذكر فى النحل (هامدة) يعنى لا نبات فيها (اهتزت) تحركت بالنبات وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء (وربت) انتفخت (زوج بهيج) أى صنف عجيب (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل ، بأن الله هو الحق ، هكذا قدره الزمخشرى ، والباء على هذا سببية ، وبهذا المعنى أيضا فسره ابن عطية ، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله : وأن الساعة آتية : معطوفا على ذلك ، لأنه ليس بسبب لما ذكر ، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر ، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض ، أو على تقدير والأمر أن الساعة وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان : أما قوله إن الأمر مرتبط بعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصح ، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة ، فذلك استئناف

اللهَ هو الحقُّ وأنّه يحيي الموتى وأنّه على كلّ شيءٍ قدير ❁ وأنّ السّاعة ءاتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور ❁ ومن النّاس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منير ❁ ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله له في الدّنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ❁ ذالك بما قدّمت يداك وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد ❁ ومن النّاس من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابه خيرٌ اطمأنّ به وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه خسر الدّنيا والآخرة ذالك هو الخسران المبين ❁ يدعوا من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه ذالك هو الضّلال البعيد ❁ يدعوا لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ❁ إنّ الله يدخل الّذين ءامنوا وعملوا الصّالحات جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار إنّ الله يفعل ما يريد ❁ من كان يظنّ أن لن ينصره الله في

---

وقطع للكلام الأول ، ولاشك أن المقصود من الكلام الأول : هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله ، والذي يظهر لي أن الباء لبست بسببية، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى ؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت فيمن نزلت فيه الأولى وقيل في الأخنس بن شريق (ثاني عطفه) كناية عن المتكبر المعرض (له في الدنيا خزي) إن كانت في النضر بن الحارث : فالخزي أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل (ذلك بما قدمت يداك) أي يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله ، لأنه لا يظلم العباد (من يعبد الله على حرف) نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم اذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين حسن ، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتدّ عن الإسلام ، فالحرف هنا كناية عن المقصد ، وأصله من الانحراف عن الشيء ، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لا في وسطه (خسر الدنيا والآخرة) خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها ، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده (ما لا يضره) يعني الأصنام ويدعو بمعنى يعبد في الموضعين (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) فيها إشكالان : الأول في المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، ثم وصفها بأن ضرّها أقرب من نفعها فنفى الضرّ ثم أثبته، فالجواب أن الضر المنفي أولا يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئا ، والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره ، والاشكال الثاني دخول اللام على من وهي في الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول ، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه : أحدها أن اللام مقدمة على موضعها ، كأن الأصل أن يقال يدعو من لضره أقرب من نفعه ، فموضعها الدخول على المبتدإ ، والثاني أن يدعو هنا كرر تأكيداً ليدعو الأول وتم الكلام عنده ، ثم ابتدأ قوله لمن ضرّه ، فمن مبتدأ وخبره لبئس المولى، وثالثها أن معنى يدعو يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرة الأصنام فدخلت اللام على مبتدإ في أول الكلام (المولى) هنا بمعنى الولي (العشير) الصاحب فهو من العشيرة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : لما ذكر أن

الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِـِٔينَ وَالنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى

---

الأصنام لا تنفع من عبدها ، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع ، وهو دخول الجنة (فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع) السبب هنا الحبل ، والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الحبال ، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل ، يقال قطع الرجل إذا اختنق ، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل فى العنق ، وربطه فى السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته أوطمعا فيما لا يصل إليه ، كقوله للحسود : مت كمدا ، أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك ، وفى معنى الآية قولان الأول أن الضمير فى ينصره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل ، فإن الله ناصره ولابد على غيظ الكفار ، فوجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول الثانى أن الضمير فى ينصره عائد على من ، والمعنى على هذا من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله : فليختنق وليمت بغيظه ، فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فوجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييأس من نصره ، ولذلك فسر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه ، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين : أحدهما أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف ، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله : ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية : إن الله يفعل ما يريد : أى الأمور بيد الله فلا ينبغى لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة ، والوجه الثانى ، أن الضمير فى ينصره على هذا القول يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) الكيد هنا يراد به اختناقه ، وسمى كيدا لأنه وضعه موضع الكيد ، إذ هو غاية حيلته ، والمعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر ، أى ليس يذهبه (وكذلك أنزلناه) الضمير للقرآن أى مثل هذا أنزلنا القرآن كله ( آيات بينات وأن الله يهدى من يريد) قال ابن عطية أن فى موضع خبر الابتداء والتقدير الأمر أن الله ، وهذا ضعيف ، لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذى قبله ، وقال الزمخشرى التقدير لأن الله يهدى من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات ، فجعل أن تعليلا للإنزال ، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو والصحيح عندى أن قوله وأن الله معطوف على آيات بينات ، لأنه مقدر بالمصدر ، فالتقدير أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه (والصابئين) ذكر فى البقرة ، كذلك الذين هادوا (والمجوس) هم الذين يعبدون النار ، ويقولون : إن الخير من النور والشر من الظلمة (والذين أشركوا) هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم (إن الله يفصل بينهم) هذه الجملة هى خبر إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية ، وكررت مع الخبر للتأكيد ، وفصل الله بينهم أن يبين لهم أن الإيمان هو الحق ، وسائر الأديان باطلة ، وبأن

السَّمٰوٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۩ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۩ كُلَّمَا أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۩ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ

---

يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار (يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض) دخل فى هذا من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس فى ذلك لأنه ذكرهم فى آخر الآية ، إلا أن يكون ذكرهم فى آخرها على وجه التجريد ، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف لأنه لا يصح فى حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما ، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين أحدهما الانقياد لطاعة الله طوعا ، والآخر الانقياد لما يجرى الله على المخلوقات فى أفعاله وتدبيره شاؤا أو أبوا (وكثير من الناس) إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله ، فيكون كثير من الناس معطوفا على ما قبله من الأشياء التى تسجد ويكون قوله وكثير حق عليه العذاب مستأنفا يراد به من لا ينقاد للطاعة ويوقف على قوله وكثير من الناس ، وهذا القول هو الصحيح ؛ وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره فلا يصح تفضيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى ، وقيل إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد وهذا ضعيف لأن قوله حق عليه العذاب يقتضى ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود ، وتأوله الزمخشرى على هذا المعنى ، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمر تقديره يسجد سجود طاعة أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره مثاب وهذا تكلف بعيد (هذان خصمان) الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس فى أديانهم ، وهو قول ابن عباس ، وقيل نزلت فى على ابن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات ، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة ، والمراد به هنا الجماعة ؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين ( اختصموا فى ربهم ) أى فى دينه وفى صفاته والضمير فى اختصموا لجماعة الفريقين ( فالذين كفروا ) الآية : حكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا (قطعت لهم ثياب من نار) أى فصلت على قدر أجسادهم ، وهو مستعار من تفصيل الثياب (الحميم) الماء الحار (يصهر به ما فى بطونهم) أى يذاب ، وذلك أن الحميم إذا صب على رؤسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها ، وقيل معنى يصهر ينضج ( مقامع ) جمع مقمعة أى مقرعة (من حديد) يضربون بها ، وقيل هى السياط (من غم) بدل من المجرور قبله (وذوقوا) التقدير يقال لهم ذوقوا ( من أساور من ذهب ) من لبيان الجنس أو للتبعيض وفسرنا الأساور فى الكهف ( ولؤلؤا )

وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝

---

بالنصب مفعول بفعل مضمر أى يعطون لؤلؤا ، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول ، وبالخفض معطوف على أساور أو على ذهب (الطيب من القول) قيل هو لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (صراط الحميد) أى صراط الله ، فالحميد اسم الله ، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد ، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع (إن الذين كفروا) خبره محذوف يدل عليه قوله نذقه من عذاب أليم، وقيل الخبر يصدون على زيادة الواو ، وهذا ضعيف ، وإنما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل (سواء) بالرفع مبتدأ وخبره مقدر والجملة فى موضع المفعول الثانى لجعلنا، وقرئ بالنصب على أنه المفعول الثانى والعاكف فاعل به (العاكف فيه والباد) العاكف المقيم فى البلد والبادى القادم عليه من غيره والمعنى أن الناس سواء فى المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد وذلك إجماع ، وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة فى ذلك كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة ، وقال مالك وغيره ليست الدور فى ذلك كالمسجد ، بل هى متملكة (بإلحاد بظلم) الإلحاد الميل عن الصواب ، والظلم هنا عام فى المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، لأن الذنوب فى مكة أشد منها فى غيرها ، وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد أحداً أو من يرد شيئاً ، وبإلحاد بظلم : حالان مترادفان ، وقيل المفعول قوله بإلحاد على زيادة الباء (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت العامل فى إذ مضمر تقديره اذكر وبوأنا أصله من باء بمعنى رجع ، ثم ضوعف ليتعدى ، واستعمل بمعنى أنزلنا فى الموضع كقوله تبوئ المؤمنين ، إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله لإبراهيم لتعدى الفعل باللام ، وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زائدة ، وقيل معناه هيأنا، وقيل جعلنا ، والبيت هنا الكعبة ، وروى أنه كان آدم يعبد الله فيه ، ثم درس بالطوفان ، فدل الله إبراهيم عليه السلام على مكانه ، وأمره ببنيانه (أن لا تشرك) أن مفسرة ، والخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وإنما فسرت تبوئة البيت بالنهى عن الإشراك ، والأمر بالتطهير ، لأن التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التى تقتضى ذلك (طهرا بيتى) عام فى التطهير من الكفر والمعاصى والأنجاس وغير ذلك (والقائمين) يعنى المصلين (وأذن فى الناس بالحج) خطاب لإبراهيم ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول هو الصحيح ، روى أنه لما أمر بالأذان بالحج : صعد على جبل أبى قبيس، ونادى : أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا ، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم فى أصلاب آبائهم وأجابه فى ذلك الوقت كل شىء من جماد وغيره . لبيك اللهم لبيك ، فجرت التلبية على ذلك (يأتوك رجالا) جمع راجل أى ماشيا على رجليه (وعلى كل ضامر) الضامر يراد به كل ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك وإنما وصفه بالضمور لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره ، وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وركبانا ، واستدل

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۞ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي

بعضهم بتقديم الرجال فى الآية على أن المشى إلى الحج أفضل من الركوب ، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر بهذه الآية ، على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر ( يأتين ) صفة لكل ضامر ، لأنه فى معنى الجمع (من كل فج عميق) أى طريق بعيد ( منافع لهم ) أى بالتجارة ، وقيل أعمال الحج وثوابه ، واللفظ أعم من ذلك (ويذكروا اسم الله) يعنى التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفى الهدايا والضحايا ، وقيل يعنى الذكر على الإطلاق ، وإنما قال اسم الله ، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء ( فى أيام معلومات ) هى عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لأن هذه هى أيام الضحايا عنده ، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله فى أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذى الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده ، وقيل عشر ذى الحجة خاصة ، وأما الأيام المعدودات فهى الثلاثة بعد يوم النحر ، فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات (فكلوا منها) ندب أو إباحة ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر (البائس) الذى أصابه البؤس وقيل هو المتكفف وقيل الذى يظهر عليه أثر الجوع (ثم ليقضوا تفثهم) التفث فى اللغة الوسخ فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظف بعد أن يحلوا من الحج ، وقيل التفث أعمال الحج ، وقرئ بكسر اللام وإسكانها ، وهى لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوفوا (وليطوفوا) المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين وهو الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أى القديم ، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق الكريم ، كقولهم : فرس عتيق ، وقيل أعتق من الجبابرة أى منع منهم ، وقيل العتيق هو الذى لم يملكه أحد قط (ذلك) هنا وفى الموضع الثانى مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ، ثم يقول هذا وقد كان كذا ، وأجاز بعضهم الوقف على قوله ذلك فى ثلاثة مواضع من هذه السورة وهى هذا و« ذلك ومن يعظم شعائر الله » و« ذلك ومن يشرك بالله » لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمر ، والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبى جعفر بن الزبير ، لأن ما بعدها ليس كلاما أجنبيا ، ومثلها « ذلك ومن عاقب » و« ذلكم فذوقوه » فى الأنفال ، و« هذا وإن للطاغين » فى ص (حرمات الله) جمع حرمة ، وهو مالا يحل هتكه من جميع الشريعة ، فيحتمل أن يكون هنا على العموم ، أو يكون خاصا بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه (فهو خير له) أى التعظيم للحرمات خير (إلا ما يتلى عليكم) يعنى ما حرمه فى غير هذا الموضع كالميتة (الرجس من الأوثان) من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذى هو الأوثان ، والمراد النهى عن عبادتها أو عن الذبح تقربا إليها كما كانت العرب تفعل (قول الزور) أى الكذب ، وقيل شهادة الزور (فكأنما خر من السماء) الآية ، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد الهلاك (سحيق) أى بعيد (شعائر الله) قيل هى الهدايا

بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ، ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ، لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَـٰمِ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِى الصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ، وَالْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا

---

فى الحج وتعظيمها بأن تختار سمانا عظاما غالية الأثمان ، وقيل مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة ، وتعظيمها إجلالها وتوقيرها والقصد اليها ، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها (فإنها من تقوى القلوب) الضمير عائد على الفعلة التى يتضمنها الكلام وهى مصدر يعظم ، وقال الزمخشرى : التقدير : فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات (لكم فيها منافع) من قال إن شعائر الله هى الهدايا ، فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها ، والأجل المسمى نحرها . ومن قال إن شعائر الله مواضع الحج ، فالمنافع التجارة فيها أو الأجر : والأجل المسمى : الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة (ثم محلها إلى البيت العتيق) من قال إن شعائر الله الهدايا فحلها موضع نحرها وهى منى ومكة ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى ، وثم على هذا القول ليست للترتيب فى الزمان لأن محلها قبل نحرها ، وإنما هى لترتيب الجمل ، ومن قال إن الشعائر موضع الحج ، فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم : أى آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعنى طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الاطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت (ولكل أمة جعلنا منسكا) أى لكل أمة مؤمنة ، والمنسك اسم مكان أى موضعها لعبادتهم ، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة ، والمراد بذلك الذبائح لقوله (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام) بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام (فإلهكم إله واحد) فى وجه اتصاله بما قبله وجهان : أحدهما أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله فإلهكم إله واحد أى هو الذى شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم ، والثانى أنه إشارة إلى الذبائح أى إلهكم إله واحد فلا تذبحوا تقربا لغيره (المخبتين) الخاشعين وقيل المتواضعين ، وقيل نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين واللفظ فيهما أعم من ذلك (وجلت) خافت (والبدن) جمع بدنة ، وهو ما أشعر من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ، وانتصابه بفعل مضمر (من شعائر الله) واحدها شعيرة ، ومن للتبعيض ، واستدل بذلك من قال إن شعائر الله المذكورة أو على العموم فى أمور الدين (لكم فيها خير) قيل الخير هنا المنافع المذكورة قبل ، وقيل الثواب ، والصواب العموم فى خير الدنيا والآخرة (صواف) معناه قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ، وهى منصوبة على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحده صافة (وجبت جنوبها) أى سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال وجب

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ

---

الحائط وغيره إذا سقط (القانع) معناه السائل ، وهو من قولك قنع الرجل بفتح النون : إذا سأل ، وقيل معناه المتعفف عن السؤال ، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضى بالقليل (والمعتر) المعترض بغير سؤال ، ووزنه مفتعل ، يقال اعتررت بالقوم إذا تعرضت لهم ، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله ، وأطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية ، ومن تعرض للعطاء (كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم ، وقال الزمخشرى التقدير مثل التخيير الذى علمتم سخرناها لكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء ، وإنما تصلون إليه بالتقوى أى بالإخلاص لله ، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا ، فعبر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيداً ، لأنه قال لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله ، وإنما تصل بالتقوى منكم ، فإن ذلك هو الذى طلب منكم ، وعليه يحصل لكم الثواب ، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية (كذلك سخرها لكم) كرر للتأكيد (لتكبروا الله) قيل يعنى قول الذابح بسم الله والله أكبر ، واللفظ أعم من ذلك (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة ، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم ، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم ، وقرئ يدافع بالألف ، ويدفع بسكون الدال من غير الألف ، وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر ، وقال الزمخشرى : يدافع : معناه يبالغ فى الدفع عنهم ، لأنه للمبالغة ، وفعل المغالبة أقوى (إن الله لا يحب كل خوان كفور) الخوان مبالغة فى خائن ، والكفور مبالغة فى كافر ، قال الزمخشرى هذه الآية علة لما قبلها (أذن للذين يقاتلون) هذه أول آية نزلت فى الإذن فى القتال ، ونسخت الموادعة مع الكفار ، وكان نزولها عند الهجرة ، وقرئ أذن بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله ، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى ، والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ، وقرئ يقاتلون بفتح التاء وكسرها (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة ، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام فى معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم (إلا أن يقولوا ربنا الله) قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه ، وقال الزمخشرى أن يقولوا : فى محل الجر على الابدال من حق (ولولا دفع الله الناس) الآية تقوية للإذن فى القتال وإظهار للمصلحة التى فيه كأنه يقول لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وقيل المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، والأول أليق بسياق الآية ، وقرئ دفاع بالألف مصدر دافع ،

يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ

---

وبغير ألف مصدر دفع (لهدمت) قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة (صوامع) جمع صومعة بفتح الميم وهى موضع العبادة وكانت للصابئين ولرهبان النصارى ، ثم سمى بها فى الإسلام موضع الأذان ، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهى كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود ، وقيل هى مشتركة لكل أمة ، والمراد بها مواضع الصلوات ، والمساجد للمسلمين ، فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة فى أزمانهم ، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم (يذكر فيها اسم الله) الضمير لجميع ماتقدم من المتعبدات ، وقيل للمساجد خاصة (ولينصرن الله من ينصره) أى من ينصر دينه وأولياءه ، وهو وعد تضمن الحض على القتال (الذين إن مكناهم) الآية : قيل يعنى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الصحابة ، وقيل الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكنوا فى الأرض بالخلافة ففعلوا ماوصفهم الله به (وإن يكذبوك) الآية ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية له والوعيد لهم (نكير) مصدر بمعنى الإنكار (على عروشها) العروش السقف فإن تعلق الجار بخاوية · فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهى فوقها ، وإن كان الجار والمجرور فى موضع الحال : فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها (بئر معطلة) أى لايستقى الماء منها لهلاك أهلها ، وروى أن هذه البئر هى الرس ، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود ، والأظهر أنه لم يرد التعيين ، لقوله وكأين من قرية ، وهذا اللفظ يراد به التكثير (وقصر مشيد) أى مبنى بالشيد وهو الجص ، وقيل المشيد المرفوع البنيان (قلوب يعقلون) دليل على أن العقل فى القلب خلافا للفلاسفة فى قولهم العقل فى الدماغ (فإنها لا تعمى الأبصار) أى لا تعمى الأبصار عمى يعتد به ، وإنما العمى الذى يعتد به عمى القلوب ، وإن هؤلاء القوم ماعميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم ، فالمعنى الأول لقصد المبالغة ، والثانى خاص بهؤلاء القوم (التى فى الصدور) مبالغة كقوله يقولون بأفواههم (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير لكفار قريش (ولن يخلف الله وعده) إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب ، وسماه وعدا ؛ لأن المراد به مفهوم (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) المعنى أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف

أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى الشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ لَفِى

---

يوم وذلك خمسمائة سنة وقيل المعنى إن يوما واحدا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت فى الحقيقة قصيرة ، وفى كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ، لأن الألف سنة فيه حقيقة ، وقيل إن اليوم المذكور فى الآية هو يوم من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض (وكأين من قرية) ذكر أولا القرى التى أهلكها بغير إملاء ، وذكر هنا التى أهلكها بعد الإملاء ، والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد ، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبلها بالواو ، وقال فى الأولى فكأين لأنه بدل من قوله فكيف كان نكير (سعوا فى آياتنا) أى سعوا فيها بالطعن عليها ، وهو من قولك سعى فى الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده (معاجزين) بالألف : أى مغالبين ، لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات ، والآيات تقتضى عجزهم ، فصارت مفاعلة ، وقرئ بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أى يثبطونهم عنه (من رسول ولا نبىّ) النبىّ أعم من الرسول فكل رسول نبىّ وليس كل نبىّ رسولا ، فقدم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وأخر النبى لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل فى ذلك من كان نبيا غير رسول (إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلما بلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان ، تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف فى كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل إن الشيطان هو الذى تكلم بذلك ، وظن الناس أن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبىّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس فى قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، والقول الثانى أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، والقول الأول أرجح ، لأن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم معصوم فى التبليغ ، فمعنى الآية أن كل نبى وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان ، واختلف فى معنى تمنى وأمنيته فى هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا ، والأمنية : التلاوة : أى إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده فى تلاوته ، وقيل هو من التمنى بمعنى حب الشىء ، وهذا المعنى أشهر فى اللفظ : أى تمنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقاربة قومه واستئلافهم ، وألقى الشيطان ذلك فى هذه الأمنية ليعجبهم ذلك (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله كقولك نسخت الشمس الظل (ليجعل) متعلق بقوله ينسخ ويحكم (للذين فى قلوبهم مرض) أى أهل الشك (والقاسية

شقَاقٍ بَعِيدٍ ۞ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۞ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ ۞ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَٰطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ لَهُ مَا فِى

---

قلوبهم) المكذبون ، وقيل الذين فى قلوبهم مرض عامة الكفار ، والقاسية قلوبهم أشد كفرا وعتوا كأبى جهل (وإن الظالمين لفى شقاق بعيد) يعنى بالظالمين المذكورين قبل، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ، ليقضى عليهم بالظلم ، والشقاق : العداوة ، ووصفه ببعيد ، لأنه فى غاية الضلال والبعد عن الخير ( الذين أوتوا العلم) قيل يعنى الصحابة ، واللفظ أعم من ذلك (أنه الحق) الضمير عائد على القرآن ، وقال الزمخشرى هو لتمكين الشيطان من الإلقاء (فتخبت) أى تخشع (فى مرية منه) الضمير للقرآن ، أو للنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو الإلقاء ( يوم عقيم ) يعنى يوم بدر ، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم ، لأنهم يقتلون فيه ، وقيل هو يوم القيامة ، والساعة مقدماته ، ويقوى ذلك قوله : الملك يومئذ لله ، ثم قسم الناس إلى قسمين : أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم (قتلوا أوماتوا) روى أن قوما قالوا يارسول الله قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل من الخيرات ، فما لمن مات معك ، فنزلت الآية معلمة أن الله يرزق من قتل ومن مات معا ، ولا يقتضى ذلك المساواة بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت (رزقا حسنا) يحتمل أن يريد به الرزق فى الجنة بعد يوم القيامة ، أو رزق الشهداء فى البرزخ ، والأول أرجح، لأنه يعم الشهداء والموتى ( مدخلا) يعنى الجنة (ذلك) تقديره هنا : الأمر ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) سمى الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضا باسم الذنب ووعد بالنصر لمن بغى عليه (إن الله لعفو غفور ) إن قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة ؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أن فى ذكر هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة ، فكأنه حض على العفو، والثانى أن فى ذكرهما إعلاما بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذى هو أولى ( ذلك بأن الله يولج الليل) أى ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل، ومعنى الإيلاج هنا أنه يدخل ظلمة هذا فى مكان ضوء هذا ، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا ، وقيل الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر ( ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك الوصف الذى وصف الله به هو

السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ۞ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

---

بسبب أنه الحق ( فتصبح الأرض مخضرة) تصبح هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر، فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة والبلاد الحارة ، وأما على معنى تصير فذلك عام فى كل بلد ، والفاء للعطف ، وليست بجواب ، ولو كانت جوابا لقوله ألم تر لانصبت الفعل، وكان المعنى نفى خضرتها وذلك خلاف المقصود ، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة (سخر لكم ما فى الأرض) يعنى البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك ( أن تقع) فى موضع مفعول على تقدير عن أن تقع ، وقال الزمخشرى كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله (إلا بإذنه ) يحتمل أن يريد يوم القيامة ، فجعل طى السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء (أحياكم) أى أوجدكم بعد العدم ، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح ، ثم أحياه بنفخ الروح (ثم يميتكم) يعنى الموت المعروف (ثم يحييكم) يعنى البعث (لكفور) أى جحود للنعمة (منسكا) هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه (فلا ينازعنك) ضمير الفاعل للكفار ، والمعنى : أنه لا ينبغى منازعة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه ، فجاء الفعل بلفظ النهى والمراد غير النهى ، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ، ويحتمل أن يكون نهيا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ (فى الأمر) أى فى الدين والشريعة أو فى الذبائح (وادع إلى ربك) أى ادع الناس إلى عبادة ربك (وإن جادلوك) الآية : تقتضى موادعة منسوخة بالقتال ( إن ذلك فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله (إن ذلك على الله يسير) يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات فى الكتاب ، أو إلى الحكم فى الاختلاف والأول أظهر ( مالم ينزل به سلطانا) يعنى الأصنام ؛ والسلطان هنا : الحجة والبرهان، ومالیس لهم به علم : قيل إنه يعنى ماليس لهم به علم ضرورى ، فنفى أولا البرهان النظرى ، ثم العلم الضرورى ، وليس اللفظ بظاهر فى هذا المعنى بل الأحسن نفى العلم الضرورى والنظرى معا (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر : كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك فى وجوههم بعبوسها وإعراضها ( يسطون) من السطوة

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

---

وهي سرعة البطش (النار وعدها الله) يحتمل أن تكون النار مبتدأ، ووعدها الله خبرا أو يكون النار خبر ابتداء مضمر كأنّ قائلا قال ماهو ، فقيل هو النار، ويكون وعدها الله استئنافا وهذا أظهر (ضرب مثل) أى ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين (لن يخلقوا ذبابا) تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى والمعنى أن الأصنام التى تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره ، فكيف تعبد من دون الله الذى خلق كل شىء ، ثم أوضح عجزهم بقوله ( ولو اجتمعوا له) أى لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ) بيان أيضا لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذى كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك (ضعف الطالب والمطلوب) المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها . وقيل الطالب الكفار والمطلوب الأصنام . لأن الكفار يطلبون الخير منهم (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) ردّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر (اركعوا واسجدوا) فى هذه الآية سجدة عند الشافعى وغيره للحديث الصحيح الوارد فى ذلك خلافا للمالكية (واعبدوا ربكم) عموم فى العبادة بعد ذكر الصلاة التى عبر عنها بالركوع والسجود ، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات (وافعلوا الخير) قيل المراد صلة الرحم ، وقال ابن عطية هى فى الندب فيما عدا الواجبات ، واللفظ أعم من ذلك كله (وجاهدوا فى الله) يحتمل أن يريد جهاد الكفار ، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى ، أو العموم فى ذلك ( حق جهاده ) قيل إنه منسوخ كنسخ حق تقاته بقوله ما استطعتم ، وفى ذلك نظر ، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله (اجتباكم) أى اختاركم من بين الأمم (من حرج) أى مشقة ، وأصل الحرج الضيق (ملة أبيكم إبراهيم) انتصب ملة بفعل مضمر تقديره أعنى بالدين ملة إبراهيم ، أو التزموا ملة إبراهيم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال كملة ، وقال الزمخشرى انتصب بمضمون ما تقدم : كأنه قال وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف ، فإن قيل : لم يكن إبراهيم أبا للمسلمين كلهم ، فالجواب : أنه أبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبا لأمته لأن أمة الرسول فى حكم أولاده ، ولذلك قرئ وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم ، وأيضا فإن قريشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم (هو سماكم) الضمير لله تعالى ومعنى من قبل فى الكتب المتقدمة ، وفى هذا أى فى القرآن ، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَـٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۞

## ســـورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ

---

قوله : ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، ومعنى من قبل على هذا : من قبل وجودكم ، وهنا يتم الكلام على هذا القول ويكون قوله «وفى هذا» مستأنفا : أى وفى هذا البلاغ ، والقول الأول أرجح وأقل تكلفا ، ويدل عليه قراءة أبيّ بن كعب : الله سماكم المسلمين (شهيدا عليكم) تقدم معنى هـذه الشهادة فى البقرة (فأقيموا الصلاة) الظاهر أنها المكتوبة لاقترانها مع الزكاة (هو مولاكم) معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة مابعد ذلك

## ســـورة المؤمنون

(الذين هم فى صلاتهـم خاشعون) الخشوع حالة فى القلب من الخوف والمراقبة والتـذلل لعظمة المولى جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع فى فرائض الصلاة ، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها ، وقد جاء فى الحديث لايكتب للعبد من صلاته إلا ماعقل منها ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب ، فقد يحضر القلب ولايخشع (عن اللغو معرضون) اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو ، والكلام بما لا يعنى ، وعدد أنواع المنهى عنه من الكلام عشرون نوعا ، ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه والدخول فيه ، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ، ولـكن إعراضهم عن سماعه يقتضى ذلك من باب أولى وأحرى (للزكاة فاعلون) أى مؤدون ، فإن قيل : لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون ؟ فالجواب : أن الزكاة لهـا معنيان أحدهما الفعل الذى يفعله المزكى أى أداء مايجب على المـال ، والآخر المقدار المخرج من المـال كقولك هـذه زكاة مالى ، والمراد هنا الفعل لقوله «فاعلون» ، ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره لأداء الزكاة فاعلون (على أزواجهم) هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أى لايلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن (أوماملكت أيمـانهم) يعنى النساء المملوكات ، قال الزمخشرى إنما قال «ما ملكت» ولم يقل من ، لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء (وراء ذلك) يعنى ما سوى الزوجات والمملوكات (لأماناتهم وعهدهم) يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده فى دينه أو العموم ، والأمانة أعم من العهد

رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ

---

لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم (راعون) أى حافظون لها قائمون بها (على صلواتهم يحافظون) المحافظة عليها هى فعلها فى أوقاتها مع توفية شروطها ، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا؟ فالجواب : أنه ليس بتكرار ، لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان ، وأضاف الصلاة فى الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها (الوارثون) أى المستحقون للجنة ، فالميراث استعارة ، وقيل إن الله جعل لكل إنسان مسكنا فى الجنة ومسكنا فى النار ، فيرث المؤمنون مساكن الكفار فى الجنة (الفردوس) مدينة الجنة وهى جنة الأعناب ، وأعاد الضمير عليها مؤنثا على معنى الجنة (ولقد خلقنا الإنسان) اختلف هل يعنى آدم ، أو جنس بنى آدم (من سلالة من طين) السلالة : هى ما يسل من الشىء : أى ما يستخرج منه ، ولذلك قيل إنها الخلاصة ، والمراد بها هنا القطعة التى أخذت من الطين وخلق منها آدم ، فإن أراد بالإنسان آدم : فالمعنى أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين ، ولكن قوله بعد هذا (ثم جعلناه نطفة) لابدّ أن يراد به بنو آدم ، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولا ، ولكن يفسره سياق الكلام ، وإن أراد بالإنسان ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه ، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين : أى خلق أصله وهو أبوه آدم ويحتمل عندى أن يراد بالإنسان الجنس الذى يعمّ آدم وذريته ، فأجمل ذكر الإنسان أولا ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم : وهى من طين ، وإلى الخلقة المختصة بذريته . وهى النطفة ، فإن قيل : ما الفرق بين من ومن ؟ فالجواب على ما قال الزمخشرى : أن الأولى للابتداء ، والثانية للبيان . كقوله من الأوثان (فى قرار مكين) يعنى رحم الأم ، ومعنى مكين : متمكن وذلك فى الحقيقة من صفة النطفة المستقرة ، لا من صفة المحل المستقر فيه ، ولكنه كقولك طريق سائر : أى يسير الناس فيه ، وقد تقدم تفسير النطفة والمضغة والعلقة فى أول الحج ( خلقا آخر) قيل هو نفخ الروح فيه ، وقيل خروجه إلى الدنيا ، وقيل استواء الشباب وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته (فتبارك الله) هو مشتق من البركة ، وقيل معناه تقدس (أحسن الخالقين ) أى أحسن الخالقين خلقا ، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه ، وفسر بعضهم الخالقين بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق ، ولا يجب أن ينفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله « وإذ تخلق من الطين » وإنما الذى يجب أن ينفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم ، فهذا هو الذى انفرد الله به (سبع طرائق) يعنى السموات ، وسماها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل ، وقيل يعنى الأفلاك لأنها طرق للكواكب ( وما كنا عن الخلق غافلين ) يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر

به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلى الفلك تحملون * ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين * إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين * قال رب انصرني بما كذبون * فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون * فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين * إن في ذلك لآيات

---

(ماء بقدر) يعني المطر الذي ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل يعني أربعة أنهار وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعني الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرئ بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل معناه مبارك، وقيل ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه (تنبت بالدهن) يعني الزيت، وقرئ تنبت بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال. كقولك جاء زيد بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت والثاني حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء (وصبغ للآكلين) الصبغ الغمس في الإدام (في الأنعام) هي الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل، لقوله «وعليها وعلى الفلك تحملون» وقد تقدم في النحل ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها (ما هذا إلا بشر) استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فيا عجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر (يريد أن يتفضل) أي يطلب الفضل والرياسة عليكم (ما سمعنا بهذا) أي بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة (به جنة) أي جنون. فانظر اختلاف قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون (حتى حين) أي إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته (انصرني بما كذبون) تضمن هذا دعاء عليهم، لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم وقد تقدم في هود تفسير بأعيننا ووحينا، وفار التنور، ولا تخاطبني (اسلك فيها)

وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ

---

أى أدخل فيها ، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين (وإن كنا لمبتلين) إن مخففة من الثقيلة ، ومبتلين : اسم فاعل من ابتلى ، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار ، أو إنزال البلاء (قرنا آخرين) قيل إنهم عاد ورسولهم هود ، لأنهم الذين يلون قوم نوح ، وقيل إنهم ثمود ورسولهم صالح ، وهذا أصح لقوله:فأخذتهم الصيحة ، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة،وأما عاد فأهلكوا بالريح (من قومه) قدم هذا المجرور على قوله الذين كفروا لئلا يوهم أنه متصل بقوله الحياة الدنيا بخلاف قوله : قال الملأ الذين كفروا من قومه فى غير هذا الموضع (أترفناهم) أى نعمناهم (بشر مثلكم) يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبىّ من البشر ، أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم ، وكذلك قال قوم نوح (أيعدكم) استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد (أنكم مخرجون) كرر أن تأكيداً الأولى ؛ ومخرجون خبر عن الأولى (هيهات هيهات لما توعدون) هذا من حكاية كلامهم ، وهيهات اسم فعل بمعنى بعد ، وقال الغزنوى هى للتأسف والتأوه ، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان ، وتارة يجىء فاعله دون لام كقوله ، فهيهات هيهات العقيق وأهله ، وتارة يجىء باللام كهذه الآية،قال الزجاج فى تفسيره: البعد لما توعدون ، فنزله منزلة المصدر ، قال الزمخشرى : وفيه وجه آخر وهى أن تكون اللام لبيان المستبعد ماهو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا،فوضع هى موضع الحياة لدلالة الخبر عليها (نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث (عما قليل) ما زائدة،وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون (فجعلناهم غثاء) يعنى هالكين كالغثاء والغثاء مايحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود ، فشبه به الهالكين (فبعداً) مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا: أى هلكوا،والعامل فيه مضمر لا يظهر (تترا) مصدر ووزنه فعلى،ومعناه التواتر والتتابع،وهو موضوع موضع الحال: أى متواترين واحداً بعد واحد،فمن قرأه بالتنوين : فألفه للإلحاق،ومن قرأه بغير تنوين : فألفه للتأنيث فلم ينصرف ، وتأنيثه لأن الرسل جماعة والتاء الأولى فيه بدل من واو هى فاء الكلمة

فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۝ فَقَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝ فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝

---

(وجعلناهم أحاديث) أى يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحدوثة، وهذا أليق لأنها تقال فى الشر (قوما عالين) أى متكبرين (وقومهما لنا عابدون) أى خادمون متذللون (لعلهم يهتدون) الضمير لبنى إسرائيل لا لقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة (وآويناهما إلى ربوة) الربوة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الراء وضمها وكسرها، واختلف فى موضع هذه الربوة، فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين (ذات قرار ومعين) القرار المستوى من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجارى، فقيل إنه مشتق من قولك معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعيل، وقيل إنه مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه مفعول (ياأيها الرسل) هذا النداء ليس على ظاهره، لأن الرسل كانوا فى أزمنة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول فى زمانه خوطب بذلك، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد (كلوا من الطيبات) أى من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر للإباحة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) قرئ إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن، وهى متعلقة بقوله آخرا «فاتقون»، وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا، والأمة هنا الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره (فتقطعوا أمرهم) أى افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم (زبرا) جمع زبور: وهو الكتاب، والمعنى أنهم افترقوا فى اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، ووضعوا كتابا من عند أنفسهم (فذرهم فى غمرتهم) الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء (حتى حين) هنا يوم بدر أو يوم موتهم (أيحسبون) الآية: رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم (نسارع لهم) هذا خبر أن، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به (بل لا يشعرون) أى لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم، ففيه معنى التهديد (يؤتون ما آتوا) قيل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام فى جميع أفعال البر أى يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ۝ لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا

---

وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أنها قرأت يؤتون ما أتوا بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة ، وقيل إنه عام فى الحسنات والسيئات : أى يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله (أنهم إلى ربهم راجعون) أن فى موضع المفعول من أجله ، أو فى موضع المفعول بوجلت ، إذ هى فى معنى خائفة (أولئك يسارعون فى الخيرات) فيه معنيان : أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات ، والآخر أنهم يتعجلون ثواب الخيرات ، وهذا مطابق للآية المتقدمة ، لأنه أثبت فيهم مانفى عن الكفار من المسارعة (وهم لها سابقون) فيه المعنيان المذكوران فى يسارعون للخيرات ، وقيل معناه سبقت لهم السعادة فى الأزل (لا نكلف نفسا إلا وسعها) يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة ، وقد تقدم الكلام على تكليف مالا يطاق فى البقرة (ولدينا كتاب) يعنى صحائف الأعمال ، فى الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيف (فى غمرة من هذا) أى فى غفلة من الدين بجملته ومن القرآن ، وقيل من الكتاب المذكور ، وقيل من الأعمال التى وصف بها المؤمنون (ولهم أعمال من دون ذلك) أى لهم أعمال سيئة دون الغمرة التى هم فيها ، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال ، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة ، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها فى معنى الكفر ، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا : أى لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه (هم لها عاملون) قيل هى إخبار عن أعمالهم فى الحال ، وقيل عن الاستقبال ، وقيل المعنى أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله لجمل « حتى إذا أخذنا مترفيهم » غاية لقوله عاملون (مترفيهم) أى أغنياؤهم وكبراؤهم (إذا هم يجأرون) أى يستغيثون ويصيحون ، فإن أراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر : فالضمير فى يجأرون لسائر قريش : أى صاحوا وناحوا على القتلى ، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة : فالضمير لجميعهم (لا تجأروا اليوم) تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة ، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهى ، ومعناه : أن الجؤار لا ينفعهم (على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون إلى وراء وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهى القرآن (مستكبرين به) قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهله وولاته ، وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات ، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتوا وتكبرا ، وقيل إنه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على هذا متعلق بسامراً (سامراً) مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قريش تجتمع بالليل فى المسجد فيتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبي صلى الله عليه وسلم ، وسامرا مفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب

رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ

---

على الحال فمن جعل الضمير فى به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبه (تهجرون) من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهجر بفتح الهاء أى تهجرون الإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، أو من قولك هجر المريض إذا هذى أى تقولون اللغو من القول (أفلم يدبروا القول) يعنى القرآن، وهذا توبيخهم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) معناه أن النبوة ليست ببدع فينكروها بل قد جاءت آباؤهم الأولين فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم (أم لم يعرفوا رسولهم) المعنى أم لم يعرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنه أشرفهم حسبا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلا، فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون، أو غير ذلك من النقائص، مع أنه جاءهم بالحق الذى لا يخفى على كل ذى عقل سليم، وأنه عين الصواب (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) الاتباع هنا استعارة، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى لو كان الأمر على ماتقتضى أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»، وقيل إن الحق فى الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد فى المعنى، وإنما حمله عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكور فى قوله «بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون» (بل أتيناهم بذكرهم) يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم وهذا أظهر (أم تسألهم خرجا) الخرج هو الأجرة ويقال فيه خراج والمعنى واحد، وقرئ بالوجهين فى الموضعين فهو كقوله أم تسألهم أى لست تسألهم أجرا فيثقل عليهم اتباعك (فخراج ربك خير) أى رزق ربك خير من أموالهم فهو يرزقك ويغنيك عنهم (عن الصراط لناكبون) أى عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم (ولو رحمناهم) الآية: قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى رحمناهم بالخصب وكشفنا مابهم من ضر الجوع والقحط: لتمادوا على طغيانهم، وفى هذا عندى نظر، فإن الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على قريش بعد الهجرة حسبما ورد فى الحديث، وقيل المعنى لو رحمناهم بالرد إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، وهذا القول لا يلزم عليه الزم على الآخر، ولكنه خرج عن معنى الآية (ولقد أخذناهم بالعذاب) قيل إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر، وهذا مردود بأن العذاب الذى أصابهم إنما كان بعد بدر، وقيل إن العذاب الذى أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعد به هو القحط، وقيل الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: «إذا هم فيه مبلسون»: أى

شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَهُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَٰفُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوٓا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا

---

يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس فى الآخرة كقوله «ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون» (فما استكانوا) أى ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة فى آخر آل عمران (وما يتضرعون) إن قيل: هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكينون وما يتضرعون باتفاق الفعلين فى الماضى أو فى الاستقبال؟ فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذى أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرع فى الحال والاستقبال (قليلا ما تشكرون) ما زائدة، وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة ـ وهى القلوب ـ لعظم المنافع التى فيها فيجب شكر خالقها ومن شكره: توحيده واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففى ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة (ذرأكم فى الأرض) أى نشركم فيها (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص، وقد ذكر فى البقرة معنى اختلاف الليل والنهار (بل قالوا مثل ما قال الاولون) أى قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا، وقد ذكر الاستفهامان فى الرعد، وأساطير الأولين فى الأنعام (قل لمن الأرض ومن فيها) هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة (سيقولون لله) قرئ فى الأول لله باللام بإجماع، جوابا لقوله لمن الأرض، وكذلك قرأ الجمهور الثانى والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله من رب السموات فى معنى لمن هى، وقرأ أبو عمرو الثانى والثالث بالرفع على اللفظ (ملكوت) مصدر وفى بنائه مبالغة (يجير ولا يجار عليه) الاجارة المنع من الاهانة، يقال أجرت فلانا على فلان إذا منعته من مضرته وإهانته، فالمعنى أن الله تعالى يغيث من شاء ممن شاء ولا يغيث أحد منه أحدا (فأنى تسحرون) أى تخدعون عن الحق والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر فى التخليط والوقوع فى الباطل، ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولا أفلا تذكرون، ثم قال ثانيا أفلا تتقون، وذلك أبلغ، لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثا فأنى تسحرون وفيه من التوبيخ ما ليس فى غيره (وإنهم لكاذبون) يعنى فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد ولذلك رد عليهم بنفى ذلك (إذا لذهب كل إله بما خلق) هذا برهان على

لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ۝ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا

---

الوحدانية ، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إلهاً آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر ، واستبد كل واحد منهما بملكه وطلب غاية الآخر والعلوّ عليه كما ترى حال ملوك الدنيا ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة : علمنا أن مالكه ومدبره واحد ، لا إله غيره وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره ، بل هو دليل آخر ، فإن قيل : إذ لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل ؟ فالجواب : أن الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله ، وهو جواب للكفار الذين وقع الرد عليهم (عالم الغيب) بالرفع خبر ابتداء ، وبالخفض صفة لله (قل رب إما تريني ما يوعدون) الآية : معناه أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك ، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار ، وإن شرطية وما زائدة ، وجواب الشرط فلا تجعلني ، وكرر قوله رب مبالغة في الدعاء والتضرع (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) قيل التي هي أحسن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك ، والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار (من همزات الشياطين) يعني نزغاته ووساوسه ، وقيل يعني الجنون ، واللفظ أعم من ذلك (أن يحضرون) معناه أن يكونوا معه ، وقيل يعني حضورهم عند الموت (حتى إذا جاء أحدهم الموت) قال ابن عطية : حتى هنا حرف ابتداء : أي ليست غاية لما قبلها ، وقال الزمخشري حتى تتعلق بيصفون : أي لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت (قال رب ارجعون) يعني الرجوع إلى الدنيا ، وخاطب به مخاطبة الجماعة للتعظيم ، قال ذلك الزمخشري وغيره ، ومثله قول الشاعر ۝ ألا فارحمون يا آل محمد ۝ وقيل إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة (فيما تركت) قيل يعني فيما تركت من المال ، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله : أو كسبت في إيمانها خيرا ، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا في الإيمان الذي تركه أول مرة (كلا) ردع له عما طلب (إنها كلمة هو قائلها) يعني قوله رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ، فسمى هذا الكلام كلمة وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال : أحدها أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرته فهو إخبار بقوله ، والثاني أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئا ، والثالث أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبا فيها ، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحا (ومن ورائهم) أي فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة المذكورين في قوله جاء أحدهم (برزخ) يعني المدة التي بين الموت والقيامة ، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين (فلا أنساب بينهم) المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لاشتغال كل أحد بنفسه

أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ۝ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ۝ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ * قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ۝ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَـٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَـٰفِرُونَ ۝ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۝

---

كقوله (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) فتكون الأنساب كأنها معدومة (ولا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل أحد بنفسه ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة (تلفح وجوههم النار) أى تصيبهم بالإحراق (كالحون) الكالح انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرا ما يجرى ذلك للكلاب ، وقد يجرى للكباش إذا شويت رؤسها ، وفى الحديث إن شفة الكافر ترتفع فى النار حتى تبلغ وسط رأسه ، وفى ذلك عذاب وتشويه (غلبت علينا شقوتنا) أى ما قدر عليهم من الشقاء ، وقرئ شقاوتنا ، والمعنى واحد (قال اخسئوا) كلمة تستعمل فى زجر الكلاب ، ففيها إهانة وإبعاد (ولا تكلمون) أى لا تكلمون فى رفع العذاب فحينئذ ييأسون من ذلك ، أعاذنا الله من ذلك برحمته (سخريا) بضم السين من السخرة بمعنى التخديم ، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء ، وقد يقال هذا بالضم ، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين ، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله « وكنتم منهم تضحكون » (كم لبثتم فى الأرض) يعنى فى جوف الأرض أمواتا ، وقيل أحياء فى الدنيا ، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المدة أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا (فاسأل العادين) أى اسئل من يقدر على أن يعد ، وهو من عوفى مما ابتلوا به أو يعنون الملائكة (إن لبثتم إلا قليلا) معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم فى جهنم خالدين أبدا (عبثا) أى باطلا ، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب (لا برهان له به) أى لا حجة ولا دليل ، والجملة صفة لقوله إلها آخر ، وجواب الشرط (فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) الضمير للأمر والشأن ، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ، ليبين البون بين الفريقين والله أعلم

# ســـــورة النور

مدنيه وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

---

## ســـــورة النور

(سورة أنزلناها) السورة خبر ابتداء مضمر ، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره فيما أنزل عليكم سورة ، وأنزلناها صفة للسورة ، وفرضناها : أى فرضنا الأحكام التى فيها وقرئ بالتشديد للمبالغة (آيات بينات) يعنى مافيها من المواعظ والأحكام والأمثال ، وقيل معنى بينات هنا ليس فيها مشكل (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزانية والزانى يراد بهما الجنس ، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ فى النساء أكثر ، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك ، وإعراب الزانى والزانية كإعراب : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، وقد ذكر فى المائدة ، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما فى سورة النساء من الإمساك فى البيوت فى الآية الواحدة ومن الأذى فى الأخرى ، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه ، فإن جلد المائدة إنما هو حد الزانى والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين ، فيخرج منها الكفار ، فيردون إلى أهل دينهم ، ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة ، فأما العبد والأمة : فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين ، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك ، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب ، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم فى المسلمين والكافرين ، وفى الأحرار والعبيد والإماء ، وفى المحصن وغير المحصن ، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء ، منها باتفاق ، ومنها باختلاف ، فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا : أخذا بعموم الآية ، ورأى الشافعى أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا ، والرجم إن أحصنوا أخذاً بالآية ، وبرجم النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى واليهودية إذ زنيا ، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى : فى سورة النساء « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت فى محلها ، وأما العبد والأمة : فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » وأن حد العبد الجلد مائة لعموم الآية ، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة ، إذ لا فرق بينهما ، وأما المحصن فقال الجمهور حده الرجم فهو مخصوص فى هذه الآية ، وبعضهم يسمى هذا التخصيص نسخاً ، ثم اختلفوا فى المخصص أو الناسخ ، فقيل الآية التى ارتفع لفظها وبقى حكمها وهى قوله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » وقيل الناسخ لها السنة الثابتة فى الرجم ، وقال أهل الظاهر وعلى بن أبى طالب : يجلد المحصن بالآية ، ثم يرجم بالسنة فجمعوا عليه الحدين ، ولم يجعلوا الآية منسوخة ، ولا مخصصة ، وقال الخوارج لا رجم أصلا فإن الرجم ليس فى كتاب الله ، ولا يعتد بقولهم ، وظاهر الآية الجلد دون تغريب ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقال مالك الجلد والتغريب سنة للحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن

---

عام ، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك ، وصفة الجلد عند مالك فى الظهر والمجلود جالس وقال الشافعي يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم ، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب ، ويجرد الرجل عند مالك وقال قوم يجلد على قميص (ولا تأخذكم بهما رأفة) قيل يعنى فى إسقاط الحد : أى أقيموه ولا بد ، وقيل فى خفيف الضرب ، وقيل فى الوجهين . فعلى القول الأول يكون الضرب فى الزنا كالضرب فى القذف غير مبرح ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وعلى القول الثانى والثالث يكون الضرب فى الزنا أشد ، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد فى قصة أيوب عليه السلام ، وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك فى الحديث (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة عليهم ، واختلف فى أقل ما يجزئ من الطائفة فقيل أربعة اعتباراً بشهادة الزنا وهو قول ابن أبى زيد ، وقيل عشرة ، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك ، وقيل واحد (الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة) الآية : معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا ، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك ولا يوافقه عليه من النساء إلا زانية أو مشركة ، وينكح على هذا بمعنى يجامع ، وقيل معناها لا يحل لزان أن يتزوج إلا زانية أو مشركة ، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً ، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لهما التزوج ممن شاؤا ، والأول هو الصحيح (وحرم ذلك على المؤمنين) الإشارة بذلك إلى الزنا أى حرم الزنا على المؤمنين وقيل الاشارة إلى تزوج المؤمن غير الزانى بزانية ، فإن قوماً منعوا أن يتزوجها ، وهذا على القول الثانى فى الآية قبلها وهو بعيد ، وأجاز تزويجها مالك وغيره ، وروى عنه كراهته (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) هذا حد القذف وهو الفرية التى عبر الله عنها بالرمى والمحصنات يراد بهن هنا العفائف من النساء ، وخصهن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال ، ودخل الرجال فى ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم ، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد ، وقيل إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيعم اللفظ على هذا النساء والرجال ، ويحتاج هنا إلى الكلام فى القذف والقاذف والمقذوف والشهادة فى ذلك ، فأما القذف فهو الرمى بالزنا اتفاقا . أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي لعموم لفظ الرمى فى الآية ، خلافا لأبى حنيفة ، أو النفى من النسب ، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافا للشافعي وأبى حنيفة ، وأما القاذف فيحد : سواء كان مسلماً أو كافراً لعموم الآية ، وسواء كان حرا أو عبدا إلا أن العبد والأمة إنما يحدان أربعين عند الجمهور فنصفوا حدهما قياسا على تنصيفه فى الزنا خلافا للظاهرية ، ولا يحد الصبى ولا المجنون لكونهما غير مكلفين ، وأما المقذوف فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رمى به ، والتمكن من الوطء تحرزا من المجبوب وشبهه ، فلا يحد عنده من قذف صبيا أو كافراً أو مجبوبا أو عبداً ومن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحد من قذف واحدا منهم لعموم الآية واتفقوا على اشتراط البراءة مما رمى به وأما الشهادة التى

بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ

---

تسقط حد القذف ، فهى أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدا أو كافرا ويشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمرود فى المكحلة ، ويؤدون الشهادة مجتمعين ( إلا الذين تابوا ) تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ، وهى الحدود ورد شهادة القاذف وتفسيقه ، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة ، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة ، واختلف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا : فقال مالك إذا تاب قبلت شهادته ، خلافا لأبى حنيفة ، وتوبته هو صلاح حاله فى دينه وقيل إكذاب نفسه (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ) هذه الآية فى قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك ، وسببها أن رجلا قال يارسول الله الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ، فسكت عنه نبىّ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك فأتنى بها فأتى بها فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان : أحدهما أن يدعى الزوج أنه رأى امرأته تزنى ، والآخر أن ينفى حملها ويدعى الاستبراء قبله ، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام نفى حد القذف عنه ، وانتفاء سبب الولد منه ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعنت سقط الحد عنها ، ولفظ الآية عام فى الزوجات الحرائر والمماليك ، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم ، وبذلك أخذ مالك واشترط فى الزوج الاسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين ( فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ) أى يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزنى أو أشهد بالله ماهذا الحمل منى ولقد زنت وإنى فى ذلك لمن الصادقين ، ثم يقول فى الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وزاد أشهب أن يقول أشهد بالله الذى لا إله إلا هو ، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية ، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرئ بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم ، وقوله بالله وإنه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم (والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) قرئ بنصب الخامسة هنا وفى الموضع الثانى ، وانتصب بفعل مضمر تقديره ويشهد الخامسة ، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب ، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع ، وقرئ أن لعنة ، وأن غضب : بتشديد أن ، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) العذاب هنا حد الزنا أى يدفعه التعان المرأة ، وهى أن تقول أربع مرات أشهد بالله ما زنيت ، وإنه فى ذلك لمن الكاذبين ، ثم تقول فى الخامسة : غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام : دفع الحد عنها ، والتفريق بينها وبين زوجها ، وتأبيد الحرمة (ولولا فضل الله ) جواب لو محذوف هنا

مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ

وفى الموضع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لآخذكم . أو نحو هذا (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم) الإفك: أشد الكذب ، ونزلت هذه الآية ومابعدها إلى تمام ستة عشر آية فى شأن سيدتنا عائشة رضى الله عنها وفى براءتها مما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بكلام ولدها فى حجرها وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن فى شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى فى الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرج حديث الإفك البخارى ومسلم وغيرهما ، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل ، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإفك فى ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال ما بال رجال رموا أهلى والله ما علمت على أهلى إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين ، ولم يذكر فى الحديث من أهل الافك إلا أربعة ، وهم عبد الله بن أبىّ بن سلول رأس المنافقين ، وحمنة بنت جحش ، ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت ، وقيل إن حسانا لم يكن منهم وارتفاع عصبة لأنه خبر إن ، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلا من الضمير فى جاؤا ، ويكون الخبر لا تحسبوه شرّا لكم على تقدير إن حديث الذين جاؤا بالإفك ، والأول أظهر (بل هو خير لكم) خطاب المسلمين ، والخير فى ذلك من خمسة أوجه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال الوحى فى شأنها ، والأجر الجزيل لها فى الفرية عليها ، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين (والذى تولى كبره) هو عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق ، وقيل الذى بدأ بهذه الفرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لولا هنا عرض والمعنى أنه كان ينبغى المؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد فى حقهم فهو فى حق عائشة أبعد لفضلها ، وروى أن هذا النظر وقع لأبى أيوب الأنصارى ، فقال لزوجته : أكنت أنت تفعلين ذلك ، قالت لا والله ، قال فعائشة أفضل منك ؟ قالت نعم ، فإن قيل : لم قال سمعتموه بلفظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة فى قوله ظن المؤمنون ، ولم يقل ظننتم ؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذى يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرا (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) لولا هنا عرض ، والضمير فى جاءوا لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء (أفضتم فيه) يقال أفاض فى الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه (إذ تلقونه بألسنتكم) العامل فى إذ قوله مسكم أو أفضتم ، ومعنى تلقونه : يأخذه بعضكم من بعض ، وفى هذا الكلام وفى الذى قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم

مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا

---

فى حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلية ، فعاتبهم على ثلاثة أشياء ، وهى : تلقيه بالألسنة : أى السؤال عنه وأخذه من المسؤل والثانى قولهم ذلك ، والثالث أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم ، وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم ( ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا ) أى كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له ، ولولا أيضا فى هذه الآية عرض ، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ، ولكنه فصل بينهما بقوله إذ سمعتموه لأن الظروف يجوز فيها مالا يجوز فى غيرها ، والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به ، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار الكلام فى أول وقت سمعتموه ، ومعنى مايكون لنا ماينبغى لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك) تنزيه لله عن أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ماقال أهل الإفك ، وقال الزمخشرى : هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر ، والاستبعاد له ، والأصل فى ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب (بهتان عظيم) البهتان أن يقال فى الإنسان ماليس فيه والغيبة أن يقال مافيه (أن تعودوا لمثله) تقديره يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله ، ثم عظم الأمر وأكده بقوله إن كنتم مؤمنين (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ) الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك ، ثم هو عام فى غيرهم ممن اتصف بصفتهم ، والعذاب فى الدنيا الحد ، وأما عذاب الآخرة ، فقد ورد فى الحديث أن من عوقب فى الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه فى الآخرة فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة فى هذا الموضع ، فيحتمل أن يكون القاذف يعذب فى الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود ، أو يكون هذا مختصاً بمن قذف عائشة ، فإنه روى عن ابن عباس أنه قال : من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عائشة أو يكون لمن مات مصراغير تائب، أو يكون للمنافقين (خطوات الشيطان) ذكر فى البقرة (الفحشاء والمنكر) ذكر فى النحل (زكى) أى تطهر من الذنوب، وصلح دينه (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى) معنى يأتل يحلف، فهو من قولك آليت إذا حلفت ، وقيل معناه يقصر فهو من قولك

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۝ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝

---

ألوت أى قصرت ومنه لا يألونكم خبالا، والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل فى الدين أو الفضل فى المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة هى اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم فى حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن لأن الله أوصى بالاحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومه فى أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه إنى لأحب أن يغفر الله لى، ثم رد النفقة إلى مسطح (المحصنات الغافلات) معنى المحصنات هنا العفائف ذوات الصون، ومعنى الغافلات السليمات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر (لعنوا فى الدنيا والآخرة) هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض فى حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة (يوم تشهد) العامل فيه يوفيهم، وكرر يومئذ توكيدا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمر (دينهم الحق) أى جزاؤهم الواجب لهم (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) هذه الآية تدل على أن ماقبلها فى المنافقين، لأن المؤمن قد علم فى الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين الظاهر الذى لاشك فيه (الخبيثات للخبيثين) الآية: معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففى ذلك رد على أهل الافك، لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات، وقيل المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ففيه أيضا رد على أهل الإفك، وقيل معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أى أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم (أولئك مبرؤن مما يقولون) الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير فى يقولون للخبيثات والخبيثين والمراد تبرئة عائشة رضى الله عنها مما رميت به (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) هذه الآية أمر بالاستئذان فى غير بيت الداخل، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء فى الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأنسوا: تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آنست الشىء إذا علمته، فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا، والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهى إلى الوجوب، واختلف

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ

---

أيهما يقدم، فقيل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم، ثم يقول أأدخل، وقيل يقدم الاستئذان لتقديمه فى الآية، وليس فى الآية عدد الاستئذان، وجاء فى الحديث أن يستأذن ثلاث مرات، وهو تفسير للآية (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان، واختلف فى البيوت غير المسكونة فى هذه الآية، فقيل هى الفنادق التى فى الطرق ولا يسكنها أحد بل هى موقوفة ليأوى إليها كل ابن سبيل، والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك، وقيل هى الخرب التى تدخل للبول والغائط، والمتاع على هذا حاجة الإنسان، وقيل هى حوانيت القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان فى الحوانيت واجب بإجماع (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة فى إبراهيم، وقد ذكر ومن أبصارهم للتبعيض، والمراد غض البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يحل، وقيل معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويمنع ما بعدها، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة، وقيل هى لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة، أو إلى ما لا يحل من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر وحفظ الفروج المأمور به: هو عن الزنا، وقيل أراد ستر العورة، والأظهر أن الجميع مراد (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبى أم لا، وعن سائر جسد المرأة أم لا، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام فى حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لابد من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك، فقيل إلا ما ظهر منها يعنى الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها، وقيل الثياب والوجه والكفان، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها فى الصلاة وزاد أبو حنيفة القدمين (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الجيوب هى التى يقول لها العامة أطواق، وسببها أن النساء كن فى ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعات الجيوب يظهر منها صدورهن، وكن إذا غطين رؤسهن بالأخمرة سدلنها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهن الله بلى الأخمرة على الجيوب ليستر جميع ذلك (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن) الآية: المراد بالزينة هنا الباطنة، فلما

أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ

---

ذكر فى الآية قبلها ماأباح أن يراه غير ذوى المحرم من الزينة الظاهرة ، وذكر فى هذه ماأباح أن يراه الزوج وذوى المحارم من الزينة الباطنة ، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ، ثم ثنى بذوى المحارم وسوى بينهم فى إبداء الزينة ، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب ، والمراد بالآباء كل من له ولادة من والد وجد ، وبالأبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد ، ولم يذكر فى هذه الآية من ذوى المحارم : العم والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة ، لأنهما من ذوى المحارم ، وكره ذلك قوم ، وقال الشافعى إنما لم يذكر العم والخال لئلا يصفا زينة المرأة لأولادهما (أو نسائهن) يعنى جميع المؤمنات ، فكأنه قال أو صنفهن ويخرج عن ذلك نساء الكفار (أو ماملكت أيمانهن) يدخل فى ذلك الإماء المسلمات والكتابيات ، وأما العبيد : ففيهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعى ، والجواز وهو قول ابن عباس وعائشة ، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدا وهو مذهب مالك ، وإنما أخذ جوازه من قوله « أو التابعين غير أولى الإربة ، واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبى أم لا ؟ على قولين (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) شرط فى رؤية غير ذوى المحارم شرطين : أحدهما أن يكونوا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشىء يعطاه كالوكيل والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم هو الذى يتبعك وهمته بطنه ، والآخر أن لايكون لهم إربة فى النساء كالخصى والمخنث والشيخ الهرم والأحمق ، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين ، وقيل بأحدهما ، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الجنس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال طفل مالم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه الذين لم يطؤا النساء ، وقيل الذين لايدرون ماعورات النساء ، وهذا أحسن (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) روى أن امرأة كان لها خلخالان ، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال ، فنهى الله عز وجل عن ذلك ، قال الزجاج إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال ، لا من حيث أضر ببدن أو مال ، والإقلاع عن الذنب فى أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم أن لايعود إليها أبدا ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزما مجددا ، وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ، ومراتبها سبع : فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر ، وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات . والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والخجل

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ

---

من الحساب ، ومحبة الحبيب ، ومراقبة الرقيب القريب ، وتعظيم بالمقام ، وشكر الإنعام (وأنكحوا الأيامى منكم) الأيامى جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكاراً أو ثيبات ، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى ، فاقتضى ذلك النهى عن عضلهن من التزويج ، وفى الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح ؛ واشتراط الولاية فيه ، وهومذهب مالك والشافعى خلافا لأبى حنيفة (والصالحين من عبادكم وإمائكم) يعنى الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإنائهم ، وقال الزمخشرى : الصالحين بمعنى الصلاح فى الدين ، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم؛ ومذهب الشافعى أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافا لمالك ، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافا للشافعى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله ، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى فى النكاح (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد فى طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج ، فقوله لا يجدون نكاحا معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأى وجه تعذر التزوج ، وقيل معناه لا يجدون صداقا للنكاح ، والمعنى الأول أعم ، والثانى أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة ، وهى مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أداه خرج حراً ، وإن عجز بقى رقيقا ، وقيل إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه ، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة ، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور ، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلكأ أنس فقال له عمر لتكاتبنه أو لأوجعنك بالدرة ، وإنما حمله مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع ، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها ، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا ؟ على قولين فى المذهب (إن علمتم فيهم خيراً) الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأى وجه كان ، وقيل هو المال الذى يؤدى منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس ، وقيل هو الصلاح فى الدين (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين ، وقيل للولاة ، والأمر على هذين القولين للندب ، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين ، وهو على هذا القول ندب عند مالك ، ووجوب عند الشافعى فإن كان الأمر للناس ، فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم ، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة ، وإن كان للسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم ، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة ، وعلى القول بالحط من الكتابة اختلف فى مقدار مايحط ، فقيل الربع ، وروى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلاً مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

---

وقيل الثلث ، وقال مالك والشافعى : لاحد فى ذلك ، بل أقل ماينطلق عليه اسم شيء ، إلاأن الشافعى يجبره على ذلك ، ولايجبره مالك ، وزمان الحط عنه فى آخر الكتابة عند مالك ، وقيل فى أول نجم (ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء) معنى البغاء الزنا ، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبدالله ابن أبىّ ابن سلول المنافق كان له جاريتان ، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشكتا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله (إن أردن تحصنا) هذاالشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لايتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف ، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) يعنى ماتكسبه الأمة بفرجها، وماتلده من الزنا : ويتعلق لتبتغوا بقوله لاتكرهوا (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) المعنى غفورلهن رحيم بهن لايؤاخذهن بالزنا ، لأنهن أكرهن عليه ، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذى يكرههن إذا تاب من ذلك (آيات مبينات) بفتح الياء : أى بينها الله ؛ وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام (ومثلا) يعنى ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم فى تحريم الزنا ، لأنه كان حراما فى كل ملة أو فى براءة عائشة كما برأ يوسف ومريم (الله نورالسموات والأرض) النور يطلق حقيقة على الضوء الذى يدرك بالأبصار ، ومجازا على المعانى التى تدرك بالقلوب ، والله ليس كمثله شيء ، فتأويل الآية الله ذو نور السموات والأرض ؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة فى أنه كريم ، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار ، فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذى فيهما من الشمس والقمر والنجوم ، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء ، ومن هذا المعنى قرأ علىّ بن أبى طالب « الله نوّر السموات والأرض » بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو : أى جعل فيهما النور ، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب ، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور فى قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس : معناه هادى أهل السموات والأرض (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) المشكاة هى الكوة غير النافذة تكون فى الحائط ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وقيل المشكاة العمود الذى يكون المصباح على رأسه ، والأول أصح وأشهر ، والمعنى صفة نور الله فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم مايتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية مايدركه الناس من الأنوار ، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير فى نوره عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل على القرآن ، وقيل على المؤمن ، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم مايعود عليه الضمير ، فإن قيل : كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النور إليه فى قوله مثل نوره ، والمضاف عين المضاف إليه ؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذى قدمناه أى الله ذو نور السموات والأرض ، أو كما تقول زيد كرم ، ثم تقول ينعش الناس بكرمه

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ
لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ

---

(المصباح في زجاجة) المصباح هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفاف (الزجاجة كأنها كوكب دري) شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدري أحد الدراري المضيئة: كالمشتري، والزهرة، وسهيل، ونحوها، وقيل أراد الزهرة، ولا دليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع دري بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه، أو يكون مسهلا من الهمز، وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) من قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام (لا شرقية ولا غربية) قيل يعني أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية بل هي غربية شرقية، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب، وقيل إنها في وسط دوحة لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل إنها من شجرة الجنة ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) مبالغة في وصف صفائه وحسنه (نور على نور) يعني اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجة وطيب الزيت، والمراد بذلك كمال النور الممثل به (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يوفق الله من يشاء لإصابة الحق (في بيوت) يعني المساجد، وقيل بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن، والأول أصح، والجار يتعلق بما قبله: أي كمشكاة في بيوت، أو توقد في بيوت، وقيل بما بعده وهو يسبح، وكرر الجار بعد ذلك تأكيدا، وقيل بمحذوف: أي سبحوا في بيوت أذن الله أن ترفع، والمراد بالإذن الأمر، ورفعها بنؤها، وقيل تعظيمها (بالغدو والآصال) أي غدوة وعشية وقيل أراد الصبح والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر (رجال) فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أي لا تشغلهم، ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها، والبيع من التجارة، ولكنه خصه بالذكر تجريدا كقوله: فاكهة ونخل ورمان، أو أراد بالتجارة الشراء (تتقلب فيه القلوب والأبصار) أي تضطرب

كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * ألم تر أن الله
يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون *

---

من شدة الهول والخوف ، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى ، لأن الحقائق تنكشف حينئذ ، والأول أصح كقوله : وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وفى قوله «تتقلب فيه القلوب» تجنيس (ليجزيهم الله) متعلق بما قبله ، أو بفعل من معنى ماقبله (أحسن ماعملوا) تقديره جزاء أحسن ما عملوا (ويزيدهم من فضله) يعنى زيادة على ثواب أعمالهم (بغير حساب) ذكر فى البقرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين : الأول يقتضى حال أعمالهم فى الآخرة ، وأنها لا تنفعهم ، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب ، والثانى يقتضى حال أعمالهم فى الدنيا ، وأنها فى غاية الفساد والضلال كالظلمات التى بعضها فوق بعض ، والسراب هو ما يرى فى الفلوات من ضوء الشمس فى الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجرى على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض ، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع (يحسبه الظمآن ماء) الظمآن العطشان : أى يظن العطشان أن السراب ماء ، فيأتيه ليشربه ، فإذا جاءه خاب ما أمل ، وبطل ماظن ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه ، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهى كالسراب (حتى إذا جاءه) ضمير الفاعل للظمآن ، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (لم يجده شيئا) أى شيئا ينتفع به أو شيئا موجودا على العموم لأنه معدوم ، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب . أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (ووجد الله عنده) ضمير الفاعل فى وجد للكافر ، والضمير فى عنده لعمله ، والمعنى وجد الله عنده بالجزاء ، أو وجد زبانية الله (أو كظلمات) هذا هو المثال الثانى ، وهو عطف على قوله كسراب ، والمشبه بالظلمات أعمال الكافر : أى هم من الضلال والحيرة فى مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب (فى بحر لجى) منسوب إلى اللج ، وهو معظم الماء ، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت بأجزاء الممثل به : فالظلمات أعمال الكافر ، والبحر اللجى صدره ، والموج جهله ، والسحاب الغطاء الذى على قلبه ، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفى وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة (إذا أخرج يده لم يكد يراها) المعنى مبالغة فى وصف الظلمة ، والضمير فى أخرج وما بعده للرجل الذى وقع فى الظلمات الموصوفة واختلف فى تأويل الكلام : فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفى الرؤية ومقاربتها ، وقيل بل رآها بعد عسر وشدة ، لأن كاد إذا نفيت تقتضى الإيجاب ، وإذا أوجبت تقتضى النفى ، وقال ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفى على الفعل الذى بعدها فأما إذا دخل حرف النفى على كاد كقوله لم يكد ، فإنه يحتمل النفى والايجاب (ومن لم يجعل الله له نورا) أى من لم يهده الله لم يهتد ، فالنور كناية عن الهدى ، والإيمان فى الدنيا ، وقيل أراد فى الآخرة أى من لم يرحمه الله فلا رحمة له ، والأول أليق بما قبله (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض) الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التنزيه والتعظيم وهو من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل ، فقال الجمهور إنه حقيقى ، ولا يبعد أن

ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ۝ ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما
فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن
من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ۝ يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ۝ والله
خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع
يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ۝ لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم ۝ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ۝
وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ۝ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ۝
أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ۝ إنما كان
قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ۝ ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ۝ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم

---

يلهمها الله التسبيح ، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء ، وقيل تسبيحه ظهور الحكمة فيه (صافات) يصففن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم) الضمير في علم لله ، أو لكل، والضمير في صلاته وتسبيحه لكل (يزجي) معناه يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقيل كالسحاب (ركاما) متكاثف بعضه فوق بعض (الودق) المطر (من خلاله) أي من بينه، وهو جمع خلل كجبل وجبال (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في السماء جبالا من برد ، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال أو علم: أي هي في الكثرة كالجبال، ومن في قوله «من السماء» لابتداء الغاية، وفي قوله «من جبال» كذلك، وهي بدل من الأولى ، وتكون للتبعيض، فتكون مفعول ينزل، ومن في قوله «من برد» لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول ينزل ، وقال الأخفش هي زائدة ، وذلك ضعيف ، وقوله «فيها» صفة للجبال، والضمير يعود على السماء (سنا برقه) السنا بالقصر الضوء ، وبالمد المجد والشرف (يقلب الله الليل والنهار) أي يأتي بهذا بعد هذا (خلق كل دابة) يعني بني آدم والبهائم والطير لأن ذلك كله يدب (من ماء) يعني المني ، وقيل الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره (على بطنه) كالحيات والحوت (ويقولون آمنا) الآية : نزلت في المنافقين ، وسببها أن رجلا من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة ، فدعاه اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف (مذعنين) أي منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم (أفي قلوبهم مرض) توقيف يراد به التوبيخ ، وكذلك ما بعده (أن يحيف) معناه أن يجور، والحيف الميل ، وأسنده إلى الله، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه (إنما كان قول المؤمنين) الآية . معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون : سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله ، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه ( ومن يطع الله ورسوله ) الآية : قال ابن عباس : معناها من

لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم

---

يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سنته (ويخشى الله) فيما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال إنها جمعت كل مافى التوراة والإنجيل (وأقسموا) أى حلفوا، والضمير للمنافقين (جهد أيمانهم) أى بالغوا فى اليمين وأكدوها (ليخرجن) يعنى إلى الغزو (قل لا تقسموا) نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل (طاعة معروفة) مبتدأ وخبره محذوف أى طاعة معروفة أمثل وأولى بكم، أو خبر مبتدأ محذوف أى المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها (عليه ما حمل) يعنى تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) يعنى السمع والطاعة واتباع الشريعة (ليستخلفنهم فى الأرض) وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وقيل إن المراد بالآية: خلافة أبى بكر وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخلافة بعدى ثلاثون سنة، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علىّ، فإن قيل، أين القسم الذى جاء قوله، ليستخلفنهم، جوابا له؟ فالجواب أنه محذوف تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قيل المراد بالذين ملكت أيمانكم: الرجال خاصة، وقيل النساء خاصة، لأن الرجال يستأذنون فى كل وقت وقيل الرجال والنساء (والذين لم يبلغوا الحلم) يعنى الأطفال غير البالغين (ثلاث مرات) نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان فى ثلاثة مواطن، فمعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان فى ثلاثة أوقات. وهى قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم فى غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة؛ وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على الندب (تضعون ثيابكم) يعنى تتجردون (الظهيرة) وسط النهار (ثلاث عورات) جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة، ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم: أى تنكشفون فيها، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أى ليس عليكم

بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استئذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ، والقواعد من النساء التي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ، ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت

---

ولا على المماليك والأطفال جناح فى ترك الاستئذان فى غير المواطن الثلاثة (طوافون عليكم) تقديره المماليك والأطفال طوافون عليكم ، فلذلك يؤمر بالاستئذان فى كل وقت (بعضكم على بعض) بدل من طوافون : أى بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشرى هو مبتدأ أى بعضكم يطوف على بعض أو فاعل بفعل مضمر (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) لما أمر الأطفال فى الآية المتقدمة بالاستئذان فى ثلاثة أوقات ، وأباح لهم الدخول بغير إذن فى غيرها : أمرهم هنا بالاستئذان فى جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال (والقواعد من النساء) جمع قاعد وهى العجوز ، فقيل هى التى قعدت عن الولد ، وقيل التى قعدت عن التصرف ، وقيل التى إذا رأيتها استقذرتها (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أباح الله لهذا الصنف من العجائز مالم يبح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذى فوق الخمار والرداء ، وقال بعضهم : إنما ذلك فى منزلها الذى يراها فيه ذو محارمها (غير متبرجات بزينة) إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة ، والتبرج هو الظهور (وأن يستعففن خير لهن) المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من الستر (ليس على الأعمى حرج) الآية اختلف فى المعنى الذى رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض فى هذه الآية ، فقيل هو فى الغزو أى لا حرج عليهم فى تأخيرهم عنه ، وقوله «ولا على أنفسكم» مقطوع من الذى قبله على هذا القول كأنه قال : ليس على هؤلاء الثلاثة حرج فى ترك الغزو ، ولا عليكم حرج فى الأكل ، وقيل الآية كلها فى معنى الأكل ، واختلف الذاهبون إلى ذلك ، فقيل إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس ، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس ، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار فى بيوتهم ، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب ، فنزلت الآية فى ذلك ، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا ، فنزلت الآية ، وهذا ضعيف . لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم ، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة فى كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أباح الله تعالى للإنسان الأكل فى هذه البيوت المذكورة فى الآية ، فبدأ ببيت الرجل نفسه ، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن ، لأنه دخل فى قوله من بيوتكم ، لأن بيت ابن الرجل بيته ، لقوله عليه الصلاة والسلام : أنت ومالك لأبيك ، واختلف العلماء فيما ذكر فى هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة فذهب قوم إلى أنه منسوخ ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه ،

أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

---

وقيل الآية محكمة ، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا فى ذلك ، وقيل بإذن وبغير إذن (أو ماملكتم مفاتحه) يعنى الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ، فأباح لهم الأكل منها ، وقيل المراد ماملك الإنسان من مفاتح نفسه وهذا ضعيف (أو صديقكم) الصديق يقع على الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا جمع ليناسب ماذكر قبله من الجموع فى قوله آبائكم وأمهاتكم وغير ذلك ، وقرن الله الصديق بالقرابة ، لقرب مودته ، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) إباحة للأكل فى حال الاجتماع والانفراد ، لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أبدا خيفة من البخل ، فأباح لهم الله ذلك (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى إذا دخلتم بيوتا مسكونة ، فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله « ولا تلمزوا أنفسكم » وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وقيل يعنى بالبيوت المساجد ، والأمر بالسلام على من فيها ، فإن لم يكن فيها أحد فيسلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية : الأمر الجامع هو مايجمع الناس للمشورة فيه ، أو للتعاون عليه . ونزلت هذه الآية فى وقت حفر الخندق بالمدينة ، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون فى الانصراف لضرورة ، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان (لبعض شأنهم) أى لبعض حوائجهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فى معناها ثلاثة أقوال الأول أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم إياهم ليجتمعوا إليه فى أمر جامع أو فى قتال وشبه ذلك ، فالمعنى أن إجابتكم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضا ، فهو كقوله تعالى : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ، ويقوى هذا القول مناسبته لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع ، والقول الثانى أن المعنى لا تدعوا الرسول عليه السلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضا باسمه بل قولوا يارسول الله أو يانبى الله تعظيما ودعاء بأشرف أسمائه ، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض : أى دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه ، ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) الذين ينصرفون عن حفر الخندق ، واللواذ الروغان والمخالفة ، وقيل الانصراف فى خفية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الضمير لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، واختلف فى عن هنا ،

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

## سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي

---

فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف، وقال ابن عطية: معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول: كان المطر عن ريح، قال الزمخشري يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه، فمعنى يخالفون عن أمره يصدون الناس عنه، لحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف (فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة (قد يعلم ما أنتم عليه) دخلت قد للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد، وقيل معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة (ويوم يرجعون إليه) يعني المنافقين، والعامل في الظرف بينهم.

## سورة الفرقان

(تبارك) من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع (على عبده) يعني محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك على وجه التشريف له والاختصاص (ليكون للعالمين نذيرا) الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم أو للقرآن، والأول أظهر وقوله «للعالمين» عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره، وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد، والرد على من خالف في ذلك (فقدره تقديرا) الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره، وصفته، وزمانه ومكانه، ومصلحته، وأجله، وغير ذلك (واتخذوا) الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى (وأعانه عليه قوم آخرون) يعنون قوما من اليهود منهم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومي (فقد جاؤا ظلما وزورا) أي ظلموا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه (وقالوا أساطير الأولين) أي ماسطره الأولون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث (اكتتبها) أي كتبها له كاتب، ثم صارت تملى عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار، وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الرد عليهم، ولو كان ذلك لقال أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار،

يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * تَبَارَكَ الَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا * بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَآ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا * قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا * لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ

---

وقد يجوز حذف الهمزة فى مثل هذا وينبغى على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين (قل أنزله الذى يعلم السر) رد على الكفار فى قولهم ويعنى بالسر: ما أسره الكفار من أقوالهم، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء أى أن الله يعلم سرى فهو العالم بأنى ما افتريت عليه، بل هو أنزله علىّ، فإن قيل مامناسبة قوله «إنه كان غفوراً رحيما» لما قبله؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك، لبيان أنه غفور رحيم فى كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام) الآية: قال هذا الكلام قريش طعنا على النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد الله عليهم بقوله «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق» وقولهم «هذا الرسول» على وجه التهكم كقول فرعون إن رسولكم الذى أرسل إليكم، أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور فى قولهم: لولا أنزل إليه ملك وما بعده، ثم وصفهم بالظلم، وقد ذكرنا معنى مسحوراً فى سبحان (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الأقوال (فلا يستطيعون سبيلا) أى لا يقدرون على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم (خيراً من ذلك) الإشارة إلى ماذكره الكفار من الكنز والجنة فى الدنيا (جنات تجرى من تحتها الأنهار) يعنى جنات الآخرة وقصورها وقيل يعنى جنات، وقصوراً فى الدنيا، ولذلك قال إن شاء (إذارأتهم) أى إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازاً بمعنى صارت منهم بقدر مايرى على البعد (سمعوا لها تغيظاً وزفيرا) التغيظ لا يسمع وإنما المسموع، وإنما المسموع أصوات دالة عليه ففى لفظه تجوز، والزفير أول صوت الحمار (مكانا ضيقاً) تضيق عليهم زيادة فى عذابهم (مقرنين) أى مربوط بعضهم إلى بعض، وروى أن ذلك بسلاسل من النار (دعوا هنالك ثبورا) الثبور الويل وقيل الهلاك، ومعنى دعائهم ثبورا: أنهم يقولون يا ثبوراه كقول القائل واحسرتاه واأسفاه (لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً) تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضى ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ثبوراً كثيراً لأن عذابهم دائم، فالثبور يتجدد عليهم فى كل حين (قل أذلك خير أم جنة الخلد) إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما

عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ۝ قَالُوا سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ۝ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ

---

يقع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك فى المعنى إذا كان الكلام خبرا (وعداً مسئولا) أى سأله المؤمنين أو الملائكة فى قولهم وأدخلهم جنات عدن ، وقيل معناه وعداً : واجب الوقوع لأنه حتمه (فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) القائل لذلك هو الله عز وجل ، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم ، وقيل الأصنام خاصة ، والأول أرجح لقوله ، ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، وقوله ، أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، (أم هم ضلوا السبيل) أم هنا معادلة لما قبلها ، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم ، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله ، هم ، ليتحقق إسناد الضلال إليهم ، فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوبخ الكفار الذين عبدوهم (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) القائلون لهذا هم المعبودون : قالوه على وجه التبرى من عبدهم كقولهم أنت ولينا من دونهم ، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحجة عليهم (ولكن متعتهم وآباءهم) معناه أن إمتاعهم بالنعم فى الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته (قوما بورا) أى هالكين ، وهو من البوار وهو الهلاك ، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجماعة (فقد كذبوكم بما تقولون) هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة أى قد كذبكم آلهتكم التى عبدتم من دون الله ، وتبرؤا منكم وقيل هو خطاب للمعبودين : أى كذبوكم فى هذه المقالة لما عبدوكم فى الدنيا ، وقيل هو خطاب للمسلمين : أى قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة ، وقرئ بما يقولون بالياء من أسفل ، والباء فى قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير فى كذبوكم ، وعلى القراءة بالياء كقولك كتبت بالقلم ، أو كذبوكم بقولهم (فما يستطيعون صرفاً ولا نصرا) قرئ فما تستطيعون بالتاء فوق ، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين؛ والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم ، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا رد التكذيب ، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب (ومن يظلم منكم) خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) تقديره وما أرسلنا رسلا أو رجالا قبلك ، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير فى قوله إلا إنهم ليأكلون الطعام ، وهذه الآية رد على الكفار فى استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم ، فالغنى فتنة للفقير ،

أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا * وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ الْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝ وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا * وَكَذَٰلِكَ

---

والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به (أتصبرون) تقديره لننظر هل تصبرون (لايرجون لقاءنا) قيل معناه لايخافون، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون فرد الله عليهم بقوله لقد استكبروا الآية : أى طلبوا مالاينبغى لهم أن يطلبوه، وقوله فى أنفسهم كما تقول فلان عظيم فى نفسه أى عند نفسه أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر فى أنفسهم (يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين) لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لابشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل فى يوم معنى لابشرى، ويومئذ بدل (ويقولون حجرا محجورا) الضمير فى يقولون إن كان للملائكة، فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين حجرا محجورا أى حرام عليكم الجنة أو البشرى، وإن كان الضمير للمجرمين، فالمعنى أنهم يقولون حجراً بمعنى عوذاً لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره، وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله (وقدمنا إلى ماعملوا) أى قصدنا إلى أعمالهم فلفظ القدوم مجاز، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره (فجعلناه هباء منثورا) عبارة عن عدم قبول ماعملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لاتنفعهم لأن الإيمان شرط فى قبول الأعمال، والهباء هى الأجرام الدقيقة من الغبار التى لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوة، والمنثور المتفرق (خير مستقرا) جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن هذا مستقر وهذا مستقر (وأحسن مقيلا) هو مفعل من النوم فى القائلة وإن كانت الجنة لانوم فيها، ولكن جاء على ماتتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة فى الأمكنة الباردة، وقيل إن حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار، فيقيل أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار (ويوم تشقق السماء بالغمام) هو يوم القيامة وانشقاق السماء : انفطارها، ومعنى بالغمام أى يخرج منها الغمام، وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الندم والحسرة، والظالم هنا عقبة بن أبى معيط، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر (مع الرسول) هو محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، أو اسم جنس على العموم (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) روى أن عقبة جنح إلى الإسلام فنهاه أبىّ بن خلف وأمية بن خلف فهو فلان، وقيل إن عقبة نهى أبىّ بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا أبىّ وفلان عقبة، وإن كان الظالم على العموم ففلانا على العموم أى خليل كل

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ، الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ، وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ، فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَٰبَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ، وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ، وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

---

كافر (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس أو الخليل المذكور (وقال الرسول) قيل إن هذا حكاية قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الدنيا ، وقيل فى الآخرة (مهجورا) من الهجر بمعنى البعد والترك وقيل من الهجر بضم الهاء أى قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والأول أظهر (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) العدو هنا جمع ، والمراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بغيره من الأنبياء (وكفى بربك هاديا ونصيرا) وعد لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالهدى والنصرة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) هذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل (كذلك لنثبت به فؤادك) هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم لحفظه : ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أمي لا يقرأ ، فحفظ المفرق عليه أسهل ، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه ، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة (ورتلناه ترتيلا) أى فرقناه تفريقا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذى يتعلق به كذلك وبه يتعلق لنثبت (ولا يأتونك بمثل) الآية معناها لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا آتيناك فى جوابه بالحق ، والتفسير الحسن الذى يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم (الذين يحشرون على وجوههم) يعنى الكفار ، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء فى الحديث قيل يارسول الله : كيف يحشر الكافر على وجهه : قال أليس الذى أمشاه فى الدنيا على رجليه قادرا على أن يمشيه فى الآخرة على وجهه (شرّ مكانا) يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن فى الآخرة (وزيرا) معينا (إلى القوم) يعنى فرعون وقومه ، وفى الكلام حذف تقديره : فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم (كذبوا الرسل) تأويله كما ذكر فى قوله فى هود فعصوا رسله (وأعتدنا للظالمين) يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم ، أو يريد الظالمين على العموم (وأصحاب الرس) معنى الرس فى اللغة البئر ، واختلف فى أصحاب الرس : فقيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة ، وقيل من أهل أنطاكية ، وهم أصحاب يس ، واختلف فى قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيا فرموه فى بئر فأهلكهم الله ، وقيل كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا (وقرونا بين ذلك كثيرا) يقتضي التكثير

أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۞ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ
سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۞ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
طَهُورًا ۞ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ

---

والإبهام ، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم (ضربنا له الأمثال) أى بيناله (تبرنا) أى أهلكنا (ولقد أتوا على القرية) الضمير فى أتوا لقريش وغيرهم من الكفار ، والقرية قرية قوم لوط ، ومطر السوء الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها فى طريقهم إلى الشام ، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور ويرجون كقوله يرجون لقاءنا ، وقد ذكر (أهذا الذى) حكاية قولهم على وجه الاستهزاء ، فالجملة فى موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا ، وقوله « إن كاد ليضلنا » استئناف جملة أخرى وتم كلامهم ، واستأنف كلام الله تعالى فى قوله « وسوف يعلمون » الآية على وجه التهديد لهم (اتخذ إلهه هواه) أى أطاع هواه حتى صار كأنه له إله (بل هم أضل) لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها ، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها ، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب ، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب (ألم تر إلى ربك) أى إلى صنع ربك وقدرته (مد الظل) قيل مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ على الأرض كلها ، واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل ، ولا يقال ظل بالليل ، واختار أن مد الظل من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير ، وقيل معنى مد الظل : أى جعله يمتد وينبسط (ولو شاء لجعله ساكنا) أى ثابتا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس ، وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض ، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) قيل معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه ، وقيل معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظل شىء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) قبضه نسخه وإزالته بالشمس؛ ومعنى يسيرا شيئا بعد شىء لا دفعة واحدة ، فإن قيل : ما معنى ثم فى هذه المواضع الثلاثة ؟ فالجواب أنه يحتمل أن تكون للترتيب فى الزمان أى جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال ، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال الثلاثة وأن الثانى أعظم من الأول ، والثالث أعظم من الثانى (الليل لباسا) شبه ظلام الليل باللباس ؛ لأنه يستر كل شىء كاللباس (والنوم سباتا) قيل راحة وقيل موتا لقوله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ويدل عليه مقابلته بالنشور (الرياح بشرا) ذكر فى الأعراف (ماء طهورا) مبالغة فى طاهر وقيل معناه مطهر للناس فى الوضوء وغيره . وبهذا المعنى يقول الفقهاء : ماء طهورا ، أى مطهر ، وكل مطهر طاهر ، وليس كل

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ٥ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٥ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

---

طاهر مطهر (أناسى) قيل جمع إنسى ، وقيل جمع إنسان ، والأول أصح (ولقد صرفناه) الضمير للقرآن ، وقيل للمطر وهو بعيد (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) أى لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل ولكنا خصصناك بها كرامة لك فاصبر (وجاهدهم به) الضمير للقرآن أو لما دل عليه الكلام المتقدم (مرج البحرين) اضطرب الناس فى هذه الآية لأنه لا يعلم فى الدنيا بحر ملح وبحر عذب وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح ، قال ابن عباس أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض ، والبحر العذب الفرات بحر السحاب ، وقيل البحر الملح البحر المعروف ؛ والبحر العذب مياه الأرض ، وقيل البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها ، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون ، ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة ، والأجاج نقيضه ، واختلف فى معنى مرجهما ، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين ، وقيل أسال أحدهما فى الآخر (وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) أى فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان ، وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر (خلق من الماء بشرا) إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء الماء الذى خلق به مع التراب فصار طينا ، وإن أراد بالبشر بنى آدم ، فالمراد بالماء المنىّ الذى يخلقون منه (فجعله نسبا وصهرا) النسب والصهر يعمان كل قربى : أى كل قرابة ، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر فى أب أو أم قرب ذلك أو بعد ، والصهر هو الاختلاط بالنكاح ، وقيل أراد بالنسب الذكور أى ذوى نسب ينتسب إليهم ، وأراد بالصهر الإناث : أى ذوات صهر يصاهر بهن ، وهو كقوله «فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى» (وكان الكافر على ربه ظهيرا) الكافر هنا الجنس ، وقيل المراد أبو جهل ، والظهير المعين أى يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله «والملائكة بعد ذلك ظهير» (قل ما أسئلكم عليه من أجر) أى لا أسئلكم على الإيمان أجرة ولا منفعة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه إنما أسئلكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته ، فالاستثناء منقطع ، وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة ، فالاستثناء على هذا متصل ، والأول أظهر ، وفى الكلام محذوف تقديره إلا سؤال من شاء وشبه ذلك (وتوكل على الحىّ الذى لا يموت) قرأ هذه الآية بعض السلف فقال لا ينبغى لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت (وسبح بحمده) أى قل سبحان الله وبحمده ، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به ، ومعنى بحمده أى بحمده أقول ذلك ، ويحتمل أن يكون المعنى سبحه متلبسا بحمده ، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد (وكفى به بذنوب

ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا سَلَٰمًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝

---

عباده خبيرا) يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو يكون المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم (استوى على العرش) ذكر فى الأعراف (الرحمن) خبر ابتداء مضمر، أو بدل من الضمير فى استوى (فاسأل به خبيرا) فيه معنيان: أحدهما وهو الأظهر: أن المراد اسأل عنه من هو خبير عارف به، وانتصب خبيرا على المفعولية، وهذا الخبير المسؤل هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب والباء فى قوله به: يحتمل أن تتعلق بخبيرا، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى عن. والمعنى الثانى، أن المراد اسأل بسؤاله خبيرا أى إن سألته تعالى تجده خبيرا بكل شىء، فانتصب خبيرا على الحال، وهو كقولك لو رأيت فلانا رأيت به أسدا: أى رأيت برؤيته أسدا (قالوا وما الرحمن) لما ذكر الرحمن فى القرآن أنكرته قريش، وقالوا لانعرف الرحمن، وكان مسيلمة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة إنما الرحمن الرجل الذى باليمامة (أنسجد لما تأمرنا) تقديره لما تأمرنا أن نسجد له (وزادهم نفورا) الضمير المفعول فى زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن (بروجا) يعنى المنازل الاثنى عشر، وقيل الكواكب العظام (سراجا) يعنى الشمس، وقرئ بضم السين والراء على الجمع: يعنى جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر تشريفا (جعل الليل والنهار خلفة) أى يخلف هذا هذا، وقيل هو من الاختلاف، لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة: كالركبة والجلسة، والأصل جعلهما ذوى خلفة (لمن أراد أن يذكر) قيل معناه يعتبر فى المصنوعات، وقيل معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها فى الليل فيستدركه فى النهار أو فاته بالنهار فيستذكره بالليل، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضى الله عنهما (وعباد الرحمن) أى عباده المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون، أو قوله فى آخر السورة أولئك يجزون الغرفة (الذين يمشون على الأرض هونا) أى رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم فى جميع أحوالهم، وعبر بالمشى على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم (قالوا سلاما) أى قالوا قولا سديدا ليدفع الجاهل برفق، وقيل معناه قالوا للجاهل سلاما أى هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ فى حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ (إن عذابها) وما بعده يحتمل أن يكون من كلامهم أو من كلام الله عز وجل (كان غراما) أى هلاكا وخسرانا، وقيل ملازما (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الاقتار هو التضييق فى النفقة والشح وضده الاسراف فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝ أُولَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝

---

وهو القوام ، وذلك فى الانفاق فى المباحات وفى الطاعات ، وأما الانفاق فى المعاصى فهو إسراف ، وإن قل (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى عقابا ، وقيل الأثام الإثم فمعناه يلق جزاء أثام ؛ وقيل الأثام : واد فى جهنم ، والإشارة بقوله ذلك إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا (ويخلد فيه مهانا) قيل نزلت فى الكفار لأنهم المخلدون فى النار بإجماع ، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا ، وقيل نزلت فى المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون ، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه ، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة (إلا من تاب) إن قلنا الآية فى الكفار فلا إشكال فيها ، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا ، وإن قلنا إنها فى المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قيل يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات ، وقيل إن هذا التبديل فى الآخرة : أى يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات (يتوب إلى الله متابا) أى متابا مقبولا مرضيا عند الله كما تقول لقد قلت يا فلان قولا أى قولا حسنا (لا يشهدون الزور) أى لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة ، وقيل معناه لا يحضرون مجالس الزور واللهو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والأول أظهر (وإذا مروا باللغو مروا كراما) اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، ومعنى مروا كراما أى أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك (لم يخروا عليها صما وعميانا) أى لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفى للصمم والعمى لا للخرور عليها (قرة أعين) قيل معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك ، وقيل أدخلهم معنا الجنة ، واللفظ أعم من ذلك (واجعلنا للمتقين إماما) أى قدوة يقتدى بنا المتقون فإمام مفرد يراد به الجنس ، وقيل هو جمع آم أى متبع (الغرفة) يعنى غرفة الجنة فهى اسم جنس (قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية ، وفى معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال : الأول : أن المعنى إن الله لا يبالى بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » الثانى : أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى لا يبالى الله بكم ، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطابا

# سورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • طسٓمٓ • تِلْكَ آيَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ • لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ • وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ • فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ • أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ • إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ • وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ • قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ • وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ • وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ • قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَٰتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ • فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ • أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا

---

لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه أو خطابا للمؤمنين خاصة لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله، فقد كذبتم، الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة والمعنى على هذا: مايعبأ بكم ربي لولا أن يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل (فقد كذبتم) هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين (فسوف يكون لزاما) أي سوف يكون العذاب لزاما ثابتا وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة.

## سورة الشعراء

(طسم) تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، ويخص هذا أنه قيل الطاء من ذي الطول، والسين من السميع أو السلام، والميم من الرحيم أو المنعم (باخع) ذكر في الكهف (فظلت أعناقهم لها خاضعين) الأعناق جمع عنق وهي الجارحة المعروفة، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم رؤس وصدور، وقيل هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل (محدث) يعني به محدث الإتيان (فسيأتيهم) الآية: تهديد (من كل زوج) أي من كل صنف من النبات فيعم ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى، ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن ومن المنافع (إن في ذلك لآية) الإشارة إلى ما تقدم من النبات وإنما ذكره بلفظ الإفراد لأنه أراد أن في كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله أنبتنا (ويضيق صدري) بالرفع عطف على أخاف، أو استئناف، وقرئ بالنصب عطفا على يكذبون (فأرسل إلى هارون) أي اجعله معي رسولا أستعين به (ولهم علي ذنب) يعني قتله للقبطي (قال كلا) أي لا تخف أن يقتلوك (إنا معكم) خطاب لموسى

بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ۝ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّآلِّينَ ۝ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۝ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِهِٓ إِن

---

وأخيه ومن كان معهما . أوعلى جعل الاثنين جماعة (مستمعون) لفظه جمع ، وورد «ورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله ، لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن ، وتأويله : أن في الاستماع اعتناء واهتماما بالأمر ليست في صفة سامعون والخطاب في قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه ، وقيل لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان ( إنا رسول ربك ) إن قيل لم أفرده وهما اثنان ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن التقدير كل واحد منا رسول . الثاني أنهما جعلا كشخص واحد لاتفاقهما في الشريعة ، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد . الثالث أن رسول هنا مصدر وصف به ، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة ، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة ، بخلاف قوله إنا رسولا ، فإنه بمعنى الرسل (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم (قال ألم نربك فينا وليدا) قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعني بالفعلة : قتله للقبطي، والواو في قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافرا بهذا الدين الذي جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ، ولم يعلم بذلك فرعون ، وقيل معناه من الكافرين بنعمتي، وإن كانت الواو للاستئناف : فيحتمل أن يريد من الكافرين بديني، ومن الكافرين بنعمتي ( قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين) القائل هنا هو موسى عليه السلام ، والضمير في قوله فعلتها لقتله القبطي ، واختلف في معنى قوله من الضالين ، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزتي تقتله ، وقيل معناه من الناسين ، فهو كقوله « أن تضل إحداهما » وقوله « إذاً » صلة في الكلام ، وكأنها بمعنى حينئذ ، قال ذلك ابن عطية (ففررت منكم) أي من فرعون وقومه ، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده في قوله « تمنها علي أن عبدت» (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) معنى عبدت ذللت واتخذتهم عبيدا ، فمعنى هذا الكلام أنك عددت نعمة علي تعبيد بني إسرائيل وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نقمة لأنك كنت تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فربيتني ، فالإشارة بقوله تلك إلى التربية وأن عبدت في موضع رفع عطف بيان على تلك أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله ، وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة علي لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني فهي في المعنى الأول إنكار لنعمته وفي الثاني اعتراف بها (قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) لما أظهر فرعون الجهل

كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۝ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ

---

بالله فقال : ومارب العالمين ؛ أجابه موسى بقوله رب السموات والأرض ، فقال ألا تستمعون : تعجبا من جوابه فزاد موسى فى إقامة الحجة بقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء اليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم ، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه ، وأيد الازدراء والتهكم فى قوله رسولكم الذى أرسل إليكم فزاد موسى فى إقامة الحجة بقوله رب المشرق والمغرب ، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدها ولا أن يدعيها لغير الله ، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمروذ ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدده بالسجن ، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة ، وذكرها له بتلطف طمعاً فى إيمانه ، فقال « أولو جئتك بشىء مبين » والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام وتقديره أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشىء مبين ، وقد تقدم فى الأعراف ذكر العصا واليد ، وماذا تأمرون ، وأرجه ، وحاشرين فإن قيل : كيف قال أولا إن كنتم موقنين ، ثم قال آخرا إن كنتم تعقلون ؟ فالجواب أنه لاين أولا طمعاً فى إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة : وبخهم بقوله إن كنتم تعقلون ، وجعل ذلك فى مقابلة قول فرعون إن رسولكم لمجنون ( لميقات يوم) هو يوم الزينة (نتبع السحرة) أى نتبعهم فى نصرة ديننا لا فى عمل السحر ، لأن عمل السحر كان حراماً ( بعزة فرعون ) قسم أقسموا به ، وقد تقدم فى الأعراف تفسير ما يأفكون ، ومابعد ذلك (لاضير) أى لا يضرنا ذلك لأننا ننقلب إلى الله (أسر بعبادى) يعنى بنى إسرائيل (إنكم متبعون) إخبار باتباع فرعون (لشرذمة قليلون) الشرذمة الطائفة من الناس ، وفى هذا احتقار لهم على

لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ *

---

أنه روى أنهم كانوا ستمائة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير (فأخرجناهم من جنات وعيون) يعنى التى بمصر ، والعيون الخلجان الخارجة من النيل ، وكانت ثم عيون فى ذلك الزمان ، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) مجالس الأمراء والحكام ، وقيل المنابر ، وقيل المساكن الحسان (كذلك) فى موضع خفض صفة لمقام أو فى موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ، أو فى موضع رفع على أنه خبر ابتداء تقديره الأمر كذلك (وأورثناها بنى إسرائيل) أى أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بنى إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام (فأتبعوهم) أى لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبنى إسرائيل (مشرقين) معناه داخلين فى وقت الشروق وهو طلوع الشمس ، وقيل معناه نحو المشرق وانتصابه على الحال (تراء الجمعان) وزن تراءى تفاعل ، وهو منصوب من الرؤية ، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون أى رأى بعضهم بعضا (فانفلق) تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق (كل فرق) أى كل جزء منه والطود الجبل ، وروى أنه صار فى البحر اثنى عشر طريقاً لكل سبط من بنى إسرائيل طريق (وأزلفنا ثم الآخرين) يعنى بالآخرين فرعون وقومه ، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغرقوا ، وثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر وهو بحر القلزم (ماتعبدون) إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن مايعبدونه ليس بشىء ، ويقيم عليهم الحجة (قالوا نعبد أصناماً) إن قيل لم صرحوا بقولهم نعبد ، مع أن السؤال وهو قوله ماتعبدون يغنى عن التصريح بذلك ، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله : ما أنزل ربكم : قالوا خيراً ، فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام ، ثم زادوا قولهم فنظل لها عاكفين مبالغة فى ذلك (بل وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد المحض (إلا رب العالمين) استثناء منقطع وقيل

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۝ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ

---

متصل لأن فى آبائهم من عبد الله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله تأدباً مع الله (أن يغفر لى خطيئتى) قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة فى الحديث وهى قوله فى سارة زوجته هى أختى، وقوله «إنى سقيم»، وقوله «بل فعله كبيرهم»، وقيل أراد الجنس على الإطلاق، لأن هذه الثلاثة من المعاريض فلا إثم فيها (لسان صدق) ثناء جميلا (يوم لا ينفع) وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضا من كلام إبراهيم (إلا من أتى الله بقلب سليم، قيل سليم من الشرك والمعاصى، وقيل الذى يلقى ربه وليس فى قلبه شيئا غيره وقيل بقلب لديغ من خشية الله، والسليم هو اللديغ لغة، وقال الزمخشرى هذا من بدع التفاسير، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلا فيكون من أتى الله مفعولا بقوله لا ينفع، والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلا من أنفقه فى طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق، ويحتمل أيضا أن يكون متصلا، ويكون قوله من أتى الله بدلا من قوله مال ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلا مال من أتى الله وبنوه ويحتمل أن يكون منقطعا بمعنى لكن (وأزلفت الجنة) أى قربت (للغاوين) يعنى المشركين بدلالة ما بعده (فكبكبوا فيها) كبكبوا مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه: أى كبهم الله فى النار مرة بعد مرة، والضمير للأصنام، والغاوون هم المشركون، وقيل الضمير للمشركين، والغاوون هم الشياطين (نسويكم برب العالمين) أى نجعلكم سواء معه (وما أضلنا إلا المجرمون) يعنى كبراءهم، وأهل الجرم والجراءة منهم (حميم) أى خالص الود، قال الزمخشرى جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة، وقلة الأصدقاء (كذبت قوم نوح المرسلين) أسند الفعل إلى القوم، وفيه علامة التأنيث، لأن القوم فى معنى الجماعة والأمة، فإن قيل: كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحا وحده؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلا فرسا واحدا، والآخر أن من كذب نبيا واحدا فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن قولهم واحد ودعوتهم

وَأَطِيعُونِ ۞ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۞ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۞ وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۞ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَاتَّقُوا الَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَٰعِظِينَ ۞ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ۞ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۞ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ

---

سواء ، وكذلك الجواب فى كذبت عاد المرسلين وغيره (واتبعك الأرذلون) جمع أرذل ، وقد تقدم الكلام عليه فى قوله أراذلنا فى هود (وما أنا بطارد المؤمنين) يعنى الذين سموهم أرذلين ، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وأشباههم من الضعفاء (المرجومين) يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة ، أو بالقول وهو الشتم (فافتح بينى وبينهم) أى احكم بيننا (فى الفلك المشحون) أى المملوء (بكل ريع) الريع المكان المرتفع وقيل الطريق (آية) يعنى المبانى الطوال وقيل أبراج الحمام (مصانع) جمع مصنع وهو ما أتقن صنعه من المبانى ، وقيل مآخذ الماء (أمدكم بأنعام) الآية تفسير لقوله أمدكم بما تعلمون فأبهم أولا ثم فسره (خلق الأولين) بضم الخاء واللام أى عادتهم والمعنى أنهم قالوا ماهذا الذى عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين ، وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام ، ويحتمل على هذا وجهين : أحدهما أنه بمعنى الخلقة والمعنى ماهذه الخلقة التى نحن عليها إلا خلقة الأولين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب ، والمعنى ماهذا الذى جئت به إلا كذب الأولين (أتتركون) تخويف لهم معناه أتطمعون أن تتركوا فى النعم على كفركم (ونخل طلعها هضيم) الطلع عنقود التمر

وأطيعون ۝ ولا تطيعوا أمر المسرفين ۝ الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ۝ قالوا إنما أنت من
المسحرين ۝ ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ۝ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم ۝ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ۝ فعقروها فأصبحوا نادمين ۝ فأخذهم العذاب
إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۝ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ۝ كذبت قوم لوط المرسلين ۝ إذ
قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ۝ إنى لكم رسول أمين ۝ فاتقوا الله وأطيعون ۝ وما أسألكم عليه من أجر
إن أجرى إلا على رب العالمين ۝ أتأتون الذكران من العالمين ۝ وتذرون ما خلق لكم ربكم من
أزواجكم بل أنتم قوم عادون ۝ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ۝ قال إنى لعملكم من القالين ۝
رب نجنى وأهلى مما يعملون ۝ فنجيناه وأهله أجمعين ۝ إلا عجوزا فى الغابرين ۝ ثم دمرنا الآخرين ۝ وأمطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ۝ إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۝ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ۝
كذب أصحاب لئيكة المرسلين ۝ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ۝ إنى لكم رسول أمين ۝ فاتقوا الله وأطيعون ۝

---

فى أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضيم: اللين الرطب، فالمعنى طلعها يتم ويرطب، وقيل هو الرخص أول مايخرج، وقيل الذى ليس فيه نوى، فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوى على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله فاكهة ونخل ورمان، ويحتمل أنه أراد الجنات التى ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل (وتنحتون) ذكر فى الأعراف (فارهين) قرئ بألف وبغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل فى تنحتون، وهو مشتق من الفراهة وهى النشاط والكيس، وقيل معناه أقوياء وقيل أشرين بطرين (من المسحرين) مبالغة فى المسحورين، وهو من السحر بكسر السين، وقيل من السحر بفتح السين وهى الرؤية، والمعنى على هذا إنما أنت بشر (لها شرب) أى حظ من الماء (فأصبحوا نادمين) لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لا تنفعهم الندامة (فأخذتهم الصيحة) التى ماتوا منها وهى العذاب المذكور هنا (من القالين) أى من المبغضين، وفى قوله قال ومن القالين: ضرب من ضروب التجنيس (مما يعملون) أى نجنى من عقوبة عملهم أو اعصمنى من عملهم والأول أرجح (إلا عجوزا) يعنى امرأة لوط (فى الغابرين) ذكر فى الأعراف وكذلك أمطرنا (أصحاب الأيكة) قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذى فى الحجر وق، ومعناه الغيضة من الشجر، وقرئ هنا وفى ص: بفتح اللام والتاء؛ فقيل إنه مسهل من الهمز، وقيل إنه اسم بلدهم، ويقوى هذا: القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف، يدل على ذلك أنه اسم علم، وضعف ذلك الزمخشرى، وقال إن الأيكة اسم لا يعرف (إذ قال لهم شعيب) لم يقل هنا أخوهم كما قال فى قصة نوح وغيره، وقيل إن شعيبا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبا، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم، فكان شعيبا على هذا

وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ٭
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ٭ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٭ وَاتَّقُوا الَّذِى
خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ٭ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ٭ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ ٭
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ٭ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ٭ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ
عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٭ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ٭
بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ٭ وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ٭ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٭ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ
عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ٭ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ٭ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ٭ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٭ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٭ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ٭

---

مبعوثا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التى هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها (من المخسرين) أى من الناقصين للكيل والوزن ( بالقسطاس) الميزان المعتدل (والجبلة) يعنى القرون المتقدمة (عذاب يوم الظلة) هى سحابة من نار أحرقتهم ، فأهلك الله مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة ، فإن قيل : لم كرر قوله إن فى ذلك لآية مع كل قصة ؟ فالجواب : أن ذلك أبلغ فى الاعتبار ، وأشد تنبيها للقلوب وأيضا فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه ، فختمت بما ختمت به صاحبتها ( وإنه لتنزيل رب العالمين ) الضمير للقرآن (الروح الأمين) يعنى جبريل عليه السلام (على قلبك) إشارة إلى حفظه إياه ، لأن القلب هو الذى يحفظ ( بلسان عربى ) يعنى كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرين ( وإنه لفى زبر الأولين ) المعنى أن القرآن مذكور فى كتب المتقدمين ففى ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ) بأنه من عند الله آية لكم وبرهان ، والمراد من أسلم من بنى إسرائيل كعبدالله بن سلام وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) الآية جمع أعجم ، وهو الذى لا يتكلم سواء كان إنسانا أو بهيمة أو جمادا والأعجمى : المنسوب إلى الأعجم ، وقيل بمعنى الأعجم ، ومعنى الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم ، ففى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم على كفرهم به مع وضوح برهانه ( كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين ) معنى سلكناه . أدخلناه ، والضمير للتكذيب الذى دل عليه ما تقدم من الكلام ، أو للقرآن أى سلكناه فى قلوبهم مكذبا به ، وتقدير قوله : كذلك مثل هذا السلك سلكناه ، والمجرمين : يحتمل أن يريد به قريشا أو الكفار المتقدمين ولا يؤمنون : تفسير للسلك الذى سلكه فى قلوبهم (فيقولوا هل نحن منظرون ) تمنوا أن يؤخروا حين لم

أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ

---

ينفعهم التمنى (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب فى قولهم «فأمطر علينا حجارة من السماء» وشبه ذلك (أفرأيت إن متعناهم سنين) المعنى أن مدة إمهالهم لاتغنى مع نزول العذاب بعدها ، وإن طالت مدة سنين ، لأن كل ماهو آت قريب ، قال بعضهم «سنين» يريد به عمر الدنيا (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) المعنى أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأنذرهم فكذبوه (ذكرى) منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير فى منذرون ، أو على المفعول من أجله ، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (وما تنزلت به الشياطين) الضمير للقرآن ، وهو رد على من قال إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد (وما ينبغى لهم وما يستطيعون) أى مايمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه ولفظ ماينبغى تارة يستعمل بمعنى لايمكن وتارة بمعنى لايليق (إنهم عن السمع لمعزولون) تعليل لكون الشياطين لايستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أمر الكهان كثيراً منتشراً قبل ذلك (وأنذر عشيرتك الأقربين) عشيرة الرجل هم قرابته الأدنون ، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابته فقال يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية ، قال الزمخشرى فى معناه قولان أحدهما أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس ، والآخر أنه أمر أن لايأخذه مايأخذ القريب من الرأفة بقريبه ولا يخافهم بالإنذار (واخفض جناحك) عبارة عن لين الجانب والرفق ، وعن التواضع (الذى يراك حين تقوم) أى حين تقوم فى الصلاة ، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات (وتقلبك فى الساجدين) معطوف على الضمير المفعول فى قوله يراك ، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد ، وقيل معناه يرى صلاتك مع المصلين ، ففى ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة ، وقيل يرى تقلب بصرك فى المصلين خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره (تنزل على كل أفاك أثيم) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين والأفاك الكذاب ، والأثيم الفاعل للإثم يعنى بذلك الكهان ، وفى هذا رد على من قال إن الشياطين تنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكهانة ، لأنها لاتنزل إلا على أفاك أثيم ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم على غاية الصدق والبر (يلقون السمع) معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة ، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين ، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع ،

تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۞

## سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۞ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۞ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ

---

والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان أو يكون للكهان لأنهم يلقون الكلام إلى الناس (وأكثرهم كاذبون) يعني الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين (والشعراء يتبعهم الغاوون) لما ذكر الكهان ذكر الشعراء ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل أراد شعراء الجاهلية، وقيل شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم، والغاوون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل، وقيل هم الشياطين (في كل واد يهيمون) استعارة وتمثيل أي يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويفرطون في التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب (إلا الذين آمنوا) الآية: استثناء من الشعراء يعني بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف، وقيل إن هذه الآية مدنية (ذكروا الله) قيل معناه ذكروا الله في أشعارهم، وقيل يعني الذكر على الإطلاق (وانتصروا من بعد ما ظلموا) إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي صلى الله عليه وسلم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ما ظلموا وعمل ينقلبون في أيّ لتأخره، وقيل: إن العامل في أيّ سيعلم

## سورة النمل

(تلك آيات القرآن وكتاب مبين) عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحدا (هدى وبشرى) في موضع نصب على المصدر أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر (وهم بالآخرة هم يوقنون) تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها، ورجح الزمخشري هذا (يعمهون) يتحيرون (سوء العذاب) يعني في الدنيا وهو القتل يوم بدر، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك (لتلقى القرآن) أي

قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۝
يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَـٰسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ
مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ

---

تعطاه (آنست) ذكر فى طه ، وكذلك قبس ، والشهاب النجم شبه القبس به ، وقرئ بإضافة شهاب إلى قبس وبالتنوين على البدل أو الصفة ، فإن قيل : كيف قال هنا سآتيكم وفى الموضع الآخر لعلى آتيكم ، والفرق بين الترجي والتسويف أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجى ؟ فالجواب أنه قد يقول الراجى : سيكون كذا : إذا قوى رجاؤه (تصطلون) معناه تستدفئون بالنار من البرد ، ووزنه تفتعلون ، وهو مشتق من صلى بالنار والطاء بدل من التاء (أن بورك من فى النار ومن حولها) أن مفسرة ، وبورك من البركة ، ومن فى النار : يعنى من فى مكان النار ومن حولها : من حول مكانها :يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام ، قال الزمخشرى : والظاهر أنه عام فى كل من كان فى تلك الأرض وفى ذلك الوادى وما حوله من أرض الشام (وسبحان الله) يحتمل أن يكون مما قيل فى النداء لموسى عليه السلام ، أو يكون مستأنفا وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء ، أو فى قوله بورك من فى النار لأن المعنى نودى أن بورك من فى النار ، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه (وألق عصاك) هذه الجملة معطوفة على قوله بورك من فى النار ، لأن المعنى يؤدى إلى أن بورك من فى النار ، وأن ألق عصاك وكلاهما تفسير للنداء (كأنها جان) الجان الحية ، وقيل الحية الصغيرة ، وعلى هذا يشكل قوله فإذا هى ثعبان ، والجواب : أنها ثعبان فى جرمها ، جان فى سرعة حركتها (ولم يعقب) لم يرجع أولم يلتفت (إلا من ظلم) استثناء منقطع تقديره لكن من ظلم من سائر الناس ، لا من المرسلين ، وقيل إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضا فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم (بدل حسنا) أى عمل صالحا (فى جيبك) ذكر فى طه (فى تسع آيات) متصل بقوله ألق وأدخل ، تقديره نيسر لك ذلك فى جملة تسع آيات ، وقد ذكرت الآيات التسع فى الإسراء (إلى فرعون) متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب بالآيات التسع إلى فرعون (مبصرة) أى ظاهرة واضحة الدلالة وأسند الإبصار لها مجازا ، وهو فى الحقيقة لمتأملها (واستيقنتها أنفسهم) يعنى أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق فكفرهم عناد ، ولذلك قال فيه ظلما ، والواو فيه واو الحال ، وأضمرت بعدها قد علوا يعنى تكبروا (وورث سليمان داود) أى ورث عنه النبوة والعلم والملك (علمنا منطق الطير) أى فهمنا من أصوات الطير المعانى التى فى نفوسها (وأوتينا من كل شيء) عموم معناه الخصوص ، والمراد

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

---

بهذا اللفظ التكثير : كقولك فلان يقصده كل أحد ، وقوله علمنا وأوتينا : يحتمل أن يريد نفسه وأباه أو نفسه خاصة على وجه التعظيم ، لأنه كان ملكا (وحشر لسليمان جنوده) اختلف الناس فى عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره لعدم صحته (فهم يوزعون) أى يكفون ويراد أولهم إلى آخرهم ، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس (حتى إذا أتوا على وادي النمل) ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركبانا حتى خافت منهم النمل ، ويحتمل أنهم كانوا فى الكرسى المحمول بالريح ، وأحست النملة بنزولهم فى وادى النمل (قالت نملة) النمل حيوان فطن قوى الحس يدخر قوته ويقسم الحبة بقسمين لئلا تنبت ، ويقسم حبة الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين ، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول ، وروى أن سليمان سمع كلامها ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ، وهذا لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك (ادخلوا) خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء (لايحطمنكم) يحتمل أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بدلا من الأمر لتقارب المعنى (وهم لا يشعرون) الضمير لسليمان وجنوده ، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أى لو شعروا بهم لم يحطموهم (فتبسم ضاحكا) تبسم لأحد أمرين : أحدهما سروره بما أعطاه الله ؛ والآخر ثناء النملة عليه وعلى جنوده ، فإن قولها وهم لا يشعرون : وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان (وتفقد الطير) اختلف الناس فى معنى تفقده للطير ، فقيل ذلك لعنايته بأمور ملكه ، وقيل لأن الطير كانت تظله فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه (أم كان من الغائبين) أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره ، فقال مالى لا أرى الهدهد أى لا أراه ولعله حاضر وستره ساتر ، ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك (لأعذبنه) روى أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه (بسلطان مبين) أى حجة بينة (فمكث) أى أقام ، ويجوز فتح الكاف وضمها ، وبالفتح قرأ عاصم ، والفعل يحتمل أن يكون مسندا إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدهد وهو أظهر (غير بعيد) يعنى زمان قريب (أحطت) أى أحطت علما بما لم تعلمه (من سبإ) يعنى قبيلة من العرب ، وجدهم الذى يعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومن صرفه أراد الحىّ أو الأب ، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة ، وقرئ بالتسكين لتوالى الحركات ، وعلى القراءة بالتنوين يكون فى قوله من سبإ بنبإ ضرب من أدوات البيان ، وهو التجنيس (وجدت امرأة تملكهم) المرأة بلقيس بنت شراحيل : كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها ، فغلبت بعده على الملك ، والضمير فى تملكهم يعود على سبإ ، وهم قومها (من كل

عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۞ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ

---

شيء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك (ولها عرش عظيم) يعني سرير ملكها ، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير : عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وهذا خطأ ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة ( أن لا يسجدوا لله ) من كلام الهدهد أو من كلام الله ، وقرأ الجمهور بالتشديد ، وأن في موضع نصب على البدل من أعمالهم ، أو في موضع خفض على البدل من السبيل ، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام ، وزيادة لا ، وقرئ بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الياء حرف نداء فيوقف عليها بالألف على تقدير ياقوم ثم يبتدأ اسجدوا (يخرج الخبء) الخبء في اللغة الخفي وقيل معناه هنا الغيب ، وقيل يخرج النبات من الأرض واللفظ يعم كل خفي ، وبه فسره ابن عباس (ثم تول عنهم) أي تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون ، وروى أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة ، وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب والأول أحسن ( ماذا يرجعون) من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول (قالت يأيها الملؤ ) قبل هذا الكلام محذوف تقديره : فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته ، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يأيها الملأ (كتاب كريم ) وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان ، أو لأن فيه اسم الله ، أو لأنه مختوم كما جاء في الحديث كرم الكتاب ختمه ( من سليمان) يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان ، وأن يكون من كلامها : أخبرتهم أن الكتاب من سليمان (وأتوني مسلمين) يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين ، أو يكون من الدخول في الإسلام ( أولو قوة) يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد (وكذلك يفعلون) من كلام الله عز وجل تصديقا لقولها فيوقف على ما قبله ، أو من كلام بلقيس تأكيداً للمعنى الذي أرادته ، وتعني كذلك يفعل هؤلاء بنا (وإني مرسلة إليهم بهدية) قالت لقومها إني أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال ، فإن كان ملكاً دنيويا : أرضاه المال ، وإن كان نبيالم يرضه المال ، وإنما يرضيه دخولنا في دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته ( أتمدونن بمال ) إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أي أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست

أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت

---

كذلك (ارجع اليهم) خطاب للرسول ، وقيل للهدهد ، والأول أرجح ، لأن قوله فلما جاء سليمان مسند إلى الرسول (لاقبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بها (قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) القائل سليمان ، والملأ جماعة من الجن والإنس ، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ، لأنه وصف له بعظمة فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم ، فمسلمين على هذا من الدخول فى دين الإسلام ، وقيل إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليظهر لهم قوته ، فمسلمين على هذا بمعنى منقادين (قال عفريت) روى عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت الكودن (قبل أن تقوم من مقامك) قبل أن تقوم من موضع الحكم ، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر ، وقيل معناه قبل أن تستوى من جلوسك قائما (قال الذى عنده علم من الكتاب) هو آصف بن برخيا ، وكان رجلا صالحا من بنى إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم وقيل هو الخضر ، وقيل هو جبريل ، والأول أشهر ، وقيل سليمان وهذا بعيد (آتيك به) فى الموضعين : يحتمل أن يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل (قبل أن يرتد إليك طرفك) الطرف العين فالمعنى على هذا قبل أن تغمض بصرك إذا نظرت إلى شىء وقيل الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت (فلما رآه مستقرا عنده) قيل هنا محذوف تقديره : فجاءه الذى عنده علم من الكتاب بعرشها ، ومعنى مستقرا عنده حاصلا عنده وليس هذا بمستقر الذى يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك (يشكر لنفسه) أى منفعة الشكر لنفسه (قال نكروا لها عرشها) تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه ، وقيل الزيادة فيه والنقص منه ، وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها (أتهتدى) يحتمل أن يريد تهتدى لمعرفة عرشها ، أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان فأمر بتنكيره ، وأن يقال لها أهكذا عرشك أى أمثل هذا عرشك لئلا تفطن أنه هو ، فأجابته بقولها : كأنه هو جوابا عن السؤال ، ولم تقل هو تحرزا من الكذب أو من التحقيق فى محل الاحتمال (وأوتينا العلم من قبلها) هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم فى أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم الإسلام قبلها ، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره قد أسلمت هى وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه ، أو من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون «ما كانت تعبد» فاعلا أو مفعولا ، فإن كان فاعلا : فالمعنى صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول فى الإسلام

تَعْبُدُ من دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ من قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۞ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۞ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

---

حتى إلى هذا الوقت ، وإن كان مفعولا : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت فى الإسلام (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) الصرح فى اللغة هو القصر ، وقيل صحن الدار ، روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصرا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما رأته حسبته لجة ، واللجة الماء المجتمع كالبحر ، فكشفت عن ساقيها لتدخله لما أمرت بدخوله ، وروى أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها ، فقالوا له إن عقلها مجنون ، وإن رجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقا فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة فى كل شهر ، وقيل أسكنها معه بالشام (قال إنه صرح ممرّد من قوارير) لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل الماء قال لها سليمان إنه صرح ممرّد ، والممرّد الأملس ، وقيل الطويل ، والقوارير جمع قارورة وهى الزجاجة (قالت رب إنى ظلمت نفسى) تعنى بكفرها فيما تقدم (وأسلمت مع سليمان) هذا ضرب من ضروب التجنيس (فريقين يختصمون) الفريقان من آمن ومن كفر ؛ واختصامهم : اختلافهم وجدالهم فى الدين (لم تستعجلون) أى لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ، أو المعصية قبل الطاعة (قالوا اطيرنا بك) أى تشاءمنا بك وكانوا قد أصابهم القحط (قال طائركم عند الله) أى السبب الذى يحدث عنه خيركم أو شركم : هو عند الله وهو قضاؤه وقدره ، وذلك رد عليهم فى تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود (يفسدون فى الأرض) قيل إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم ولفظ الفساد أعم من ذلك (تقاسموا بالله) أى حالفوا بالله ، وقيل إنه فعل ماض وذلك ضعيف ، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه (لنبيتنه وأهله) أى لنقتلنه وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذى تحالفوا عليه (ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله) أى نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه ، ومهلك يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ما شهدنا مهلك أهله يقتضى التبرى من دم أهله دون التبرى من دمه ، فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيتنه وأهله ، والثانى أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله «وأغرقنا آل فرعون» يعنى فرعون وقومه ، الثالث : أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين ، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا ، وأرادوا التعريض فى كلامهم لئلا

لَا يَشْعُرُونَ • فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ • فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ • أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ • فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ • قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ • أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ • أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

---

يكذبوا (وإنا لصادقون) يحتمل أن يكون قولهم وإنا لصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون، ويحتمل أنهم قصدوا وجهاً من التعريض ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه فى الجواب الثالث عن مهلك أهله، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحاً وأهله معاً، ثم يقولون ماشهدنا مهلك أهله وحدهم وإنا لصادقون فى ذلك بل يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً وعلى ذلك حمله الزمخشرى (أنا دمرناهم وقومهم) روى أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلا فى غار قريبا من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقعت عليهم صخرة فأهلكتهم ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به (وأنتم تبصرون) قيل معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية وقيل تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض، وقيل تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب «يتطهرون» «والغابرين» «وأمطرنا» قد ذكر (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده، والسلام على من اصطفاه من عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمنا بذكر الله، قال ابن عباس يعنى بعباده الذين اصطفى الصحابة، واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين (آلله خير أما يشركون) على وجه الرد على المشركين فدخلت خير التى يراد بها التفضيل لتبكيتهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوا أصلا، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله أإله مع الله على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضا نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضا وأم فى قوله خير أما يشركون متصلة عاطفة، وأم فى المواضع التى بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة (قوم يعدلون) أى يعدلون عن الحق والصواب أو يعدلون بالله غيره أى يجعلون له عديلا ومثيلا (رواسى) يعنى الجبال (البحرين) ذكر فى الفرقان (يجيب المضطر) قيل هو المجهود، وقيل الذى

إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ

---

لاحول له ولا قوة ، واللفظ مشتق من الضرر : أي الذي أصابه الضر أو من الضرورة أي الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء (خلفاء الأرض) أي خلفاء فيها تتوارثون سكناها (أمن يهديكم) يعني الهداية بالنجوم والطرقات (بشرا) ذكر في الأعراف (من السماء والأرض) الرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات (هاتوا برهانكم) تعجيز المشركين (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب ، وأنه لايعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله ، ثم قرأت هذه الآية ، فإن قيل : فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بالغيوب وذلك معدود في معجزاته ، فالجواب : أنه صلى الله عليه وسلم قال إني لا أعلم الغيب إلا ماعلمني الله ، فإن قيل : كيف ذلك مع ماظهر من إخبار الكهان والمنجمين وأشباههم ، بالأمور المغيبة ؟ فالجواب : أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أوعن وهم لا عن علم ، وإنما اقتضت الآية نفي العلم ، وقد قيل إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة ، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك ، ولذلك قال وما يشعرون أيان يبعثون ، فعلى هذا يندفع السؤال الأول ، والثاني لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى لقوله تعالى «قل إنما علمها عند الله» ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : في خمس لايعلمها إلا الله ، ثم قرأ «إن الله عنده علم الساعة» إلى آخر السورة ، فإن قيل : كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبدل لايصح إلا إذا كان الاستثناء متصلا ويكون مابعد إلا من جنس ماقبلها والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض ، والقائلين بنفي الجهة يقولون إن الله تعالى ليس بهما ولافوقهما ولا داخلا فيهما ولا خارجا عنهما فهو على هذا استثناء منقطع ، فكان يجب أن يكون منصوبا ؟ فالجواب من أربعة أوجه : الأول أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل ، وإن كان منقطعا كقولهم مافي الدار أحد إلا حمار بالرفع والحمار ليس من الأحدين وهذا ضعيف ، لأن القرآن أنزل بلغة الحجاز لابلغة بني تميم ، والثاني أن الله في السموات والأرض بعلمه كما قال «وهو معكم أينما كنتم» يعني بعلمه ، فجاء البدل على هذا المعنى وهذا ضعيف ، لأن قوله في السموات والأرض وقعت فيه لفظة في الظرفية الحقيقية ، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين ، الجواب الثالث أن قوله من في السموات والأرض يراد به كل موجود فكأنه قال من في الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلا ، فيصح الرفع على البدل ، وإنما قال من في السموات والأرض جريا على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ماهو أعم منه : الجواب الرابع أن يكون الاستثناء متصلا على أن يتأول من في السموات في حق الله كما يتأول قوله «أأمنتم من في السماء» وحديث

فى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
الْمُجْرِمِينَ ۞ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞
قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى
كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۞ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۞ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۞ إِنَّكَ
لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى الْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ
إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ

---

الجارية وشبه ذلك (وما يشعرون أيان يبعثون) أى لا يشعرون من فى السموات والأرض متى يبعثون ، لأن علم الساعة مما انفرد به الله ، روى أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة (بل اداراك علمهم فى الآخرة) وزن اداراك تفاعل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الدال واجتلبت ألف الوصل ، والمعنى تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها ، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرئ أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل ، والمعنى على هذا يدرك علمهم فى الآخرة أى يعلمون فيها الحق ، لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق ، فقوله فى الآخرة على هذا ظرف ، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء (عمون) جمع عم ، وهو من عمى القلوب (ردف لكم) أى تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضمن معنى قرب وتعدى باللام ، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد ، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذى تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر (غائبة) الهاء فيه للمبالغة : أى ما من شىء فى غاية الخفاء إلا وهو عند الله فى كتاب (إنك لا تسمع الموتى) شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى فى أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم بالصم وبالعمى وإن كانوا صحاح الحواس ، وأكد عدم سماعهم بقوله إذا ولوا مدبرين ، لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعى زاد صممه وعدم سماعه بالكلية (وإذا وقع القول عليهم) أى إذا حان وقت عذابهم الذى تضمنه القول الأزلى من الله فى ذلك وهو قضاؤه ، والمعنى إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض ، وخروج الدابة من أشراط الساعة ، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام ، وقيل من الصفا ، وأن طولها ستون ذراعا ، وقيل هى الجساسة التى وردت فى الحديث (تكلمهم) قيل تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام ، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين ، وروى أنها تسم الكافر وتخطم أنفه وتسوّد وجهه وتبيض وجه المؤمن (إن الناس) من قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام ،

كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۝ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۝ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

---

ومن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم : أى تقول لهم إن الناس كانوا بآ تنا لا يوقنون ، أو مفعول من أجله تقديره تكلمهم ، لأن الناس لا يوقنون ثم حذفت اللام ، ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابة ، ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين ، وهذا أظهر (فهم يوزعون) أى يساقون بعنف (أماذا كنتم تعملون) أم استفهامية ، والمعنى إقامة الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها (ووقع القول عليهم) أى حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم (فهم لا ينطقون) إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا فى بعض مواطن القيامة ، وقد جاء أنهم يتكلمون فى مواطن (ليسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ينفخ فى الصور) ذكر فى الكهف (إلا من شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزائيل عليهم السلام (داخرين) صاغرين متذللين (تحسبها جامدة) أى قائمة ثابتة (وهى تمر) يكون مرورها فى أول أحوال يوم القيامة ، ثم ينسفها الله فى خلال ذلك فتكون كالعهن ثم تصير هباء منبثا (صنع الله) مصدر ، والعامل فيه محذوف ، وقيل هو منصوب على الإغراء : أى انظروا صنع الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) قيل إن الحسنة لا إله إلا الله ، واللفظ أعم ، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشراً (من فزع يومئذ) من نون فزع فتح الميم من يومئذ ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب (ومن جاء بالسيئة) السيئة هنا الكفر والمعاصى التى قضى الله بتعذيب فاعلها (هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما آمنا لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها ، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره ، ونسبه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام فى قوله إن إبراهيم حرم مكة . لأن إبراهيم هو الذى أعلم الناس بتحريمها ، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء فى حديث آخر أن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أى إنما علىّ الإنذار والتبليغ (سيريكم

# سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * طسم ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

---

آياته) وعيد بالعذاب الذى يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما فى الدنيا أو فى الآخرة

## سورة القصص

(علا فى الأرض) أى تكبر وطغا (شيعا) أى فرقا مختلفين لجعل فرعون القبط ملوكا وبنى إسرائيل خداما لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم أئمة: أى ولاة فى الأرض أرض فرعون وقومه (هامان) هو وزير فرعون (وأوحينا إلى أم موسى) اختلف هل كان هذا الوحى بإلهام أومنام أوكلام بواسطة الملك، وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامتثالها ما أمرت به (فإذا خفت عليه) أى إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بنى إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد غلام منهم (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط اللقاء من غير قصد، روى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت فى البحر وهو النيل فأمرت أن يساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيا فأحبته، وقالت لفرعون: هذا قرة عين لى ولك (ليكون لهم عدوّا) اللام لام العاقبة وتسمى أيضا لام الصيرورة (لاتقتلوه) روى أن فرعون همّ بذبحه إذ توسم أنه من بنى إسرائيل، فقالت امرأته لاتقتلوه (وهم لايشعرون) أى لايشعرون أن هلاكهم يكون على يديه، والضمير الفاعل لفرعون وقومه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى ذاهلا لاعقل معها، وقيل فارغا من الصبر وقيل فارغا من كل شىء إلا من همّ موسى، وقيل فارغا من وعد الله: أى نسيت ما أوحى إليها، وقيل فارغا من الحزن إذ لم يغرق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغا من كل شىء إلا من ذكر الله وقرئ فزعا بالزاى من الفزع (إن كادت لتبدى به) أى تظهر أمره، وفى الحديث كادت أم موسى أن تقول واابناه وتخرج صائحة على وجهها (ربطنا على قلبها) أى رزقناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بالوعد الذى وعدها الله (وقالت

فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون . ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين . فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى

---

لأخته قصيه) أى اتبعيه ، والقص طلب الأثر ، فخرجت أخته تبحث عنه فى خفية (فبصرت به عن جنب) أى رأته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أخته ، وقيل معنى عن جنب : عن شوق إليه ، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده (وهم لا يشعرون) أى لا يشعرون أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منع منها بأن بغضها الله له ، والمراضع جمع مرضعة ، وهى المرأة التى ترضع ، أو جمع مرضع بفتح الميم والضاد : وهو موضع الرضاع يعنى الثدى (من قبل) أى من أول مرة (فقالت هل أدلكم) القائلة أخته تخاطب آل فرعون (فرددناه إلى أمه) لما منعه الله من المراضع وقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت الآية : جاءت بأمه فقبل ثديها ، فقال لها فرعون ومن أنت منه فما قبل ثدى امرأة إلا ثديك ؟ فقالت إنى امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به إلى بيتها وقرت عينها بذلك وعلمت أن وعد الله حق فى قوله إنا رادوه إليك (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (واستوى) أى كمل عقله ، وذلك مع الأربعين سنة (ودخل المدينة) يعنى مصر وقيل قرية حولها ، والأول أشهر (على حين غفلة) قيل فى القائلة وقيل بين العشاءين ، وقيل يوم عيد ، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفيا متخوفا (هذا من شيعته) الذى من شيعته من بنى إسرائيل ، والذى من عدوه من القبط (فوكزه موسى) أى ضربه ، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف (فقضى عليه) أى قتله ، ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل ، فندم وقال هذا من عمل الشيطان أى إن الغضب الذى أوجب ذلك كان من الشيطان ، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له ، فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافرا ؟ فالجواب أنه لم يؤذن له فى قتله ولذلك يقول يوم القيامة إنى قتلت نفسا لم أومر بقتلها (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) الظهير المعين ، والباء سببية ، والمعنى بسبب إنعامك على لا أكون ظهيرا للمجرمين ، فهى معاهدة عاهد موسى عليها ربه ، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف لأن قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم ، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيرا للمجرمين ، وقيل الباء للتحليف : أى اعصمنى بحق نعمتك على فلن أكون ظهيرا للمجرمين ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور (يترقب) فى الموضعين أى يستحس هل يطلبه أحد (يستصرخه) أى

إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۞ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ السَّبِيلِ ۞ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ

---

يستغيث به ، أى موسى الإسرائيلى الذى قاتل القبطى بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس فعظم ذلك على موسى وقال له إنك لغوى مبين (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) الضمير فى أراد وفى يبطش لموسى ، وفى قال للإسرائيلى ، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطى الذى هو عدو له وللإسرائيلى : ظن الإسرائيلى أنه يريد أن يبطش به إذ قال له إنك لغوى مبين ، فقال الإسرائيلى لموسى : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ، وقيل الضمير فى أراد للإسرائيلى ، والمعنى فلما أراد الإسرائيلى أن يبطش موسى بالقبطى ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فصح الإسرائيلى ، فقال له أتريد أن تقتلنى فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون (وجاء رجل) قيل إنه مؤمن آل فرعون ، وقيل غيره (يسعى) أى يسرع فى مشيه ليدرك موسى فينصحه (إن الملأ يأتمرون بك) يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطى (ولما توجه تلقاء مدين) أى قصد بوجهه ناحية مدين وهى مدينة شعيب عليه السلام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسط الطريق يعنى طريق مدين إذ كان قد خرج فاراً بنفسه ، وكان لا يعرف الطريق ، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر ، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفا بالله قبل نبوته (ولما ورد ماء مدين) أى وصل إليه وكان بئراً (يسقون) أى يسقون مواشيهم (امرأتين) روى أن اسمهما ليا وصفوريا ، وقيل صفيرا وصفرا (تذودان) أى تمنعان الناس عن غنمهما ، وقيل تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقى الناس ، وهذا أظهر لقولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء : أى كانت عادتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس لقوة الناس ولضعفهما ، أو لكراهتهما الازدحام مع الناس (يصدر) بضم الياء وكسر الدال فعل متعد ، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، وقرئ بفتح الياء وضم الدال أى ينصرفون عن الماء (وأبونا شيخ كبير) أى لا يستطيع أن يباشر سقى غنمه ، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام فى قول الجمهور ، وقيل ابن أخيه ، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب (فسقى لهما) أى أدركته شفقته عليهما فسقى غنمهما ، وروى أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده (تولى إلى الظل) أى جلس فى الظل ، وروى أنه كان ظل سمرة (إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير) طلب من الله ما يأكله وكان قد

وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۝ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ

---

اشتد عليه الجوع (فجاءته إحداهما) قبل هذا كلام محذوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء فى السقى فأخبرتاه بما كان من أمر سقى الرجل لهما فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف هل التى جاءته الصغرى أو الكبرى (على استحياء) روى أنها سترت وجهها بكم درعها والمجرور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف (وقص عليه القصص) أى ذكر له قصته (لا تخف) أى قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون (استأجره) أى اجعله أجيرا لك (إن خير من استأجرت القوى الأمين) هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، روى أن أباها قال لها من أين عرفت قوته وأمانته، قالت أما قوته ففى رفعه الحجر عن فم البئر: وأما أمانته فإنه لم ينظر إلى (قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى) زوجته التى دعته، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى، واسم التى زوجه صفور، وقيل صفوريا، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال فى عقود الأنكحة: أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه (على أن تأجرنى ثمانى حجج) أى أزوجك بنتى على أن تخدمنى ثمانية أعوام، قال مكى: فى هذه الآية خصائص فى النكاح، منها أنه لم يعين الزوجة، ولا حد أول الأمد، وجعل المهر إجارة، قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراودة، وقد قال الزمخشرى إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدة وأما ذكر أول الأمد، فالظاهر أنه من حين العقد، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وقد قرره شرعنا حسبما ورد فى الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم الرجل قد زوجتكها على ما معك من القرآن: أى على أن تعلمها ما عندك من القرآن، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعى وابن حنبل وابن حبيب للآية والحديث، ومنعه مالك (فإن أتممت عشراً فمن عندك) جعل الأعوام الثمانية شرطا، ووكل العامين إلى مروءة موسى، فوفى له العشر، وقيل وفى العشرة وعشرا بعدها، وهذا ضعيف لقوله (فلما قضى موسى الأجل) أى الأجل المذكور (وسار بأهله) الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر (جذوة) أى قطعة، ويجوز كسر الجيم وضمها، وقد ذكر آنس، والطور، وتصطلون (شاطئ الواد) جانبه والأيمن صفة للشاطئ اليمين، ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة للوادى (من الشجرة) روى أنها كانت عوسجة (جان) ذكر فى النمل

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى

---

(اسلك يدك فى جيبك) أى أدخلها فيه ، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه (واضمم إليك جناحك) الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك فى وقت فزعه أن يخف خوفه ، وقيل ذلك على وجه المجاز ، والمعنى أنه أمر بالعزم على ما أمر به : كقوله اشدد حيازمك واربط جأشك (من الرهب) أى من أجل الرهب ، وهو الخوف ، وفيه ثلاثة لغات فتح الراء والهاء ، وفتح الراء وإسكان الهاء ، وضم الراء وإسكان الهاء (فذانك برهانان) أى حجتان والإشارة إلى العصا واليد (إلى فرعون) يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام (ردءا) أى معينا ، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أرديت أى زدت (سنشد عضدك بأخيك) استعارة فى المعونة (بآياتنا) يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو بيصلون أو بالغالبون (فأوقد لى ياهامان على الطين) أى اصنع الآجر لبنيان الصرح الذى رام أن يصعد منه إلى السماء ، وروى أنه أول من عمل الآجر ، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى فى كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح ، وقد روى أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم ، ثم قال (وإنى لأظنه من الكاذبين) يعنى فى دعوى الرسالة ، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه ، أو بمعنى اليقين (أئمة يدعون إلى النار) أى كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار (من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين ، وقيل قبحت وجوههم ، وقيل

وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ۞ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ

---

قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم (وما كنت بجانب الغربى) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربى المكان الذى فى غربى الطور ، وهو المكان الذى كلم الله فيه موسى والأمر المقضى إلى موسى هو النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) المعنى لم تحضر يا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التى تخبر بها ، ولكنها صارت إليك بوحينا فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك ، ولكن تطاول الأمر على القرون التى أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك ، وقيل المعنى لكنا أنشأنا قرونا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل (ثاويا) أى مقيما (إذ نادينا) يعنى تكليم موسى ، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ (ولكن رحمة) انتصب على المصدر ، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير : ولكن أرسلناك رحمة منا لك ورحمة للخلق بك (ولولا أن تصيبهم مصيبة) لوهنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتحضيض ، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (فلما جاءهم الحق) يعنى القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة ، وقلب العصا حية وفلق البحر وشبه ذلك (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) هذا رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أنهم كفروا بما أوتى موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به ، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أوتى موسى ، ويحتمل أن يتعلق بقوله أو لم يكفروا ، إن كانت الآية فى بنى إسرائيل ، والأول أحسن (قالوا ساحران تظاهرا) يعنون موسى وهارون ، أو موسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم والضمير فى أو لم يكفروا وفى قالوا لكفار قريش وقيل لآبائهم ، وقيل لليهود والأول أظهر وأصح لأنهم المقصودون بالرد عليهم (فأتوا بكتاب) أمر على وجه التعجيز لهم (أهدى منهما) الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فإن لم يستجيبوا لك) قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدا ، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة فى إقامة الحجة عليهم :

أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۞ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ۞ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا

---

كقوله : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم : المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عناد واتباع أهوائهم لا بحجة وبرهان (ولقد وصلنا لهم القول) الضمير لكفار قريش ، وقيل لليهود والأول أظهر ؛ لأن الكلام من أوله معهم ، والقول هنا القرآن ، ووصلناه لهم : أبلغناه لهم ، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) يعني من أسلم من اليهود ، وقيل النجاشي وقومه ، وقيل نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم عشرون رجلا فآمنوا به ، والضمير في قبله للقرآن ، وقولهم إنه الحق : تعليل لإيمانهم ، وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين : بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل أن يبعث (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها (بما صبروا) يعني صبرهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا أو غير ذلك من أنواع الصبر (ويدرؤون بالحسنة السيئة) أي يدفعون ، ويحتمل أن يريد بالسيئة ما يقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة ما يجاوبون به من الكلام الحسن ، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات (وإذا سمعوا اللغو) يعني ساقط الكلام (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هذا على وجه التبري والبعد من القائلين للغو (سلام عليكم) معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية أو كأنه سلام الانصراف والبعد (لا نبتغي الجاهلين) أي لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام (إنك لا تهدي من أحببت) نزلت في أبي طالب إذ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عند موته لا إله إلا الله فقال لولا أن يعايرني بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه (ولكن الله يهدي من يشاء) لفظ عام ، وقيل أراد به العباس بن عبد المطلب (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) القائلون لذلك قريش ، وروى أن الذي قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل ، والهدى هو الإسلام ، ومعناه الهدى على زعمك ، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذي تقول حق ، ولكن إن اتبعناك تخطفتنا العرب : أي أهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم (أو لم نمكن لهم حرما آمنا) هذا رد عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم ، والمعنى أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحداً من إهلاك أهله فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ، وأهل الحرم آمنون من ذلك (يجبى إليه ثمرات كل شيء) أي

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۞ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ۞ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ

---

تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذي زرع (بطرت معيشتها) معنى بطرت طغت وسفهت ، ومعيشتها : نصب على التفسير مثل سفه نفسه ، أو على إسقاط حرف الجر تقديره بطرت في معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت (إلا قليلا) يعني قليلا من السكنى ، أو قليلا من الساكنين : أي لم يسكنها بعد إهلاكها إلا مار على الطريق ساعة (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا) أم القرى مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض ، ولأن فيها بيت الله ، والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في أم القرى ، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم (وما أوتيتم من شيء) الآية : تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة (أفمن وعدناه) الآية : إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة ، والمراد بمن وعدناه المؤمنين ، وبمن متعناه الكافرين ، وقيل سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأبو جهل ، وقيل حمزة وأبو جهل ، والعموم أحسن لفظا ، ومعنى من المحضرين أي من المحضرين في العذاب (ويوم يناديهم) العامل في الظرف مضمر وفاعل ينادي الله تعالى ، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة ، والمفعول به المشركون (أين شركائي) توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم ، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون ، فحذف المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لي أو تزعمون أنهم شفعاء لكم (قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا) معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب ، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم ، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا: إلى أتباعهم من الضعفاء ، فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم أغوينا وبين قولهم تبرأنا إليك ، فإنهم اعترفوا بإغوائهم ، وتبرؤا مع ذلك منهم ؟ فالجواب أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك ، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا ، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرؤا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام ، وقد قيل في معنى الآية غير هذا مما هو تكلف بعيد (لو أنهم كانوا يهتدون) فيه أربعة أوجه : الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام ، والثاني لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا

مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ

---

والثالث لو أنهم كانوا يهتدون فى الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا فلو على هذه الأقوال حرف امتناع وجوابها محذوف ، والرابع أن يكون لو للتمنى : أى تمنوا لو كانوا مهتدين (ماذا أجبتم المرسلين) أى أهل صدقتم المرسلين أو كذبتموهم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) عميت عبارة عن حيرتهم ، والأنباء الأخبار أى أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا مايقولون (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الأنباء لأنهم قد تساووا فى الحيرة والعجز عن الجواب (وربك يخلق مايشاء ويختار) قيل سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، فالمعنى أن الله يخلق مايشاء ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ، ولفظها أعم من ذلك ، والأحسن حمله على عمومه : أى يختار مايشاء من الأمور على الإطلاق ، ويفعل مايريد (ما كان لهم الخيرة) مانافية ، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده . فالوقف على قوله ويختار ، وقيل إن مامفعولة بيختار ، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة ، وهذا يجرى على قول المعتزلة ، وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان ، ولو كانت مامفعولة : لكان اسم كان مضمرا يعود على ما ؛ وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان ، وقد اعتذر عن هذا من قال إن مامفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه ، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية يتجه أن تكون مامفعولة إذا قدرنا كان تامة ، ويوقف على قوله ما كان : أى يختار كل كائن ، ويكون «لهم الخيرة» جملة مستأنفة ، وهذا بعيد جدا (يعلم ماتكن صدورهم) أى ماتخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر ، لأنه يحتوى عليه (له الحمد فى الأولى والآخرة) قيل إن الحمد فى الآخرة قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، وفى ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة (سرمدا) أى دائما ، والمراد بالآيات إثبات الوحدانية وإبطال الشرك ، فإن قيل كيف قال يأتيكم بضياء ، وهلا قال يأتيكم بنهار فى مقابلة قوله يأتيكم بليل ؟ فالجواب أنه ذكر الضياء لجلة مافيه من المنافع والعبر (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار ، ففى الآية لف ونشر (ونزعنا من كل أمة شهيدا ) أى أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم

فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَاتَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَـٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَاتَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *

---

وهو نبيهم ، لأن كل نبي يشهد على أمته (هاتوا برهانكم) أى هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز (إن قارون كان من قوم موسى) أى من بنى إسرائيل ، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته ، وقيل ابن خالته (فبغى عليهم) أى تكبر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) المفاتح هى التى يفتح بها ، وقيل هى الخزائن ، والأول أظهر ، والعصبة جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين ، وتنوء معناه تثقل ، يقال ناء به الحمل : إذا أثقله ، وقيل معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا ، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول ( لاتفرح ) الفرح هنا هو الذى يقود إلى الإعجاب والطغيان ، ولذلك قال إن الله لايحب الفرحين ، وقيل السرور بالدنيا ، لأنه لايفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله ولا تفرحوا بما آتاكم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة ، وقيل معناه لاتضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات ، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا وعظ ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة (وأحسن كما أحسن الله إليك) أى أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى قال إنما أوتيته على علم عندى) لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة ، والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله لى بالاستحقاق له بسبب علم عندى استوجبته به واختلف فى هذا العلم فقيل إنه علم الكيمياء ، وقيل التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب ، وقيل حفظه التوارة ، وهذا بعيد ، لأنه كان كافرا ، وقيل المعنى إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصنى به ، ثم جعل قوله عندى كما تقول فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) هذا رد عليه فى اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال أو جمعه للخدم ، والأول أظهر (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فى معناه قولان : أحدهما أنه متصل بما قبله ، والضمير فى ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أى لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة ، والثانى أنه إخبار عن حال المجرمين فى الآخرة ؛ وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب ، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسئلون عنها لقوله « فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون ، وأن هذا السؤال المنفى السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف ، لأنه لايحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ ، وحيثما ورد فى القرآن إثبات السؤال فى الآخرة ، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَـٰرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٥ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا الصَّـٰبِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَـٰفِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ٥ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٥ وَلَا تَدْعُ

---

الاستخبار والتعريف ، ومنه قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان (فخرج على قومه فى زينته) فى ثياب حمر ، وقيل فى عبيده وحاشيته ، واللفظ أعم من ذلك (ويلكم) زجر الذين تمنوا مثل حال قارون (ولا يلقاها إلا الصابرون) الضمير عائد على الخصال التى دل عليها الكلام المتقدم ، وهى الإيمان والعمل الصالح، وقيل على الكلمة التى قالها الذين أوتوا العلم : أى لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين، والصبر هنا إمساك النفس عن الدنيا وزينتها (فخسفنا به وبداره الأرض) روى أن قارون لما بغى على بنى إسرائيل وآذى موسى دعا موسى عليه السلام عليه فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفى أتباعه ، فقال موسى : ياأرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى فقال ياأرض خذيهم حتى تم بهم الخسف (مكانه) أى منزلته فى المال والعزة (بالأمس) يحتمل أن يريد به اليوم الذى كان قبل ذلك اليوم أو ما تقدم من الزمان القريب (ويكأن) مذهب سيبويه أن وى حرف تنبيه ، ثم ذكرت بعدها كأن، والمعنى على هذا أنهم تنبهوا لخطئهم فى قولهم ياليت لنا مثل ماأوتى قارون، ثم قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر : أى ما أشبه الحال بهذا، وقال الكوفيون ويك هو ويلك حذفت منها اللام لكثرة الاستعمال ، ثم ذكرت بعدها أن ، والمعنى ألم يعلموا أن الله وقيل ويكأن كلمة واحدة معناها ألم تعلم (علوا فى الأرض) أى تكبرا وطغيانا لا رفعة المنزلة ، فإن إرادتها جائزة (فرض عليك القرآن) أى أنزله عليك وأثبته ، وقيل المعنى أعطاك القرآن ، والمعنى متقارب ، وقيل فرض عليك أحكام القرآن ، فهى على حذف مضاف (لرادك إلى معاد) المعاد الموضع الذى يعاد إليه ، فقيل يعنى مكة ، والآية نزلت حين الهجرة ، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها ، وقيل يعنى الآخرة فمعناها إعلام بالحشر، وقيل يعنى الجنة (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أى ما كنت تطمع أن تنال النبوة، ولا أن ينزل عليك الكتاب ولكن الله رحمك بذلك ورحم الناس بنبوتك ، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع. ويحتمل أن يكون متصلا. والمعنى ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك ورحمة للناس ، ورحمة على هذا مفعول من أجله أو حال ، وعلى الأول منصوب على

مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

## سـورة العنكبوت

مكية إلا من آية ١ إلى غاية ١١ فمدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا

---

الاستثناء (وادع إلى ربك) يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة ، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس (ولا تدع) أى لا تعبد (مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه) الآية . أى إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات

## سـورة العنكبوت

(الٓمٓ) ذكر فى البقرة (أحسب الناس أن يتركوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره ، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك فآنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته فى عباده يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك ، ويظهر الصادق فى إيمانه من الكاذب ، ولفظها مع ذلك عام ، فحكمها على العموم فى كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة فى النفس والمال وغير ذلك ، ومعنى حسب ظن ، وأن يتركوا مفعولها ، والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون فى موضع الحال من الضمير فى يتركوا تقديره غير مفتونين ، وأن يقولوا : تعليل فى موضع المفعول من أجله (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى يعلم صدقهم علما ظاهرا فى الوجود ، وقد كان علمه فى الأزل والصدق والكذب فى الآية يعنى بهما صحة الإيمان والثبوت عليه ، أو ضد ذلك (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أم معادلة لقوله أحسب الناس ، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين ، ولفظها مع ذلك عام فى كل كافر أو عاص ، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا ، فمعنى الكلام نفى سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفى ترك المؤمنين بغير فتنة (من كان يرجو لقاء الله) الآية : تسلية المؤمنين ، ووعد لهم بالخير فى الدار الآخرة ، والرجاء هنا على بابه ، وقيل هو بمعنى الخوف ، وأجل الله هو الموت ، ومعنى الآية من كان يرجو ثواب الله فليصبر فى الدنيا على المجاهدة فى طاعة الله حتى يلقى الله فيجازيه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آت قريب (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أى منفعة جهاده فإنما هى لنفسه ، فإن الله لا تنفعه طاعة العباد ، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال ، أو جهاد

تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ ۝
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ
لَكَٰذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ
وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝
إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

---

النفس (حسنا) منصوب بفعل مضمر تقديره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنا ، أومصدرا من معنى وصينا أى وصية حسنة (وإن جاهداك لتشرك بى) الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص ، وأنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر ، وقيل نزلت فى غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام وألا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر ، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت فى قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم ، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان ، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا إنا كنا معكم ، فمعنى أوذى فى الله أوذى بسبب إيمانه بالله ، وفتنة الناس ، تعذيبهم وقيل نزلت فى عياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل لأمه (اتبعوا سبيلنا) أى قال الكفار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان ، وروى أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاه المهدوى ، وقولهم ولنحمل خطاياكم : جزاء قولهم اتبعوا سبيلنا ، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر صح تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون : أى لا يحملون أوزار هؤلاء ، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه ، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته ، وروى أنه بعث وهو ابن أربعين سنة ، وأنه عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فإن قيل : لم قال ألف سنة ، ثم قال إلا خمسين عاما ، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السنة ، فإن التكرار مكروه إلا اذا قصد به تفخيم أو تهويل (وجعلناها آية) يحتمل أن يعود الضمير على السفينة ، أو على النجاة ، أو على القصة ، بكمالها (وتخلقون إفكا) هو من الخلقة يريد بنحت الأصنام فسماه خلقة على وجه التجوز ، وقيل هو من اختلاق الكذب (لا يملكون لكم رزقاً) الآية : احتجاج على الوحدانية ونفى الشركاء ، فإن قيل : لم نكر الرزق أولا ، ثم عرفه فى قوله فابتغوا عند الله الرزق؟ فالجواب : أنه نكره فى قوله لا يملكون لكم رزقاً لقصد العموم فى النفى فإن النكرة فى سياق النفى تقتضى العموم ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم فى طلب الرزق كله من الله ، لأنه لا يقتضى العموم ، فى سياق

فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ● وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ● أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ● قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ● يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ● وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ● وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ● فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ● وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ● فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ● وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ

---

الإثبات لإلامع التعريف فكأنه قال ابتغوا الرزق كله عند الله (وإن يكذبوك) الآية يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) يقال بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة، والمعنى أو لم ير الكفار أن الله خالق الخلق فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر، فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدأ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداءة بالمشاهدة، بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات، وإبدائه، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفاً على يبدئ لاتفاق المعنى، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام (إن ذلك على الله يسير) يعني إعادة الخلق وهي حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شيء قدير (وإليه تقلبون) أي ترجعون (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء (أولئك يئسوا من رحمتي) يحتمل أن يكون يأسهم في الآخرة، أو يكون وصف حالهم في الدنيا، لأن الكافر يائس من رحمة الله، والمؤمن راج خائف، وهذا الكلام من قوله: أو لم يروا، إلى هنا: يحتمل أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم معترضاً بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطاباً لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له (مودة بينكم) نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثان لاتخذتم، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمر أو خبر إن وتكون ما موصولة ونصب بينكم على الظرفية، وخفضه بالإضافة (فآمن له لوط) تضمن آمن معنى انقاد، ولذلك تعدى باللام (وقال إني مهاجر إلى ربي) القائل لذلك إبراهيم، وقيل لوط، وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم،

وَالْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِى عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوٓا إِنَّا مُهْلِكُوٓا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَٰلِمِينَ ۝ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ۝ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَٰبِقِينَ ۝ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا

---

وعلى ذريته أنزل الله التوارة والإنجيل والزبور والفرقان (وتقطعون السبيل) قيل أراد قطع الطرق للسلب والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال (وتأتون فى ناديكم المنكر) النادى المجلس الذى يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل إذايتهم للناس (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) الرسل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله «فبشروه بغلام حليم» أو بشارته بنصر سيدنا لوط والأول أظهر (أهل هذه القرية) يعنى قرية سيدنا لوط (قال إن فيها لوطاً) ليس إخباراً بأنه فيها وإنما قصد نجاة سيدنا لوط من العذاب الذى يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذى وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط (من الغابرين) قد ذكر وكذلك سىء بهم (رجزاً من السماء) أى عذابا (وارجوا اليوم الآخر) قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابه (ولا تعثوا فى الأرض) يعنى نقصهم المكيال والميزان (الرجفة) هى الصيحة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم (وكانوا مستبصرين) قيل معناه لهم بصيرة فى كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة فى الإيمان، ولكنهم كفروا اعنادا، وقيل معنى مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا (وما كانوا سابقين) أى لم يفوتونا (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) الحاصب الحجارة، والحاصب أيضا الريح الشديدة، ويحتمل عندى أنه أراد به المعنيين، لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوٓا ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا

---

على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر ، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد فى معنيين كقوله «إن الله وملائكته يصلون على النبى» ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود ومدين (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعنى قارون (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) شبه الله الكافرين فى عبادتهم للأصنام بالعنكبوت فى بنائها بيتا ضعيفا ، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت فى بيتها ليس بشىء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشىء لأنهم لا ينفعون ولا يضرون (أوهن البيوت) أى أضعفها (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء) ما موصولة بمعنى الذى مفعولة للفعل الذى قبلها وقيل هى نافية ، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئا له بال ، فلا يصلح أن يسمى شيئا (بالحق) أى بالواجب لا على وجه العبث واللعب (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) إذا كان المصلى خاشعا فى صلاته متذكراً لعظمة من وقف بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك (ولذكر الله أكبر) قيل فيه ثلاثة معان : الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، لأن ذكر الله أعظم ما فيها ، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر ، لأن ذكر الله فيها هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر : الثانى أن ذكر الله على الدوام أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها فى بعض الأوقات دون بعض : الثالث أن ذكر الله أكبر أجراً من الصلاة ومن سائر الطاعات ، كما ورد فى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، قالوا بلى قال ذكر الله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) أى لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم فى الدين إلا بالتى هى أحسن ، لا بضرب ولا قتال ، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ، ثم نسخ بالسيف ، ومعنى إلا الذين ظلموا : أى ظلموكم ، وصرحوا بإذاية نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى الآية : لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتى هى أحسن ، ومعنى إلا الذين ظلموا على هذا من بقى منهم على كفره ، والمعنى الأول أظهر (وقولوا آمنا) هذا وما بعده يقتضى مواعدة ومسالمة ، وهى منسوخة بالسيف ، ويقتضى أيضا الإعراض عن مكالمتهم ، وفى الحديث : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل

وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَا إِلَّا الْكَٰفِرُونَ * وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَٰبٍ
وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۝ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَا إِلَّا الظَّٰلِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْءَايَٰتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝
قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ
أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ۝ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن
تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَاعْبُدُونِ ۝

---

إليكم ، فإن كان باطلا لم تصدقوهم ، وإن كان حقاً لم تكذبوهم (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) أى كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك (فالذين آتيناهم الكتاب) يعني عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى (ومن هؤلاء من يؤمن به) أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش، وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبدالله بن سلام (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء بالقرآن ، فإن قيل : مافائدة قوله بيمينك ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام ، وتصوير المعنى المراد (إذاً لارتاب المبطلون) أى لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه ، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون فى كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفاً للصفة التى وصفه الله بها عندهم ، والمذهب الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قط ولا كتب وقال الباجى وغيره : أنه كتب لظاهر حديث الحديبية ، وهذا القول ضعيف (بل هو آيات) الضمير للقرآن ، والإضراب ببل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة فهلا اكتفوا به عن طلب الآيات (قل كفى بالله) ذكرمناه فى الرعد وفى الأنعام (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير للكفار يعنى قولهم ائتنا بما تعدنا ، وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (ولولا أجل مسمى) أى لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لجاءهم به حين طلبوه (وليأتينهم بغتة) يحتمل أن يريد القتل الذى أصابهم يوم بدر أو الجوع الذى أصابهم بتوالى القحط ، أو يريد عذاب الآخرة ، وهذا أظهر لقوله : وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (يوم يغشاهم العذاب) أى يحيط بهم ، والعامل فى الظرف محذوف ، أو محيطة (إن أرضى

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا هَـٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

---

واسعة ) تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار ، وترغيباً فى غيرها من أرض الله فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة ، ثم إلى المدينة ( لنبوئنهم أى ننزلنهم ، وقرئ لنثوينهم بالثاء المثلثة من الثوى وهو الإقامة فى المنزل (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) أى كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها ، ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع فى الهجرة إلى بلاد الناس : أى كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم (ولئن سألتهم) فى الموضعين : إقامة حجة عليهم (فأنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق (قل الحمد لله) حمداً لله على ظهور الحجة ، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض (بل أكثرهم لا يعقلون ) إضراب عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون (لهى الحيوان ) أى الحياة الدائمة التى لا موت فيها ، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة (فاذا ركبوا فى الفلك) الآية . إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد ، ثم يشركون به فى حال الرخاء . (ليكفروا) أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخلية كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك اعمل ما شئت (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ) الضمير لكفار قريش ، والحرم الآمن : مكة ، لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد ولا ينتهك أحد حرمتها (ويتخطف الناس من حولهم) عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو أخذ الأموال ( والذين جاهدوا فينا) يعنى جهاد النفس من الصبر على إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك ، وقيل يعنى القتال ، وذلك ضعيف ، لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية (لنهدينهم سبلنا ) أى لنوفقنهم لسبيل الخير (وإن الله لمع المحسنين ) المعنى أنه معهم بإعانته ونصره

# سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ

# سورة الروم

(غلبت الروم) أى هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسميت الروم باسم جدهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم (فى أدنى الأرض) قيل هى الجزيرة، وهى بين الشام والعراق وهى أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس (فى بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع (ويومئذ يفرح المؤمنون) روى أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر، وقيل يوم الحديبية، ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش وقيل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، كذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش، وروى أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فقال إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدهم فى الرهن واستزدهم فى الأجل، فجعل القلاص مائة، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبى ابن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبى بن خلف، إذ كان قد مات وجاء بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق بها (وعد الله) مصدر مؤكد كقوله له على ألف درهم عرفا، لأن معناه اعترفت له بها اعترافا (يعلمون ظاهرا) قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم فى ذلك مثل البهائم، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو فى الدنيا، وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب، والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضى عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولا، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة، وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة لاجتماع النفى والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلة منفعته فهو على هذا بيان للنفى (أولم يتفكروا فى أنفسهم) يحتمل معنيين: أحدهما أن تكون النفس ظرفا للفكرة فى خلق السموات والأرض كأنه قال أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق، والثانى أن يكون المعنى أولم يتفكروا فى ذواتهم

مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُوا السُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰٓئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَيُحْىِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله ماخلق الآية : استئناف كلام ، والمعنى الأول أظهر (وأثاروا الأرض) أى حرثوها (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى) معنى السوآى : هلاك الكفار ، ولفظ السوآى تأنيث الأسوأ : كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، وقرئ عاقبة بالرفع على أنه اسم كان ، والسوآى خبرها ، وقرئ بنصب عاقبة على أنها خبر كان ، والسوآى اسمها ، وأن كذبوا مفعول من أجله ، ويحتمل أن تكون السوآى مصدر أساءوا (يبلس المجرمون) الإبلاس السكون فى شرمع اليأس من الخير (يتفرقون) معناه فى المنازل والجزاء (يحبرون) تنعمون من الحبور وهو السرور والنعيم ، وقيل تكرمون (سبحان الله) هذا تعليم للعباد أى قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وعشيا وحين تظهرون) أى حين تدخلون فى وقت الظهيرة وهى وسط النهار ، وقوله وله الحمد فى السموات والأرض : اعتراض بين المعطوفات ، وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس ، فحين تمسون : المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : الصبح ، وعشيا : العصر ، وحين تظهرون الظهر (يخرج الحىّ) ذكر فى آل عمران (ويحيي الأرض) أى ينبت فيها النبات (وكذلك تخرجون) أى كما يخرج الله النبات من الأرض كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة (تنتشرون) أى تنصرفون فى الدنيا (من أنفسكم أزواجا) أى صنفكم وجنسكم ، قيل أراد خلقة حواء من ضلع آدم ، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم (مودة ورحمة) قيل المودة الجماع ، والرحمة الولد ، والعموم أحسن وأبلغ (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم (وألوانكم) يعنى البياض والسواد ، وقيل يعنى أصنافكم ،

يَسْمَعُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ
الْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۝ وَلَهُ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ضَرَبَ لَكُم
مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن
يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا

---

والأول أظهر (خوفا وطمعا) ذكر فى الرعد (أن تقوم السماء والأرض) معناه تثبت أو يقوم تدبيرها (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) إذا الأولى شرطية ، والثانية فجائية وهى جواب الأولى ، والدعوة فى هذه الآية قوله للموتى قوموا بالنفخة الثانية فى الصور ، ومن الأرض يتعلق بقوله تخرجون أو بقوله دعاكم ، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو فى الجبل (قانتون) ذكر فى البقرة (وهو أهون عليه) أى الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى ، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث ، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثانى مرة ، ولكن الأمور كلها متساوية عندالله ، فإن كل شىء على الله يسير (وله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى الذى يصفه به أهل السموات والأرض (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء) هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشاركم عبيدكم فى أموالكم ولا يستوون معكم فى أحوالكم ، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده فى ملكه ، ولا يماثله أحد فى ربوبيته ، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفى ودخل فى النفى قوله « فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم : أى لستم فى أموالكم سواء مع عبيدكم ، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم ، لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك ( بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم ) الإضراب ببل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة فى إشراكهم بالله بل اتبعوا فى ذلك أهواءهم بغير علم ( فأقم وجهك للدين ) هو دين الإسلام ، وإقامة الوجه فى الموضعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه فى قوله أقم ، والقيم ضرب من ضروب التجنيس (فطرت الله) منصوب على المصدر : كقوله صبغة الله أو مفعولا بفعل مضمر تقديره الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، ومعناه خلقة الله ، والمراد به دين الإسلام ، لأن الله خلق الخلق عليه ، إذ هو الذى تقتضيه عقولهم السليمة ، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه (لا تبديل لخلق الله) يعنى بخلق الله الفطرة التى خلق الناس عليها من الإيمان ، ومعنى أن الله لا يبدلها أى لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى ، أو

الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ۝ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

---

يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوها ، فالنفي على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص في المؤمنين أي لا تبديل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه ، وقيل إنه نهي عن تبديل الخلقة كخصاء الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك (منيبين إليه) منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وأمته ، ولذلك جمعهم في قوله منيبين، وقيل هو حال من ضمير الفاعل المستتر في الزموا فطرة الله ،وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد (واتقوه) ومابعده معطوف على أقم وجهك أو على العامل في فطرة الله وهو الزموا المضمر (من الذين فرقوا دينهم) المجرور بدل من المجرور قبله،ومعنى فرقوا دينهم : جعلوه فرقاً أي اختلفوا فيه ، وقرئ فارقوا من المفارقة أي تركوه ، والمراد بالمشركين هنا أصناف الكفار ، وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة ، وفي لفظ المشركين هنا تجوز بعيد ، ولعل قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في الأنعام «إن الذين فرقوا دينهم» فإنه ليس هناك ذكر المشركين ( وإذ مسّ الناس ضر) الآية : إنحاء على المشركين ، لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء (ليكفروا) ذكر في النحل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أم هنا منقطعة بمعنى بل ، والسلطان الحجة ، وكلامه مجاز كما تقول نطق بكذا ، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم (وإذا أذقنا الناس رحمة) إنحاء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير ، ويقنط إذا أصابه الشر ، وانظر كيف قال هنا إذا ، وقال في الشر إن تصبهم سيئة ، لأن إذا للقطع بوقوع الشرط ، بخلاف إن فإنها للشك في وقوعه ، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشرّ ( بما قدمت أيديهم ) المعنى أن مايصيب الناس من المصائب ، فإنه بسبب ذنوبهم (فآت ذا القربى حقه ) يعني صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة ، ولو بالكلام الطيب ( وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس ) الآية : معناها كقوله « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » أي ماأعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله ، وما آتيتم من الصدقات : فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به ، وقيل المراد أن يهب الرجل الرجل أو يهدي له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزاً فانه لا ثواب فيه وقرئ «وما آتيتم» بالمد بمعنى أعطيتم وبالقصر يعني جئتم أي فعلتموه ، وقرئ لتربوا بالتاء المضمومة وليربو بالياء

الْمُضْعِفُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ۝ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي

---

مفتوحة ونصب الواو (فأولئك هم المضعفون) المضعف ذوالإضعاف من الحسنات ، وفى هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة إلى الخطاب ، وكان الأصل أن يقال وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون ، وفيه أيضا حذف ، لأنه لابد من ضمير يرجع إلى ما ، وتقديره المضعفون به أوفمؤتوه هم المضعفون (ظهر الفساد فى البر والبحر) قيل البر البلاد البعيدة من البحر ، والبحر هو البلاد التى على ساحل البحر ، وقيل البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف ، والصحيح أن البر والبحر المعروفان ، فظهور الفساد فى البر بالقحط والفتن وشبه ذلك ، وظهور الفساد فى البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان (لامرد له) أى لارجوع له ولابد من وقوعه (من الله) يتعلق بقوله يأتى أو بقوله لامرد له أى لايرده الله (يومئذ يصدعون) من الصدع وهو الفرقة أى يتفرقون : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير (فلأنفسهم يمهدون) أى يوطنون وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه ، والمعنى أنهم يعملون ما ينتفعون به فى الآخرة (ليجزى) يتعلق بيمهدون أو يصدعون ، أو بمحذوف (مبشرات) أى تبشر بالمطر (وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال ليبشركم وليذيقكم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره ليذيقكم (من رحمته) أرسلها (وكان حقاً) انتصب حقا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين ، وقيل اسمها مضمر يعود على مصدر انتقمنا : أى وكان الانتقام حقا ، فعلى هذا يوقف على حقا ويكون نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف (تثير سحابا) أى تحركها وتنشرها (كسفا) أى قطعا ، وقرئ بإسكان السين وهما بناءان للجمع ، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة (الودق) هو المطر (من خلاله) الخلال الشقاق الذى بين بعضه وبعض لأنه متخلل الأجزاء والضمير يعود على السحاب (من

الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۝ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِئَايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِئَايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝

قبله) كرر للتأكيد وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار (لمبلسين) أى قانطين كقوله ينزل الغيث من بعد ماقنطوا (فرآه مصفرا) الضمير للنبات الذى ينبته الله بالمطر ، والمعنى لئن أرسل الله ريحا فاصفر به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله ، وقيل الضمير للريح ، وقيل للسحاب والأول أحسن فى المعنى (فإنك لاتسمع الموتى) الآية : استعارة فى عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين ، فشبه الكفار بالموتى فى عدم إحساسهم (خلقكم من ضعف) الضعف الأول كون الإنسان من ماء مهين ، وكونه ضعيف فى حال الطفولية ، والضعف الثانى الأخير الهرم ، وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان (مالبثوا غير ساعة) هذا جواب القسم ، ومعناه أنهم يحلفون أنهم مالبثوا فى القبور تحت التراب إلا ساعة أى مالبثوا فى الدنيا إلا ساعة ، وذلك لاستقصار تلك المدة (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل هذا الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هى عليه (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التى حلفوا عليها (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ أو علم الله ، والمجرور على هذا يتعلق بقوله لبثتم ، وقيل يعنى القرآن ، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله أوتوا العلم ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره على هذا قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله أى العلماء بكتاب الله وقولهم لقد لبثتم : خطاب للكفار ، وقولهم فهذا يوم البعث : تقرير لهم ، وهو فى المعنى جواب لشرط مقدر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث (ولا هم يستعتبون) من العتبى بمعنى الرضا : أى ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب (إن وعد الله حق) يعنى ما وعد من النصر على الكفار (ولا يستخفنك من الخفة : أى لا تضطرب لكلامهم

# ســـورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصافات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ

---

## ســـورة لقمان

(الكتاب الحكيم) ذكر فى يونس (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) هو الغناء ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شراء المغنيات وبيعهن حرام ، وقرأ هذه الآية ، وقيل نزلت فى قرشى اشترى جارية مغنية تغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالشراء على هذا حقيقة ، وقيل نزلت فى النضر ابن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس ، فذلك هو لهو الحديث ، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه ، فالشراء على هذا مجاز ، وقيل لهو الحديث : الطبل ، وقيل الشرك ، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله ، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف ، لقوله تعالى «ليضل عن سبيل الله» الآية ، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف (بغير عمد ترونها) ذكر فى الرعد (أن تميد بكم) أى لئلا تميد بكم (لقمان) رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبى أم لا ؟ وفى الحديث لم يكن لقمان نبيا ، ولكن كان عبداً حسن اليقين أحب الله فأحبه ، فمن عليه بالحكمة ، روى أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وروى أنه كان قاضى بنى إسرائيل ، واختلف فى صناعته ، فقيل كان نجارا ، وقيل خياطا ، وقيل راعى غنم ، وكان ابنه كافراً فما زال يوصيه حتى أسلم ، وروى أن اسم ابنه ثاران (ووصينا الإنسان) هذه الآية والتى بعدها اعتراض فى أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك بالله ، ونزلت الآية فى سعد بن أبى وقاص وأمه حسبما ذكرنا فى العنكبوت (حملته أمه وهنا على وهن) أى ضعفاً على ضعف ، لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً ، وانتصاب وهنا بفعل مضمر تقديره تهن وهنا (وفصاله) أى فطامه ، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع (أن اشكر) تفسير للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله وفصاله فى عامين

حميدٌ ۝ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَـٰقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ

---

ليبين ما تكابده الأم بالولد مما يوجب عظيم حقها ، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب (يابنى) الآية : رجع إلى كلام لقمان ، والتقدير : وقال لقمان يابنىّ (مثقال حبة من خردل) أى وزنها ، والمراد بذلك أن الله يأتى بالقليل والكثير من أعمال العباد فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر (فى صخرة) قيل المراد الصخرة التى عليها الأرض ، وهذا ضعيف ، وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو كانت فى أخفى موضع كجوف صخرة ، فإن الله يأتى بها يوم القيامة وكذلك لو كانت فى السموات أو فى الأرض (واصبر على ما أصابك) أمر بالصبر على المصائب عموماً، وقيل المعنى مايصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر (من عزم الأمور) يحتمل أن يريد مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم الأخلاق التى يعزم عليها أهل الحزم والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أى من معزومات الأمور (ولا تصعر خدك للناس) الصعر فى اللغة الميل أى لا تول الناس خدك وتعرض عنهم تكبراً عليهم (مرحا) ذكر فى الإسراء (مختالا) من الخيلاء (واقصد فى مشيك) أى اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعاً يدل على البطش والخفة ، ولا تبطئ إبطاء يدل على الفخر والكبر (نعمه ظاهرة وباطنة) الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك ، والباطنة النعم التى لا يطلع عليها الناس ومنها ستر القبيح من الأعمال ، وقيل الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم العقبى، واللفظ أعم من ذلك كله (ومن الناس من يجادل) نزلت فى النضر بن الحارث وأمثاله (أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار (ومن يسلم وجهه إلى الله) يسلم أى

فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ
ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى
فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝ يَٰٓأَيُّهَا

---

يخلص أو يستسلم أو ينقاد ، والوجه هنا عبارة عن القصد (بالعروة الوثقى) ذكر فى البقرة (قل الحمد لله) وما بعده ذكر فى العنكبوت (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) الآية إخبار بكثرة كلمات الله والمراد اتساع علمه ومعنى الآية أن شجر الأرض لو كانت أقلاما ، والبحر لو كان مداداً يصب فيه سبعة أبحر صباداً تماً وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله ، لأن الأشجار والبحار متناهية ، وكلمات الله غير متناهية ، فإن قيل : لم لم يقل والبحر مداداً كما قال فى الكهف قل لو كان البحر مداداً ؟ فالجواب : أنه أغنى عن ذلك قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها ، فان قيل لم قال من شجرة ولم يقل من شجر باسم الجنس الذى يقتضى العموم ؟ فالجواب أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة ، فإن قيل : لم قال كلمات الله ولم يقل كلم الله بجمع الكثرة ؟ فالجواب أن هذا أبلغ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنه جمع قلة ، فكيف ينفد الجمع الكثير وروى أن سبب الآية أن اليهود قالوا قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدل أن ما عندهم قليل من كثير ، والآية على هذا مدنية ، وقيل إن سببها أن قريشا قالوا إن القرآن سينفد (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) بيان لقدرة الله على بعث الناس ورد على من استبعد ذلك (يولج الليل فى النهار) أى يدخل كلا منهما فى الآخر بما يزيد فى أحدهما وينقص من الآخر أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة (ذلك بأن الله) يحتمل أن تكون الباء سببية ، أو يكون المعنى ذلك بأن الله شاهد هو الحق (بنعمة الله) يحتمل أن يريد بذلك ما تحمله السفن من الطعام والتجارات والباء للإلصاق أو للمصاحبة ، أو يريد الريح فتكون الباء سببية (صبار شكور) مبالغة فى صابر وشاكر (كالظلل) جمع ظلة وهو ما يعلوك من فوق شبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان (فمنهم مقتصد) المقتصد المتوسط فى الأمر ، فيحتمل أن يريد كافرا متوسطا فى كفره لم يسرف فيه أو مؤمنا متوسطا فى إيمانه ، لأن الإخلاص الذى عليه فى البحر كان يزول عنه وقيل معنى مقتصد مؤمن ثبت فى البر على ما عاهد الله عليه فى البحر (ختار) أى غدار شديد الغدر ، وذلك أنه جحد نعمة الله غدراً (لا يجزى

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *

## ســـورة السجدة

مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ

---

والد عن ولده) أي لا يقضى عنه شيئا ، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة (ولا مولود) أي ولد فكما لا يقدر الوالد لولده على شيء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شيء (الغرور) الشيطان وقيل الأمل والتسويف (علم الساعة) أي متى تكون ، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه ، ولذلك جاء في الحديث : مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (ماذا تكسب غدا) يعني من خير أو شر أو مال أو ولد أو غير ذلك

## ســـورة السجدة

(تنزيل الكتاب) يعني القرآن (لاريب فيه) أي لا شك أنه من عند الله عز وجل ، ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر في نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل (من رب العالمين) يتعلق بتنزيل (أم يقولون) الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة (لتنذر) يتعلق بما قبله أو بمحذوف (ما أتاهم من نذير) يعني من الفترة من زمن عيسى وقد جاء الرسل قبل ذلك إبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم (استوى على العرش) قد ذكر في الأعراف (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) نفي الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفار وهي معدومة على الإطلاق ، والآخر : أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » ( يدبر الأمر ) أي واحد الأمور ، وقيل المأمور به من الطاعات ، والأول أصح (من السماء إلى الأرض) أي ينزل ما دبره وقضاه من السماء إلى الأرض (ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ) قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء ، وقيل إن الله يلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله ، فإذا

وَالشَّهَٰدَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوٓا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

---

فرغت ألقى إليهم مثلها ، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخراً لأن عاقبة الأمور إليه ، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه (عالم الغيب والشهادة) الغيب ماغاب عن المخلوقين ، والشهادة ماشاهدوه (أحسن كل شيء خلقه) أى أتقن جميع المخلوقات ، وقرئ بإسكان اللام على البدل (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعنى آدم عليه السلام (نسله) يعنى ذريته (من سلالة من ماء مهين) يعنى المنىّ ، والسلالة مشتقة من سل يسل ، فكأن الماء يسل من الإنسان ، والمهين الضعيف (ثم سواه) أى قومه (ونفخ فيه من روحه) عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وأضيفت الروح إلى الله إضافة ملك إلى ملك ، وقد يراد بها الاختصاص ، لأن الروح لايعلم كنهه إلا الله (أئذا ضللنا فى الأرض) أى تلفنا وصرنا ترابا ، ومعنى هذا الكلام المحكى عن الكفار استبعاد البعث ، والعامل فى إذا معنى قولهم إنا لفى خلق جديد تقديره نبعث (يتوفاكم ملك الموت) اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة (ولو ترى) يحتمل أن تكون لو للتمنى وتأويله فى حق الله كتأويل الترجى ، وقد ذكر ، أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين فى الآخرة لرأيت أمرا مهولا (ناكسوا رءوسهم) عبارة عن الذل والغم والندم (ربنا أبصرنا وسمعنا) تقديره يقولون ربنا قد علمنا الحقائق (لوشئنا لآتينا كل نفس هداها) يعنى أنه لو أراد أن يهدى جميع الخلائق لفعل ، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان فى قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء (فذوقوا بما نسيتم) أى يقال لهم ذوقوا ، والنسيان هنا بمعنى الترك (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل ، ومن صلى العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ بحظه من هذا (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) يعنى أنه لايعلم أحد مقدار مايعطيهم الله من النعيم وقرئ أخفى بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى (أفمن كان مؤمنا) الآية : يعنى المؤمنين

الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ

---

والفاسقين على العموم ، وقيل يعنى على بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط (فذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) الذى نعت بالعذاب ، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور فى قوله به ، فإن قيل : لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير ، ووصف فى سبأ النار وأعاد عليها الضمير ، وقال عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه خص العذاب فى السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره فى قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، والثانى أنه قدم فى السجدة ذكر النار ، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ماقام مقامه وهو النار ، ووصف العذاب ولم يصف النار ، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع فى السجدة وصف النار فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئا ثم كررت ذكره لم يجز وصفه ، كقولك رأيت رجلا فأكرمت الرجل ، فلا يجوز وصفه لئلا يفهم أنه غيره (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) يعنى الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر ، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله : لعلهم يرجعون ، (إنا من المجرمين منتقمون) هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ، وكان الأصل أن يقول إنا منه منتقمون ، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمر ليصفهم بالإجرام ، وقدم المجرور على منتقمون للمبالغة ( فلا تكن فى مرية من لقائه ) المرية الشك ، والضمير لموسى : أى لا تمتر فى لقائك موسى ليلة الإسراء وقيل المعنى لا تشك فى لقاء موسى والكتاب الذى أنزل عليه ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل الكتاب هنا جنس ، والمعنى : لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت فى لقائك الكتاب الذى أنزل عليك ، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله : وإنك لتلقى القرآن ، (يفصل بينهم) الضمير لجميع الخلق ، وقيل لبنى إسرائيل خاصة (أولم يهد لهم) ذكر فى طه (يمشون فى مساكنهم) الضمير فى يمشون لأهل مكة : أى يمشون فى مساكن القوم المهلكين : كقوله : وقد تبين لكم من مساكنهم ، وقيل الضمير للمهلكين : أى أهلكناهم وهم يمشون فى مساكنهم ، والأول أحسن ، لأن فيه حجة على أهل مكة (الأرض الجرز) يعنى التى لا نبات فيها من شدة العطش

وَٱنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝

## سورة الاحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ

---

(متى هذا الفتح) أى الحكم بين المسلمين والكفار فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، وهذا بعيد لقوله (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، وذلك فى الآخرة ، وقيل يعنى فتح مكة ، لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه (فأعرض عنهم) منسوخ بالسيف (وانتظر إنهم منتظرون) أى انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون هلاكك ، وفى هذا تهديد لهم

## سورة الأحزاب

( يأيها النبى ) نداء فيه تكريم له ، لأنه ناداه بالنبوة ، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم ( اتق الله ) أى دم على التقوى وزد منها ( ولا تطع الكافرين والمنافقين ) أى لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة ، ويعنى بالكافرين المظهرين للكفر وبالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر وروى أن الكافرين هنا . أبىّ بن خلف ، والمنافقين هنا : عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، والعموم أظهر ( ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) قال ابن عباس ، كان فى قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه ، فنزلت الآية نفيا لذلك ، ويقال إنه ابن أخطا ، وقيل جميل بن معمر ، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفى أى كما لم يجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم (اللائى تظاهرون منهن) أى تقولون للزوجة : أنت علىّ كظهر أمى ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ويأتى حكمه فى المجادلة وإنما تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهن (وماجعل أدعياءكم أبناءكم ) الأدعياء جمع دعىّ ، وهو الذى يدعى ولد فلان وليس بولده ، وسببها أمر زيد بن حارثة : وذلك أنه كان فتى من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبى صلى الله عليه وسلم فتبناه ؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية ( ذلكم قولكم ) الإشارة إلى نسبة الدعى إلى غير أبيه ، أو إلى كل ماتقدم من المنفيات ، وقوله ( بأفواهكم ) تأكيد لبطلان القول ( ادعوهم لآبائهم ) الضمير للأدعياء أى انسبوهم لآبائهم الذين ولدوهم

اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا • النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا • وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا • لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا •

---

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يقتضى أن يحبوه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم (وأزواجه أمهاتهم) جعل الله تعالى لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حرمة الأمهات فى تحريم نكاحهن ووجوب مبرتهن ، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) هذا نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بأخوة الاسلام ، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها فى الأنفال (فى كتاب الله) يحتمل أن يريد القرآن أو اللوح المحفوظ (من المؤمنين) يحتمل أن يكون بيانا لأولى الأرحام أو يتعلق بأولى : أى أولوا الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوى أرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) يريد الاحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة ونفعهم فى الحياة ، والوصية لهم عند الموت ، فذلك جائز ومندوب إليه ، وإن لم يكونوا قرابة ، وأما الميراث فللقرابة خاصة ، واختلف هل يعنى بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين والكافرين (فى الكتاب مسطورا) يعنى القرآن أو اللوح المحفوظ (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع ، وقيل هو الميثاق الذى أخذه حين أخرج بنى آدم من صلب آدم كالذر ، والأول أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء (ومنك ومن نوح) قد دخل هؤلاء فى جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر تشريفاً لهم ، وقدم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلا له (ميثاقا غليظا) يعنى الميثاق المذكور ، وإنما كرره تأكيدا وليصفه بأنه غليظ أى وثيق ثابت يجب الوفاء به (ليسأل الصادقين) اللام تحتمل أن تكون لام كى أو لام الصيرورة ، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق فى الأقوال أو الصدق فى الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين (اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) هذه الآية وما بعدها نزلت فى قصة غزوة الخندق ، والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار ، وسماهم الله فى هذه السورة الأحزاب وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حولها ليمنعهم من دخولها (فأرسلنا عليهم ريحاً) أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين (وجنوداً لم تروها) يعنى الملائكة (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم) أى حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها ، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم أهل مكة وسائر تهامة (وإذ زاغت الأبصار) أى مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف (وبلغت

هُنَالِكَ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَن ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ

القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهى الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل بل هى حقيقة لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة (وتظنون بالله الظنونا) أى تظنون أن الكفار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع: الظنونا، والرسولا، والسبيلا، بالألف فى الوصل وفى الوقف، وقرئ بإسقاطها فى الوصل والوقف، وبإثباتها فى الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رءوس الآى لأنها كالقوافى، وتقتضى هذه العلة أن تثبت فى الوقف خاصة، وأما من أثبتها فى الحالين، فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف هنالك ابتلى المؤمنون) أى اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل فى الظرف ابتلى وقيل ماقبله (وزلزلوا) أصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب (وإذ يقول المنافقون) روى أنه معتب بن قشير (وإذ قالت طائفة) قال السهيلى الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قبطى (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التى المدينة فى طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أى لا قرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرئ بالضم وهو اسم موضع من الاقامة وقولهم فارجعوا أى إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال (ويستأذن فريق منهم النبى) أى يستأذنونه فى الانصراف والمستأذن أوس بن قبطى وعشيرته وقيل بنو حارثة (إن بيوتنا عورة) أى منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق فكذبهم الله فى ذلك (ولو دخلت عليهم من أقطارها) أى لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها (ثم سئلوا الفتنة) يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين (لآتوها) قرئ بالقصر بمعنى جاؤا اليها وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم (وما تلبثوا بها) الضمير للمدينة (قد يعلم الله) دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكم (المعوقين منكم) أى الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) هم المنافقة الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم فى الأنعام (ولا يأتون البأس إلا قليلا) البأس القتال، وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل يأتون: أى إلا قليلا منهم

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَـٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ

( أشحة عليكم ) أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون ، وقيل يشحون بأموالهم ، وقيل معناه أشحة عليكم وقت الحرب أى يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على الحال من القائلين ، أو على المعوقين ، أو من الضمير فى يأتون ، أو نصب على الذم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك ) أى إذا اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء فى تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم ( تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ) عبارة عن شدة خوفهم ( فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ) السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره ، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسب وتنقيص الشريعة ، وقيل إذا غنمتم طلبوا من الغنائم ( أشحة على الخير ) أى يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالمغانم ، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل فى سلقوكم (لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ) ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط فى قبول الأعمال ، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فالإحباط على هذا حقيقة (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم ، فالمعنى أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب) معنى يودوا يتمنوا ، وبادون خارجون فى البادية والأعراب هم أهل البوادى من العرب فمعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا فى البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا فى المدينة بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبائكم (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى قدوة تقتدون به صلى الله عليه وسلم فى اليقين والصبر وسائر الفضائل ، وقرئ أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد (هذا ما وعدنا الله ورسوله) قيل إن هذا الوعد ما أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون ، وأنهم ينصرفون خائبين ، وقيل إنه قول الله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء » الآية ، فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرون (فمنهم من قضى نحبه) يعنى قتل شهيدا قال أنس بن مالك يعنى عمى أنس بن النضر ، وقيل يعنى حمزة بن عبد المطلب ، وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره ، وقيل قضى نحبه : وفى العهد الذى عاهد الله عليه ، ويدل على هذا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «طلحة ممن قضى نحبه» وهو لم يقتل حينئذ (ومنهم من ينتظر) المفعول

اللَّهُ الصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ

---

محذوف: أي ينتظر أن يقضي نحبه، أو ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس، أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الصياصي هي الحصون، ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبي نساؤهم وذريتهم (فريقا تقتلون) يعني الرجال وقتل منهم يومئذ كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة (وتأسرون فريقا) يعني النساء والذرية (وأورثكم أرضهم) يعني أرض بني قريظة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين (وأرضا لم تطؤها) هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطؤها حينئذ وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وماوراءها إلى أقصى المشرق والمغرب، ويحتمل عندي أن يريد أرض بني قريظة، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضي وهي التي كانوا أخذوها حينئذ، وأما غيرها من الأرضين، فإنما أخذها بعد ذلك فلو أرادها لقال يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله لم تطؤها: أي لم تدخلوها قبل ذلك (يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية: سببها أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تغايرن حتى غمه ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي من بني إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) أصل تعال أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل في جميع الأمكنة؛ وأمتعكن من المتعة وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت والسراح الطلاق، فمعنى الآية أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أرادوا الآخرة. فبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة: فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهن في ذلك، فلم يقع طلاق، وقالت عائشة: خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا، وإذا اختارت المخيرة الطلاق: فمذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة، وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل: يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث، وجماله حسن الرعي والثناء

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۞ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

وحفظ العهد (للمحسنات منكن) من للبيان لا للتبعيض، لأن جميعهن محسنات (بفاحشة مبينة) قيل يعني الزنا، وقيل يعني عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام، أو تكليفه مايشق عليه، وقيل عموم في المعاصي (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلو رتبتهن، لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله، وقرئ يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للمفعول وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل (ومن يقنت منكن لله ورسوله) قرئ بالياء حملا على لفظ من وبالتاء حملا على المعنى، وكذلك تعمل، والقنوت هنا بمعنى الطاعة (نؤتها أجرها مرتين) أي يضاعف لها ثواب الحسنات (رزقا كريما) يعني الجنة، وقيل في الدنيا، والأول هو الصحيح (لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فضلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى لحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها (فلا تخضعن بالقول) نهى عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء (في قلبه مرض) أي فجور وميل للنساء، وقيل هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع (وقلن قولا معروفا) هو الصواب من الكلام أو الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه (وقرن في بيوتكن) قرئ بكسر القاف، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت، وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة من يقول قررت بالكسر أقر بالفتح، والمشهور في اللغة عكس ذلك، وقيل هي من قار يقار إذا اجتمع ومعنى القرار أرجح، لأن سودة رضي الله عنها قيل لها لم لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقر في بيوتنا، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمر: إن الله أمرك أن تقري في بيتك (ولا تبرجن) التبرج إظهار الزينة (تبرج الجاهلية الأولى) أي مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح، وقيل ما بين موسى وعيسى (الرجس) أصله النجس، والمراد به هنا النقائص والعيوب (أهل البيت) منادى أو منصوب على التخصيص، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعليّ وكل من حرمت عليه الصدقة، وقيل المراد هنا أزواجه خاصة، والبيت على هذا المسكن، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال عنكن وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في خمسة: في ولد عليّ وفاطمة والحسن

تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ

---

والحسين (واذكرن) خطاب لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصهن بعد دخولهن مع أهل البيت، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكر بالقلب، وآيات الله هي القرآن والحكمة هي السنة (إن المسلمين والمسلمات) الآية: سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا، فنزل فيها ذكر النساء (والمؤمنين والمؤمنات) الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف المعنى كقوله « لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين » الآية، وبالعموم فيكون الإسلام أعم، لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع (والقانتين والقانتات) يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة (والصادقين والصادقات) يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم (وما كان لمؤمن) الآية: معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله والضمير في قوله من أمرهم: راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها، وقيل سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا يارسول الله، واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) هو زيد بن حارثة الكلبي، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره وإنعام النبي صلى الله عليه وسلم بالعتق وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهي بنت أميمة عمة النبي صلى الله عليه وسلم، فشكا زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلقها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك واتق الله، يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: أبغض المباح إلى الله الطلاق (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسلط الله عليهم ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو صلى الله عليه وسلم لقرابتها منه ولحسبها، فقال أمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص عليها خوفا من كلام

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ

---

الناس لئلا يقولوا تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه ، فالذى أخفاه صلى الله عليه وسلم هو إرادة تزوجها فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها . فقالت عائشة : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحى لكتم هذه الآية لشدتها عليه ، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد ، فالذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أعلمه الله به من ذلك (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) لم يذكر أحد من الصحابة فى القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ، والوطر الحاجة ، قال ابن عطية : ويراد به هنا الجماع ، والأحسن أن يكون أعم من ذلك : أى لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها ، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله زوجنى نبيه من فوق سبع سموات . واستدل بعضهم بقوله زوجناكها على أن الأولى أن يقال فى كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما فى الآية (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) المعنى أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمنين أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) المعنى أن تزوج النبى صلى الله عليه وسلم لزينب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب ، وفى ذلك رد على من تكلم فى ذلك من المنافقين . وفرض هنا بمعنى قسم له (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى عادة الله فى الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم ، وقيل الإشارة بذلك إلى داود فى تزوجه للمرأة التى جرى له فيها ما جرى ، والعموم أحسن ، ونصب سنة على المصدر ، أو على إضمار فعل أو على الإغراء (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا من قبل ، وهم الأنبياء أو رفع على إضمار مبتدإ ، أو نصب بإضمار فعل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) هذا رد على من قال فى زيد بن حارثة زيد ابن محمد ، فاعترض على النبى صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد ، وعموم النفى فى الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين ، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أبا لهما فى الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابنى بنته ، وأما ذكور أولاده فماتوا صغارا فليسوا من الرجال (وخاتم النبيين) أى آخرهم فلا نبى بعده صلى الله عليه وسلم وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم ، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم ، فإن قيل إن عيسى ينزل فى آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام ، فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام ، وأيضا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام ، فكأنه واحد من أمته (اذكروا الله ذكرا كثيرا) اشترط الله الكثرة فى الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال ، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو

اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي
عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ
لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۞
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ
عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي
آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ
خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ

---

على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) قيل إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، والأظهر أنه أمر بالتسبيح فى أول النهار وآخره، وقال ابن عطية أراد فى كل الأوقات لحد النهار بطرفيه (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم) هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ يصلى فى المعنيين على اختلافهما وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون (تحيتهم يوم يلقونه سلام) قيل يعنى يوم القيامة، وقيل فى الجنة وهو الأرجح لقوله وتحيتهم فيها سلام، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم سلام عليكم طبتم (إنا أرسلناك شاهدا) أى يشهد على أمته (وداعيا إلى الله بإذنه) أى بأمر الله وإرساله (وسراجا منيرا) استعارة للنور الذى يتضمنه الدين (ودع أذاهم) يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف، والآخر احتمل إذايتهم لك وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية: معناه سقوط العدّة عن المطلقة قبل الدخول فالنكاح فى الآية هو العقد والمس هو الجماع، وتعتدونها من العدد (فمتعوهن) هذا يقتضى متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق وقوله تعالى فى البقرة «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» يقتضى أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها (يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) فى معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتى فى عصمته حينئذ كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن، والآخر أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطى مهرها وهذا أوسع من الأول (وما ملكت يمينك) أباح الله له مع الأزواج السرارى بملك اليمين ويعنى بقوله أفاء الله عليك: الغنائم (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى قرابته

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝

من جهة أبيه ومن جهة أمه . وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه ، ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت ، وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال إن المراد بقوله أحللنا لك أزواجك : من كانت في عصمته : فهو عطف عليهن ، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته ، ومن قال إن المراد جميع النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم ( اللاتي هاجرن معك ) تخصيص تحرز به ممن لم يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ) أباح الله له صلى الله عليه وسلم من وهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟ فقال ابن عباس : لم تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين ، لا بهبة نفسها ، ويؤيد هذا قراءة الجمهور إن وهبت بكسر الهمزة أي إن وقع ، وقيل قد وقع ذلك ، وهو على هذا القول قرئ أن وهبت بفتح الهمزة ، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت الحارث ، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين ، وقيل أم شريك الأنصارية ، وقيل أم شريك العامرية ( خالصة لك من دون المؤمنين ) أي هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره ، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده ، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له صلى الله عليه وسلم لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة ، وأبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك ، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة ، وإعراب خالصة مصدر أو حال أو صفة لامرأة (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) يعني أحكام النكاح من الصداق والولي والاقتصار على أربع وغير ذلك ( لكيلا يكون عليك حرج) يتعلق بالآية التي قبله أي بينا أحكام النكاح لئلا يكون عليك حرج أو لئلا يظن بك أنك فعلت مالا يجوز ، وقال الزمخشري يتعلق بقوله خالصة لك (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء) معنى ترجي تؤخر وتبعد ، ومعنى تؤوي تضم وتقرب . واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء ، فقيل إن ذلك في القسمة بينهن : أي تكثر لمن شئت ، وتقلل لمن شئت ، وقيل إنه في الطلاق أي تمسك من شئت وتطلق من شئت ؛ وقيل معناه تتزوج من شئت ، وتترك من شئت ، والمعنى على كل قول توسعة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإباحة له أن يفعل ما يشاء ، وقد اتفق الناقلون على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل في القسمة بين نسائه : أخذا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له ، والضمير في قوله منهن : يعود على أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) في معناه قولان : أحدهما من كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في رده بعد عزله ، والآخر من ابتغيت ومن عزلت سواء في إباحة ذلك فمن للتبعيض على القول الأول وأما على القول الثاني فحو قولك من لقيك ومن لم يلقك سواء (ذلك أدنى أن تقر أعينهن) أي إذا علمن أن هذا

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ

حكم الله قرّت به أعينهن ورضين به ، وزال ما كان بهن من الغيرة ، فإن سبب نزول هذه الآية ماوقع لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من غيرة بعضهن على بعض (لايحل لك النساء من بعد) فيه قولان : أحدهما لايحل لك النساء غير اللاتى فى عصمتك الآن ولا تزيد عليهن . قال ابن عباس لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك ، بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهن ، والقول الثانى : لايحل لك النساء غير الأصناف التى سميت ، والخلاف هنا يجرى على الخلاف فى المراد بقوله . إنا أحللنا لك أزواجك : أى لايحل لك غير من ذكر حسبما تقدم ، وقيل معنى لايحل لك النساء : لايحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد ، واختلف فى حكم هذه الآية ، فقيل إنها منسوخة بقوله إنا أحللنا لك أزواجك على القول بأن المراد جميع النساء ، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان فى عصمته ، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ، ولأن التسع فى حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع فى حق أمته (ولا أن تبدل بهن من أزواج) معناه لايحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها ، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة فى النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له ، وهذا ضعيف (ولو أعجبك حسنهن) فى هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها (إلا ما ملكت يمينك) المعنى أن الله أباح له الإماء ، والاستثناء فى موضع رفع على البدل من النساء أو فى موضع نصب على الاستثناء من الضمير فى حسنهن (لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) سبب هذه الآية مارواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس ، فلما طعموا قعد نفر فى طائفة من البيت فثقل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم فى مكانهم ، فانصرف فخرجوا عن ذلك ، وقال ابن عباس نزلت فى قوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون ، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم ، وأن ينصرفوا إذا أكلوا ، قلت : والقول الأول أشهر ، وقول ابن عباس أليق بما فى الآية من النهى عن الدخول حتى يؤذن لهم ، فعلى قول ابن عباس فى النهى عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول فى النهى عن القعود بعد الأكل ، فإن الآية تضمنت الحكمين (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين لوقت الطعام ، والإنا الوقت ، وقيل إنا الطعام نضجه وإدراكه ، يقال أنى يأنى إناء (ولكن إذا دعيتم فادخلوا) أمر بالدخول بعد الدعوة ، وفى ذلك تأكيد للنهى عن الدخول قبلها (فإذا طعمتم فانتشروا) أى انصرفوا ، قال بعضهم هذا أدب أدّب الله به الثقلاء ، وقالت عائشة رضى الله عنها : حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم (ولا مستأنسين لحديث) معطوف على غير ناظرين ، أو تقديره ولا تدخلوا مستأنسين ، ومعناه النهى عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض ، أو يستأنسوا الحديث أهل البيت ، واستئناسهم: تسمعهم وتجسسهم (إنّ ذلكم كان يؤذى النبيّ) يعنى جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن (فيستحي منكم) تقديره

منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما * إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما ◦ لا جناح عليهن في ءابائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا ◦ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ◦ إن

يستحي من إخراجكم ، بدليل قوله : والله لا يستحي من الحق : أي أن إخراجكم حق لا يتركه الله (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) المتاع الحاجة من الأثاث وغيره ، وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وسببها ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب ، وقيل سببها أنّ عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه نزلت الآية موافقة لقول عمر ، قال بعضهم لما نزلت في أمهات المؤمنين «وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب» كن لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب ، ولا يجوز أن يراهن متنقبات ولا غير متنقبات ، فخصصن بذلك دون سائر النساء (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال (ولا تنكحوا أزواجه) سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن) الآية : لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة وهم : الآباء ، والأبناء ، والإخوة ، وأولادهم ، وأولاد الأخوات (ولا نسائهن) قيل يريد بالنساء القرابة والمصرفات لهن ، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات ، ويقوي الأول تخصيص النساء بالإضافة لهن ، ويقوي الثاني أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق (وما ملكت أيمانهن) واختلف فيمن أبيح لهن الظهور له من ملك اليمين ، فقيل الإماء دون العبيد ، وقيل الإماء والعبيد ، وهو أولى بلفظ الآية ، ثم اختلف من ذهب إلى هذا فقال قوم من ملكته من العبيد دون من ملكه غيرهن ، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية ، وقال قوم جميع العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن (إن الله وملائكته يصلون على النبي) هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله يصلي عليكم وملائكته (صلوا عليه وسلموا تسليما) الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلاميّ فالأمر به محمول على الوجوب ، وأقله مرة في العمر ، وأما حكمها في الصلاة : فمذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه ، ومذهب مالك أنها سنة وصفتها ما ورد في الحديث الصحيح اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا أما السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة أو السلام عليه حين لقائه ، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال صلى الله عليه وسلم من سلم عليّ قريبا سمعته ، ومن سلم عليّ بعيدا أبلغته ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (إن الذين يؤذون الله ورسوله) إذاية الله هي

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ، لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ، مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * يَسْأَلُكَ النَّاسُ

---

بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له ، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء ، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله ، والأول أرجح ، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى : يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ، ويكذبني وليس له أن يكذبني ، أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبة وولدا ، وأما تكذيبه إياي فقوله لا يعيدني كما بدأني ، وأما إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال ، وقال ابن عباس ، نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفية بنت حيي (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية : في البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه ، وهو أشد من الغيبة ، مع أن الغيبة محرمة ، وهي ذكره ما فيه مما يكره (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء ، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء ، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار ، وقيل هو الرداء ، وصورة إدنائه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها ، وقيل أن تغطي نصف وجهها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة ، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء ، وربما تعرض لهن السفهاء (لئن لم ينته المنافقون) الآية : تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا ، وقيل إنهم لم ينتهوا : ولم ينفذ الوعيد عليهم ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة ، وقيل إنهم انتهوا وستروا أمرهم ، فكف عنهم إنفاذ الوعيد ، والمنافقون هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر ، والذين في قلوبهم مرض : قوم كان فيهم ضعف إيمان ، وقلة ثبات عليه ، وقيل هم الزناة : كقوله فيطمع الذي في قلبه مرض ، والمرجفون في المدينة : قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين ، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة ، أو تكون داخلة في جملة المنافقين ، ثم جردها بالذكر (لنغرينك بهم) أي نسلطك عليهم وهذا هو الوعيد (ثم لا يجاورونك فيها) ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم ، والضمير المجرور للمدينة (إلا قليلا) يحتمل أن يريد إلا جوارا قليلا أو وقتا قليلا أو عددا قليلا منهم ، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات ، فقليلا على الاحتمال الأول مصدر ، وعلى الثاني ظرف ، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء (ملعونين) نصب على الذم ، أو بدل من قليلا على الوجه الثالث ؛ أو حال من

عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ، إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ، لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

---

ضمير الفاعل فى يجاورونك تقديره سينفون ملعونين (أينما ثقفوا أخذوا) أى حيث ماظفر بهم أسروا ، والأخذ الأسر (سنة الله) أى عادته ونصب على المصدر (فى الذين خلوا من قبل) أى عادته فى المنافقين من الأمم المتقدمة وقيل يعنى الكفار من بدر ، لأنهم أسروا وقتلوا (تكون قريبا) إنما قال قريبا بالتذكير والساعات مؤنثة على تقدير شيئاقريبا أوزمانا قريبا ، أولأن تأنيثها غيرحقيق (يوم تقلب وجوههم فى النار) العامل فى يوم قوله يقولون أولا يجدون أو محذوف ، وتقليب وجوههم : تصريفها فى جهة النار كما تدور البضعة فى القدر إذا غلت من جهة إلى جهة ، أو تغيرها عن أحوالها (لاتكونوا كالذين آذوا موسى) هم قوم من بنى إسرائيل ، وإذايتهم له : ماورد فى الحديث أن بنى إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لآدر ، فاغتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر ففر الحجر بثيابه ، واتبعه موسى وهو يقول ثوبى حجر ثوبى حجر ، فمر فى أتباعه على ملأ من بنى إسرائيل فرأوه سليما مما قالوا ، فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا ، وقيل إذايتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون ، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرأ الله موسى ، وروى أن الله أحياه فأخبرهم ببراءة موسى ، والقول الأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح (قولا سديدا) قيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الأمانة هى التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصى ، وقيل هى الأمانة فى الأموال ، وقيل غسل الجنابة ، والصحيح العموم فى التكاليف ، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدراكا فعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها ، والثانى أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال ، لأبين من حملها وأشفقن منها . فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله ، والمراد أنها لا تقدر على حمله (وحملها الإنسان) أى التزم الانسان القيام بالتكاليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التى هى أعظم منه . ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول ، والانسان هنا جنس ، وقيل يعنى آدم ، وقيل قابيل الذى قتل أخاه (ليعذب) اللام للصيرورة ، فإن حمل الأمانة : كان سبب تعذيب

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥

## سورة سبإ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ٥ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ٥ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ٥ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ٥ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٥ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ٥ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٥ وَقَالَ الَّذِينَ

---

المنافقين والمشركين ، ورحمة للمؤمنين

## سورة سبأ

(وله الحمد فى الآخرة ) يحتمل أن يكون الحمد الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة ، وعلى هذا حمله الزمخشرى ويحتمل عندى أن يكون الحمل الأول للعموم والاستغراق ، فجمع الحمد فى الدنيا والآخرة ، ثم جرد منه الحمد فى الآخرة كقوله فاكهة ونخل ورمان ، ثم إن الحمد فى الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله الذى صدقنا وعده ( ما يلج فى الأرض) أى يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وما ينزل من السماء) من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك (وما يعرج فيها) أى يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ) روى أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب (لا يعزب) أى لا يغيب ولا يخفى (ولا أصغر) معطوف على مثقال ؛ وقال الزمخشرى هو مبتدأ ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف ، ولا خلاف بين القراء السبعة فى رفع أصغر وأكبر فى هذا الموضع ، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة ، وإنما الخلاف فى يونس (فى كتاب مبين ) يعنى اللوح المحفوظ ( ليجزى ) متعلق بقوله لتأتينكم أو بقوله لا يعزب أو بمعنى قوله فى كتاب مبين (والذين سعوا) مبتدأ وخبره الجملة بعده ، وقال ابن عطية:هو معطوف على الذين الأول ، وقد ذكر فى الحج معنى سعوا ، ومعاجزين (أليم) بالرفع صفة لعذاب ، وبالخفض صفة لرجز ( ويرى ) معطوف على ليجزى أو مستأنف ، وهذا أظهر (الذين أوتوا العلم) هم الصحابة أو من أسلم من أهل الكتاب ، أو على العموم ( الحق ) مفعول ثان ليرى ، لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم والضمير ضمير فصل (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنى محمداً صلى الله

كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ

---

عليه وسلم (ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد) معنى مزقتم أي بليتم في القبور وتقطعت أوصالكم وكل ممزق مصدر، والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة، والعامل في إذا معنى إنكم لفي خلق جديد. لأن معناه تبعثون إذا مزقتم، وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها وذلك ضعف، وإنكم لفي خلق جديد معمول ينبئكم وكسرت اللام التي في خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتم في الأرض، ومرادهم استبعاد الحشر (أفترى على الله) هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب) هذا رد عليهم: أي أنه لم يفتر على الله الكذب وليس به جنة بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب، ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) الضمير في يروا للكفار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم، لأنهما محيطتان بهم، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسره بقوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء: أي أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله (إن في ذلك لآية) الإشارة إلى إحاطة السماء بهم أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث (يا جبال أوبي معه) تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل، ومعنى أوبي سبحي، وأصله من التأويب، وهو الترجيع، لأنه كان يرجع التسبيح فترجعه معه: وقيل هو من التأويب بمعنى السير بالنهار، وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها، والطير بأصواتها (والطير) بالنصب عطف على موضع يا جبال، وقيل مفعول معه، وقيل معطوف على فضلا، وقرئ بالرفع عطف على لفظ يا جبال (وألنا له الحديد) أي جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين، وقيل لان له الحديد لشدة قوته (سابغات) هي الدروع الكاسية (وقدر في السرد) معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل لا يجعل المسمار دقيقا ولا غليظا (واعملوا صالحا) خطاب لداود وأهله (ولسليمان الريح) بالنصب على تقدير وسخرنا، وقرئ بالرفع على الابتداء (غدوها شهر ورواحها شهر) أي كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها روى أربعة آلاف فارس فترفعه الريح ثم تحمله (وأسلنا له عين القطر) قال ابن عباس كانت تسيل له

لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ

---

باليمين عين من نحاس يصنع منها ماأحب ، والقطر النحاس ، وقيل القطر الحديد والنحاس وماجرى مجرى ذلك : كان يسيل له منه أربعة عيون ، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود (نذقه من عذاب السعير) يعنى نار الآخرة ، وقيل كان معه ملك يضربهم بصوت من نار (محاريب) هى القصور ، وقيل المساجد وتماثيل قيل إنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزا عندهم (كالجواب) جمع جابية وهى البركة التى يجتمع فيها الماء (راسيات) أى ثابتات فى مواضعها لعظمها (اعملوا آل داود شكراً) حكاية ماقيل لآل داود ، وانتصب شكرا على أنه مفعول من أجله ، أومصدر فى موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكرا أومفعول به (وقليل من عبادى الشكور) يحتمل أن يكون مخاطبة لآل دواد أو مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم (دابة الأرض تأكل منسأته) المنسأة هى العصا ، وقرئ بهمز وبغير همز ، ودابة الأرض هى الأرضة وهى السوسة التى تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخر إلى الأرض واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس فى هذه القصة لعدم صحته (تبينت الجن) من تبين الشىء إذا ظهر ، ومابعدها بدل من الجن ، والمعنى ظهر للناس أن الجن لايعلمون الغيب ، وقيل تبينت بمعنى علمت ، وأن ومابعدها مفعول به على هذه والمعنى علمت الجن أنهم لايعلمون الغيب ، وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم ، أو علمت الجن أن كفارهم لايعلمون الغيب ، وأنهم كاذبون فى دعوى ذلك (فى العذاب المهين) يعنى الخدمة التى كانوا يخدمون سليمان وتسخيره لهم فى أنواع الأعمال ، والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب ماخفى عليهم موت سليمان (لقد كان لسبإ فى مسكنهم آية) سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذى تناسلت منه ، وقيل باسم أمها ، وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر ، لأنه ورد فى الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن (جنتان عن يمين وشمال) كان لهم واد وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف (كلوا) تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الأنبياء ، وروى أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم (بلدة طيبة) أى كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام (فأعرضوا) أى أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء (فأرسلنا عليهم سيل العرم) كان لهم سد يمسك الماء ليرتفع فتسقى به الجنتان ، فأرسل الله على السد الجرذ وهى دويبة خربته فيبست الجنتان ، وقيل لما خرب السد حمل السيل الجنتان وكثير من الناس واختلف فى معنى العرم : فقيل هو السد ، وقيل هو اسم ذلك الوادى بعينه ، وقيل معناه الشديد ، فكأنه صفة

نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝ فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

للسيل من العرامة ، وقيل هو الجرذ الذى خرب السد ، وقيل المطر الشديد (أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) الأكل بضم الهمزة المأكول ، والخمط شجر الأراك ، وقيل كل شجرة ذات شوك ، والأثل شجر يشبه الطرفا والسدر شجر معروف ، وإعراب خمط بدل من أكل أو عطف بيان وقرئ بالإضافة وأثل عطف على الأكل لا على خمط ، لأن الأثل لا أكل له ، والمعنى أنه لما أهلكت الجنتان المذكورتان قيل أبدلهم الله مهاجنتين بضد وصفهما فى الحسن والأرزاق (وهل نجازى إلا الكفور) معناه لا يناقش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور لأن المؤمن قد يسمح الله له ويتجاوز عنه (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة) هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم ، ويعنى بالقرى التى باركنا فيها الشام ، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لاتصالها ، وقيل مرتفعة فى الآكام ، وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أى خارجها (وقدرنا فيها السير) أى قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت فى قرية ويصبح فى أخرى ولا يخاف جوعا ولا عطشا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قرئ باعد وبعد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب ، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملوا العافية ، وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا فى المفاوز ويتزودوا للأسفار ، فعجل الله إجابتهم وقرئ باعد بفتح العين على الخبر والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذب وجحد للنعمة (وظلموا أنفسهم) يعنى بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم فى البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم ، قيل تفرقوا أيدى سبا ، وفى الحديث إن سبا أبو عشرة من القبائل ، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أى وجد ظنه فيهم صادقا يعنى قوله لأغوينهم ، وقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين (قل ادعوا الذين زعمتم) تعجيز المشركين وإقامة حجة عليهم ويعنى بالذين زعمتم آلهتهم ، ومفعول زعمتم محذوف أى زعمتم أنهم آلهة أو زعمتم أنهم شفعاء ، وروى أن ذلك نزل عند الجوع الذى أصاب قريشا (من شرك) أى نصيب والظهير المعين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه ، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ، فى ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم)

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۞ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ

---

تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعا عظيما ، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق ، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملائكة ، فإن قيل : كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه ؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين ، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة ، فإن قيل : بم اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأي شيء وقعت حتى غائية ؟ فالجواب أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن ، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة ، ويقرب هذا في المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هي في الكفار بعد الموت ، ومعنى فزع عن قلوبهم رأوا الحقيقة ، فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فيقرون حين لا ينفعهم الإقرار ، والصحيح أنها في الملائكة لورود ذلك في الحديث ، ولأن القصد الرد على الكفار الذين عبدوا الملائكة ، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له (قل من يرزقكم) سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين (قل الله) جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه ، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل ، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين ( قل لا تسألون عما أجرمنا ) إخبار يقتضي مسالمة نسخت بالسيف (يفتح بيننا) أي يحكم ، والفتاح الحاكم ( قل أروني الذي ألحقتم به شركاء) إقامة حجة على المشركين ، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث ، والمعنى أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم ، وكيف وجه الشركة ، وقيل هي رؤية بصر ، وشركاء حال من المفعول في ألحقتم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفي قوله أروني تحقير للشركاء وازدراء بهم ، وتعجيز للمشركين ، وفي قوله كلا ردع لهم عن الإشراك ، وفي وصف الله بالعزيز الحكيم : رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك (وما أرسلناك إلا كافة للناس) المعنى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء ، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام ، هكذا قال ابن عطية ، وقال الزمخشري ذلك خطأ لأن تقدم حال المجرور

إن كُنتُم صَٰدِقِينَ ۞ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۞ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۞ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي

---

عليه لايجوز ، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس ، فكافة صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس فى الإنذار والتبشير ، فجعله حالا من الكاف ، والتاء على هذا للمبالغة كالتاء فى راوية وعلامة (قل لكم ميعاد يوم) يعنى يوم القيامة ، أو نزول العذاب بهم فى الدنيا ، وهو الذى سألوا عنه على وجه الاستخفاف ، فقالوا متى هذا الوعد (ولا بالذى بين يديه) يعنى الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما فى التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الذى بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذى بين يدى الشيء هو ما تقدم عليه (ولو ترى) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما (يرجع بعضهم إلى بعض القول) أى يتكلمون ويجيب بعضهم بعضا (بل كنتم مجرمين) أى كفرتم باختيار كم لا بأمرنا (بل مكر الليل والنهار) المعنى أن المستضعفين قالوا المستكبرين بل مكركم بنا فى الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكر مبتدأ وخبره محذوف ، أو خبر ابتداء مضمر ، وأضاف مكر إلى الليل والنهار على وجه الاتساع ، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز: كقولهم نهاره صيام وليله قيام أى يصام فيه ويقام ، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار ، فإن قيل : لم أثبت الواو فى قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا ؟ فالجواب أنه قد تقدم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثانى ، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه (وأسروا الندامة) أى أخفوها فى نفوسهم ، وقيل أظهروها فهو من الأضداد ، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين (مترفوها) يعنى أهل الغنى والتنعم فى الدنيا وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصد بالآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على تكذيب أكابر قريش له (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) الضمير لقريش أو للمترفين المتقدمين : قاسوا أمر الدنيا على الآخرة ، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد فى الدنيا لا يعذبهم فى الآخرة (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه فى الدنيا معلق بمشيئة الله ، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصى ويضيق على المؤمن والمطيع ، وبالعكس ، فليس

تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِى الْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰٓئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ

---

فى ذلك دليل على أمر الآخرة (زلفى) مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقربكم قربى (إلا من آمن) استثناء من المفعول فى تقربكم، والمعنى أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله، وقيل الاستثناء منقطع، والأول أحسن (جزاء الضعف) يعنى تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك (يبسط الرزق) الآية: كررت لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول على الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإنفاق (فهو يخلفه) الخلف قد يكون بمال أو بالثواب (أنت ولينا من دونهم) براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس فى ذلك نفى لعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) عبادتهم للجن طاعتهم لهم فى الكفر والعصيان، وقيل كانوا يدخلون فى جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله وجعلوا لله شركاء الجن (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الآية: فى معناها وجهين: أحدهما ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه؛ فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) المعشار العشر، وقيل عشر العشر، والأول أصح، والضمير فى بلغوا لكفار قريش، وفى آتيناهم للكتب المتقدمة أى أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال، وقيل الضمير فى بلغوا المتقدمين، وفى آتيناهم لقريش: أى ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة، والأول أصح وهو نظير قوله كانوا أشد منهم قوة (فكيف كان نكير) أى إنكارى يعنى عقوبة الكفار المتقدمين، وفى ذلك تهديد لقريش (قل إنما أعظكم بواحدة) أى بقضية واحدة تقريبا عليكم (أن تقوموا لله) هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف بيان أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه أن تقوموا للنظر فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم قياما خالصا لله تعالى ليس

وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ
أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ قُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ
رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

---

فيه اتباع هوى ولا ميل . وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه (مثنى وفرادى) حال من الضمير فى تقوموا ، والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين المناظرة فى الأمر وطلب التحقق وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتعلموا أن مابه من جنة لأنه جاء بالحق الواضح ، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومتانة علمه ، وأنه بالغ فى الحكمة مبلغاً عظيما ، فيدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله (ما بصاحبكم من جنة) متصل بما قبله على الأصح : أى تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ، وقيل هو استئناف (قل ماسألتكم عليه من أجر فهو لكم) هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتنى شيئا فخذه ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ، ولكنه يريد البراءة من عطائه ، وكذلك معنى هذا ، فهو كقولك قل ما أسألكم عليه من أجر (قل إن ربى يقذف بالحق) القذف الرمى ويستعار للإلقاء ، فالمعنى يلقى الحق إلى أصفيائه أو يرمى الباطل بالحق فيدمغه (علام الغيوب) خبر ابتداء مضمر أو بدل من الضمير فى يقذف أو من اسم إن على الموضع (قل جاء الحق) يعنى الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) الباطل الكفر ، ونفى الابداء والاعادة ، على أنه لايفعل شيئا ولا يكون له ظهور أو عبارة عن ذهابه كقوله جاء الحق وزهق الباطل ، وقيل الباطل الشيطان (إنه سميع قريب) يعنى قربه تعالى بعلمه وإحاطته (ولو ترى إذ فزعوا) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيما ، أومعنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب ، والفعل ماض بمعنى الاستقبال ، وكذلك مابعده من الأفعال ، ووقت الفزع البعث ، وقيل الموت ، وقيل يوم بدر (فلا فوت) أى لا يفوتون الله إذ هربوا (وأخذوا من مكان قريب) يعنى من الموقف إلى النار إذا بعثوا ، أومن ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أومن أرض بدر إلى القليب ، والمراد على كل قول سرعة أخذهم (وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبى صلى الله عليه وسلم ، أو للقرآن أو الإسلام (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشىء قريب ، وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحداً ويكون المهموز بمعنى الطلب ، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم ، والمكان البعيد : عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون مالا يكون ، أويريدون أن يتناولوا مالا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالايمان حينئذ (وقد كفروا به) الضمير يعود على ماعاد عليه قولهم آمنا به (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) يقذفون فعل ماض فى المعنى معطوف على كفروا ، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم فى

مَايَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ٥

## سورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٭ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٭ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ٭ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٥ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

الأمور المغيبة فيقولون لابعث ولا جنة ولا نار ، ويقولون فى الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر أو شاعر . والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبعد أقوالهم عن الحق (وحيل بينهم وبين مايشتهون) أى حيل بينهم وبين دخول الجنة ، وقيل حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ ، وقيل حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها (كما فعل بأشياعهم من قبل) يعنى الكفار المتقدمين وجعلهم أشياعهم لاتفاقهم فى مذاهبهم ومن قيل يحتمل أن يتعلق بفعل ، أو بأشياعهم على حسب معنى ماقبله (فى شك مريب) هو أقوى الشك وأشده إظلاما

## سورة فاطر

(جاعل الملائكة رسلا) أى وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين فى أمر الله (مثنى وثلاث ورباع) صفات للأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف ، والمعنى أن الملائكة منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة (يزيد فى الخلق مايشاء) قيل يعنى حسن الصوت ، وقيل حسن الوجه ، وقيل حسن الخط ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة ، أو يكون على الإطلاق فى كل زيادة فى المخلوقين (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع ، والإرسال الإطلاق بعد المنع والرحمة ، كل مايمن الله به على عباده من خيرى الدنيا والآخرة فمعنى الآية : لامانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع الله ، فإن قيل لم أنث الضمير فى قوله فلاممسك لها وذكره فى قوله فلا مرسل له وكلاهما يعود على ما الشرطية ، فالجواب : أنه لما فسر من الأولى بقوله من رحمة أنثه لتأنيث الرحمة ، وترك الآخر على الأصل من التذكير (من بعده) أى من بعد إمساكه (هل من خالق غير الله) رفع غير على الصفة لخالق على الموضع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات ، والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين ، ولذلك أعقبه بقوله لاإله إلا هو (وإن يكذبوك) الآية : تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم

لهم عذاب شديد والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ۝ أفمن زين له سوء عمله
فرءاه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله
عليم بما يصنعون ۝ والله الذى أرسل الريح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض
بعد موتها كذلك النشور ۝ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ۝ والله
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من

---

على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله (الغرور) الشيطان، وقيل التسويف (أفمن زين له سوء عمله) توقيف وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له، ثم بنى على ذلك مابعده ؛ فالذى زين له سوء عمله هو الذى أضله الله، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذى هداه الله (فلاتذهب نفسك عليهم حسرات) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن حزنه لعدم إيمانهم، لأن ذلك بيد الله (كذلك النشور) أى الحشر، والمعنى كما يحي الله الأرض بالنبات كذلك يحي الموتى (من كان يريد العزة) الآية تحتمل ثلاثة معان: أحدها وهو الأظهر من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله، فإن العزة كلها لله ؛ والثانى من كان يريد العزة بمغالبة الاسلام فلله العزة جميعاً، فالمغالب له مغلوب ؛ والثالث من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا (إليه يصعد الكلم الطيب) قيل يعنى لاإله إلا الله، واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن ؛ وتعليم العلم: فالعموم أولى (والعمل الصالح يرفعه) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل فى يرفعه: الله، وضمير المفعول للعمل الصالح ؛ فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح: أى يتقبله ويثيب عليه، والثانى أن ضمير الفاعل للكلام الطيب ؛ وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلا ممن له كلام طيب، وهذا يصح إن قلنا إن الكلم الطيب لا إله إلا الله، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد، والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب ؛ والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح، روى هذا المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصح عنه لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد فى رفعه وحسن موقعه (يمكرون السيئات) لايتعدى مكر فتأويله يمكرون المكرات السيئات فتكون السيئات مصدراً أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا والاشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه (ومكر أولئك هو يبور) البوار الهلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا وقيل ذكرانا وإناثا وهذا أظهر (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف

مُعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى

---

أعاد الضمير فى قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس المراد شخصاً واحداً وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق والثانى أن المعنى لا يزاد فى عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب وذلك أن يكتب فى اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون ، وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلة الرحم تزيد فى العمر ، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية ، وقد قال كعب حين طعن عمر : لو دعا الله لزاد فى أجله ، فأنكر الناس عليه فاحتج بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه فى اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص ( وما يستوى البحران ) قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج فى الفرقان ، وسائغ فى النحل ، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده وقال الزمخشرى إن المعنى أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر وهذا بعيد ( لحماً طريا ) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجوهر والمرجان ، فإن قيل : إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أى من كل واحد منهما ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن ذلك تجوز فى العبارة كما قال «يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم» والرسل إنما هى من الإنس الثانى أن المرجان إنما يوجد فى البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار والمطر وهى البحر العذب تنصب فى البحر الملح كان الإخراج منهما جميعا . الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يبطله الحس ( مواخر ) ذكر فى النحل (يولج) ذكر فى لقمان (قطمير) هو القشر الرقيق الأبيض الذى على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها (يكفرون بشرككم) أى بإشراككم فالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال (ولا ينبئك مثل خبير ) أى لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم به يعنى نفسه تعالى فى إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدهم (أنتم الفقراء إلى الله) خطاب لجميع الناس وإنما عرف الفقر بالألف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغنى فى مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه

اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا
تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَٰتُ وَلَا النُّورُ ۝ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَٰتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالزُّبُرِ

الحميد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لو دعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (ولو كان ذا قربى) المعنى ولو كان المدعو ذا قربى ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئا لأن كل واحد يقول نفسي نفسي (إنما تنذر الذين يخشون ربهم) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار (بالغيب) في موضع حال من الفاعل في يخشون أي يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس فخشيتهم حق لا رياء (وما يستوي الأعمى والبصير) تمثيل للكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) تمثيل للكفر والإيمان (ولا الظل ولا الحرور) تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار . والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصة (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) تمثيل لمن آمن فهو كالحي ومن لم يؤمن فهو كالميت (إن الله يسمع من يشاء) عبارة عن هداية الله لمن يشاء (وما أنت بمسمع من في القبور) عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون وأنكرت ما ورد في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر حين جعلوا في القليب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى في القبور إذا ردت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة ، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألا ترى أن بين عيسى ومحمدا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ستمائة سنة لم يبعث فيها نبي ؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة . فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم وأيضا فإن المراد بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست ببدع فلا ينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما (وإن يكذبوك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم للتأسي (نكير) ذكر في سبأ (ثمرات مختلفا ألوانها) يريد الصفرة

وبالكتاب المنير * ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ، ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس
والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ، إن الذين
يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم
أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ، والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما
بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير ، ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ، جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور

---

والحمرة وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفى الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار ، يخلق ما يشاء ويختار وفيه رد على الطبائعيين لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد (جدد) جمع جدة وهى الخطاط والطرائق فى الجبال (وغرابيب) جمع غربيب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرا ما يأتى فى كلام العرب (كذلك) يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلف ألوانها والثمرات المختلف ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يعنى العلماء بالله وصفاته وشرائعه علما يوجب لهم الخشية من عذابه وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية (إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرؤن القرآن وقيل معنى يتلون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف (لن تبور) أى لن تكسد ويعنى بالتجارة طلب الثواب (ويزيدهم من فضله) توفية الأجور وهو ما يستحقه المطيع من الثواب والزيادة التضعيف فوق ذلك ، وقيل الزيادة النظر إلى وجه الله (مصدقا لما بين يديه) تقدم فى البقرة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم والتوريث عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصى والسابق التقى والمقتصد بينهما وقال الحسن : السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن العاصى والسابق التقى فالضمير فى منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده فى الحديث ، وجلالة القائلين به ، فإن قيل : لم قدم الظالم ووسط المقتصد وأخر السابق ؟ فالجواب : أنه قدم الظالم لنفسه رفقا به لئلا ييئس وأخر السابق لئلا يعجب بنفسه ، وقال

من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب * والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير * إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور * هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا * قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا * إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا *

---

الزمخشرى : قدم الظالم لكثرة الظالمين وأخر السابق لقلة السابقين (ذلك هو الفضل الكبير) إشارة إلى الاصطفاء (جنات عدن) بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن (يدخلونها) ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية فى هذه الأمة : وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزمخشرى : إنه يعود على السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة فى الوعيد (أساور) ذكر فى الحج (أذهب عنا الحزن) قيل هو عذاب النار، وقيل أهوال القيامة وقيل هموم الدنيا والصواب العموم فى ذلك كله (دار المقامة) هى الجنة والمقامة هى الإقامة، والموضع وإنما سميت الجنة دار المقامة، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها (نصب) النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن (يصطرخون) يفتعلون من الصراخ أى يستغيثون فيقولون ربنا أخرجنا وفى قولهم غير الذى كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه (أو لم نعمركم) الآية توبيخ لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستون سنة وقيل أربعون وقيل البلوغ والأول أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر (وجاءكم النذير) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل يعنى الشيب لأنه نذير بالموت والأول أظهر (إنه عليم بذات الصدور) أى بما تضمره الصدور وتعتقده، وقال الزمخشرى ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمرات تصحب الصدور (خلائف) ذكر فى الأنعام (مقتا) المقت احتقار الإنسان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه (قل أرأيتم شركاءكم) الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم (أم لهم شرك) أى نصيب (على بينة) أى على أمر جلى والضمير فى آتيناهم يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين وهذا أظهر فى المعنى والأول أليق بما قبله من الضمائر (أن تزولا) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تزولا أو مفعول به لأن يمسك بمعنى يمنع (ولئن زالتا) أى لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طى

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا *

## سورة يس

مكية إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *

---

السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال (من بعده) أى من بعد تركه الإمساك (وأقسموا بالله) الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم (إحدى الأمم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول من أجله (ومكر السيء) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربى والأصل أن يقال المكر السيء (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) أى لا يحيط وبال المكر السيء إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس إن فى التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس أنا أجد هذا فى كتاب الله : ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) أى هل ينتظرون إلا إعادة الأمم المتقدمة فى أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى لا يفوته شيء ولا يصعب عليه (ما ترك على ظهرها من دابة) الضمير للأرض والدابة عموم فى كل ما يدب وقيل أراد بنى آدم خاصة (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة وباقى الآية وعد ووعيد :

## سورة يس

قد تكلمنا فى البقرة على حروف الهجاء وقيل فى يس إنه من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يا إنسان (تنزيل) بالرفع خبر ابتداء مضمر وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمر (لتنذر قوما) هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم (ما أنذر آباؤهم) ما نافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم، وقيل المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم، فعلى هذا موصولة بمعنى الذى أو مصدرية والأول أرجح لقوله (فهم غافلون) يعنى أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم وتكون بمعنى قوله ما أتاهم من نذير من قبلك

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ

---

ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون (لقد حق القول) أى سبق القضاء ( إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ) الآية : فيها ثلاثة أقوال : الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان ، فشبههم بمن جعل فى عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى ، والثانى أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعا مرعوبا ، والثالث أن ذلك حقيقة فى حالهم فى جهنم ، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها «فهم لا يؤمنون » وقوله بعدها «وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (فهى إلى الأذقان ) الذقن هى طرف الوجه حيث تنبت اللحية ، والضمير للأغلال ، وذلك أن الغل حلقة فى العنق ، فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول ، وقيل الضمير للأيدى على أنها لم يتقدم لها ذكر ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، لأن المغلول تضم يداه فى الغل إلى عنقه ، وفى مصحف ابن مسعود . إنا جعلنا فى أيديهم أغلالا فهى إلى الأذقان . وهذه القراءة تدل على هذا المعنى ، وقد أنكره الزمخشرى (فهم مقمحون) يقال قمح البعير إذا رفع رأسه ، وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك ، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رءوسهم إلى الارتفاع ، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير ( وجعلنا من بين أيديهم سدا ) الآية : السد الحائل بين الشيئين ، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان ( فأغشيناهم ) أى غطينا على أبصارهم وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم (وسواء عليهم) الآية : ذكرنا معناها وإعرابها فى البقرة ( إنما تنذر من اتبع الذكر ) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن ( وخشى الرحمن بالغيب ) معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقد ذكرناه فى فاطر ( إنا نحن نحى الموتى ) أى نبعثهم يوم القيامة ، وقيل إحياؤهم إخراجهم من الشرك إلى الايمان ، والأول أظهر (ونكتب ماقدموا وآثارهم ) أى ماقدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبيس حبسوه ، وقيل الأثر هنا : الخطا إلى المساجد ، وجاء ذلك فى الحديث (إمام مبين) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال (واضرب لهم مثلا) الضمير لقريش ، ومثلا وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين ، وهو الصحيح والقرية أنطاكية ( إذ جاءها المرسلون ) هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله ، وقيل بل هم رسل أرسلهم الله ، ويدل على هذا قول قومهم ماأنتم إلا بشر مثلنا ، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله (فعززنا بثالث) أى قوينا الاثنين برسول ثالث ، قيل اسمه شمعون ( ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف

مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ قَالُوا
إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ
أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَالِىَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ
بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّى إِذًا لَّفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِنِّى ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۝
قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ
قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝
يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ

---

الموضع الأول فإنه إخبار مجرد (قالوا إنا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا بكم، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل على مايكون من شر أو خير، وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل قحطوا (قالوا طائركم معكم) أى قال الرسل لأهل القرية شؤمكم معكم: أى إنما الشؤم الذى أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا (أئن ذكرتم) دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط وفى الكلام حذف تقديره أتطيرون أن ذكرتم (يسعى) أى يسرع بجده ونصيحته، وقيل اسمه حبيب النجار (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) أى هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرة على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون معهم الاهتداء فى دينكم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) المعنى أى شىء يمنعنى من عبادة ربى وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال وإليه ترجعون فخاطبهم (إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم) هذا وصف الآلهة، والمعنى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذوننى من الضر (إنى إذاً لفى ضلال مبين) أى إن اتخذت آلهة غير الله فإنى لفى ضلال مبين (إنى آمنت بربكم فاسمعون) خطاب لقومه أى اسمعوا قولى واعملوا بنصيحتى، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له (قيل ادخل الجنة) قيل هنا محذوف يدل عليه الكلام، وروى فى الأثر وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه فلما مات قيل له ادخل الجنة، واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء أوهل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك ورد فى الحديث أنه نصح لهم حياً وميتاً، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل ولم يحتج فى تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلا كما قالت قريش لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك (وما كنا منزلين) ما كنا لننزل جنداً من السماء على أحد (فإذا هم خامدون) أى ساكنون لا يتحركون

أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا

---

ولا ينطقون (يا حسرة على العباد) نداء للحسرة كأنه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك ، وهذا التفجع عليهم استعارة فى معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس ، وقيل المعنى ياحسرة العباد على أنفسهم (ألم يروا) الضمير لقريش أو للعباد على الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما بالتخفيف وهى لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخففة من الثقيلة ، وقرئ بالتشديد وهى بمعنى إلا ، وإن على هذا نافية (وما عملته أيديهم) ما معطوفة على ثمره أى ليأكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة ، وقيل ما نافية وقرئ ما عملت من غير هاء وما على هذا معطوفة (الأزواج) يعنى أصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله مما تنبت الأرض وما بعده ، فمن فى المواضع الثلاثة للبيان (ومما لا يعلمون) يعنى أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق مالا تعلمون (نسلخ منه النهار) أى نجرده منه وهى استعارة (والشمس تجرى لمستقر لها) أى لحد موقت تنتهى إليه من فلكها وهى نهاية جريها إلى أن ترجع فى المنقلبين الشتاء والصيف ، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت زوال ، بدليل وقوف الظل حينئذ ، وقيل مستقرها يوم القيامة حين تكور ، وفى الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها ، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ، وقرئ لا مستقر لها أى لا تستقر عن جريها (والقمر قدرناه منازل) قرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل ، وبالنصب على إضمار فعل ، ولابد فى قدرناه من حذف تقديره قدرنا سيره منازل ، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر فى آخر الشهر ليلة أو ليلتين ، وقال الزمخشرى وهذه المنازل هى مواضع النجوم : وهى السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة ، الصرفة ، العوى ، السماك ، الغفر ، الزبانى ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد بلع ، سعد الذابح ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، بطن الحوت (حتى عاد كالعرجون القديم) العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا انتهى فى نقصانه والتشبيه فى ثلاثة أوصاف : وهى الرقة ، والانحناء ، والصفرة ، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) المعنى لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره ، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن يريد أن سير الشمس فى الفلك بطىء فإنها تقطع الفلك فى سنة وسير

لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ٭ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ٭
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٭ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٭ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ
أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٭ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً

---

القمر سريع ، فإنه يقطع الفلك فى شهر و البطىء لايدرك السريع (ولا الليل سابق النهار) يعنى أن كل واحد منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه فلا يأتى الليل حتى ينفصل النهار ، كما لا يأتى النهار حتى ينفصل الليل ، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهى القمر لاتسبق آية النهار وهى الشمس : أى لاتجتمع معه فيكون المعنى كالذى قيل فى قوله « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر » فحصل من ذلك أن الشمس لاتجتمع مع القمر وأن القمر لايجتمع مع الشمس (وكل فى فلك يسبحون) ذكر فى الأنبياء (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) معنى المشحون المملوء ، والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عليه السلام ، وأما الذرية فقيل إنه يعنى الآباء الذين حملهم الله فى سفينة نوح عليه السلام ، وسمى الآباء ذرية لأنها تناسلت منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه يعنى النساء ، وهذا بعيد ، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن ، فيعنى جنس بنى آدم ، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة ، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعنى بالذرية من كان فى السفينة ، وسماهم ذرية ، لأنهم ذرية آدم ونوح ، فالضمير فى ذريتهم على هذا النوع بنى آدم كأنه يقول الذرية منهم (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) إن أراد بالفلك سفينة نوح فيعنى بقوله من مثله سائر السفن التى يركبها سائر الناس ، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعنى بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات ، فتكون المماثلة على هذا فى أنه مركوب لاغير ، والأول أظهر ، لقوله وإن نشأ نغرقهم ، ولا يتصور هذا فى المركوبات غير السفن (فلا صريخ لهم) أى لامغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق (إلا رحمة منا) قال الكسائى نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم ، وقال الزجاج نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلا لأجل رحمتنا إياهم (ومتاعا إلى حين) يعنى آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) الضمير لقريش ، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه إلا كانوا عنها معرضين ، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ، وقيل ما بين أيديهم عذاب الأمم المتقدمة ، وما خلفهم عذاب الآخرة (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) كان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يحضون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب ، وفى معناه قولان : أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومن حرمهم الله نحن نحرمهم ، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر ، والآخر أن قولهم رد على المؤمنين ، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله ، فكأن الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منا ، ومقصدهم فى الوجهين احتجاج لبخلهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمن حضهم على الصدقات (إن أنتم إلا فى ضلال مبين) يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين أو يكون

وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم
مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَـٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ
الْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ
مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝ وَامْتَـٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ أَلَمْ
أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِى هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ
أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ

---

من كلام الله خطابا للكافرين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم (ما ينظرون إلا صيحة واحدة) أى ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهى النفخة الأولى فى الصور وهى نفخة الصعق (تأخذهم وهم يخصمون) أى يتكلمون فى أمورهم وأصل يخصمون يختصمون، ثم أدغم، وقرئ بفتح الخاء وبكسرها واختلاس حركتها (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم لسرعة الأمر (ولا إلى أهلهم يرجعون) أى لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر (ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) هذه النفخة الثانية وهى نفخة القيام من القبور، والأجداث هى القبور، وينسلون يسرعون المشى، وقيل يخرجون (قالوا ياويلنا) الويل منادى أو مصدر (من بعثنا من مرقدنا) المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أبى بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه فى معنى قولهم من مرقدنا: أنها استعارة وتشبيه به يعنى أن قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد، وإن لم يكن رقاد فى الحقيقة (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقريع (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الثانية وهى نفخة القيام (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قيل هو افتضاض الأبكار، وقيل سماع الأوتار، والأظهر أنه عام فى الاشتغال باللذات (فاكهون) قرئ بالألف ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور (فى ظلال) جمع ظل، وبالضم جمع ظلة، (على الأرائك) جمع أريكة وهى السرير (ولهم ما يدعون) أى ما يتمنون، وقيل معناه أن ما يدعون به يأتيهم (سلام) مبتدأ، وقيل بدل مما يدعون (قولا) مصدر مؤكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة (جبلا كثيرا) الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهى لغات

لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ، وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَٰعُوا
مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ، وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ، وَمَا عَلَّمْنَٰهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ، لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ، أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ
أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ، وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ

---

بمعنى واحد ( اليوم نختم على أفواههم ) أى نمنعهم من الكلام فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ) هذا تهديد لقريش ، والطمس على الأعين هو العمى ، والصراط الطريق وأنى استفهام يراد به النفى . فمعنى الآية لو نشاء لأعميناهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه ، وقيل يعنى عمى البصائر أى لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير ( ولو نشاء لمسخناهم ) هذا تهديد بالمسخ ، فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة ، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفا ، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة ، والأظهر أنه فى الدنيا ( على مكانتهم ) المكانة المكان ، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم فى مكانهم ( فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى إذا مسخوا فى مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) أى نحول خلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى « ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » ، وإنما قصد بذكر ذلك هنا الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم ( وما علمناه الشعر وما ينبغى له ) الضميران لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وذلك رد على الكفار فى قولهم إنه شاعر ، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينظم الشعر ولا يزنه ، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه ، فإن قيل . قد روى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب وروى أيضا عنه صلى الله عليه وسلم : هل أنت إلا أصبع دميت ، وفى سبيل الله مالقيت ، وهذا الكلام على وزن الشعر فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر ، وإنما جاء موزونا بالاتفاق لا بالقصد ، فهو كالكلام المنثور ، ومثل هذا يقال فى مثل ما جاء فى القرآن من الكلام الموزون ويقتضى قوله « وما ينبغى له » تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعر أطيبه أكذبه ، وليس كل الشعر كذلك فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « إن من الشعر لحكمة » ، وقد أكثر الناس فى ذم الشعر ومدحه ، وإنما الانصاف قول الشافعى الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح (إن هو إلا ذكر) الضمير للقرآن يعنى أنه ذكر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم ( لينذر من كان حيا ) أى حى القلب والبصيرة (ويحق القول على الكافرين) أى يجب عليهم العذاب (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة ، والأيدى هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة ، وعند أهل التسليم من المتشابه الذى يجب الإيمان به وعلمه عند الله (فنها ركوبهم) الركوب بفتح الراء هو المركوب (ولهم فيها منافع) يعنى الأكل منها والحمل عليها والانتفاع بالجلود والصوف وغيره (ومشارب) يعنى الألبان (لا يستطيعون نصرهم) الضمير فى يستطيعون للأصنام ، وفى نصرهم للمشركين ، ويحتمل العكس ، ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم

أَفَلَا يَشْكُرُونَ * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

---

( وهم لهم جند محضرون ) الضمير الأول للمشركين والثانى للأصنام يعنى أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين فى الآخرة والأول أرجح لأنه تقبيح لحال المشركين (فلا يحزنك قولهم) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم معللة لما بعدها (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة ورد على من أنكر ذلك ، والنطفة هى نطفة المنى التى خلق الإنسان منها ولا شك أن الإله الذى قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث ، وسبب الآية أن العاصى بن وائل جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد من يحيى هـذا وقيل إن الذى جاء بالعظم أمية بن خلف وقيـل أبى بن خلف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسـلم الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم ( فإذا هو خصيم مبين ) أى متكلم قادر على الخصام يبين ما فى نفسه بلسانه ( وضرب لنا مثلا ) إشارة إلى قول الكافرين من يحيى هذا العظم (ونسى خلقه) أى نسى الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك ( وهى رميم ) أى بالية متفتتة ( قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ) استدلال بالخلقة الأولى على البعث (وهو بكل خلق عليم ) أى يعلم كيف يخلق كل شىء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية . فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلىء ماء مع مضادة طبع المـاء للنار ويعنى بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه المـاء فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب ولكنه فى المرخ والعفار أكثر (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذى قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بنى آدم بعد فنائها والضمير فى مثلهم يعود على الناس (وهو الخلاق العليم) ذكر فى هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث وكذلك فى قوله إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء) فى هذا استدلال على البعث وتنزيه لله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدروا الله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعـالى .

# ســـورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ◦ وَالصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ٭ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ٭ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ◦ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ◦ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ◦ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ◦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ◦ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ٭ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ◦ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ٭ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم

## ســـورة الصافات

(والصافات صفا) تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف فيها فقيل هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله وقيل هو من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنا لنحن الصافون (فالزاجرات زجراً) هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بني آدم وقيل هي آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي (فالتاليات ذكراً) هي الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد (ورب المشارق) يعني مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها (بزينة الكواكب) قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون مصدراً واسماً لما يزان به فإن كان مصدراً فهو مضاف إلى الفاعل تقديره بأن زينة الكوكب اسماً أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زينا الكواكب وإن كانت اسماً فالإضافة بيان للزينة وقرئ بتنوين زينة وخفض الكواكب على البدل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة (وحفظاً) منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظاً أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (مارد) أي شديد الشر (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) الضمير في يسمعون للشياطين والملأ الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون في السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرئ يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فنفي السماع على القراءة الأولى ونفي طلبه على القراءة بالتشديد والأول أرجح لقوله «إنهم عن السمع لمعزولون» ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئاً منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يرمون بالكواكب (ويقذفون) أي يرجمون يعني بالكواكب وهي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا قال ابن عطية وفي هذا نظر (دحورا) أي طرداً وإبعاداً وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعرابه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر في موضع الحال تقديره مدحورين (عذاب واصب) أي دائم لأنهم يرجمون

مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

---

بالنجوم فى الدنيا ثم يقذفون فى جهنم ، (إلا من خطف الخطفة) من فى موضع رفع بدل من الضمير فى قوله لا يسمعون والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذى خطف الخطفة (شهاب ثاقب) أى شديد الإضاءة (فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) الضمير لكفار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومن خلقنا يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب وقيل يراد به ما تقدم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن مسعود أم من عددنا ، ومقصد الآية إقامة الحجة عليهم فى إنكارهم البعث فى الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشد خلقاً منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم (إنا خلقناهم من طين لازب) اللازب اللازم أى يلزم ما جاوره ويلصق به ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقة بنى آدم ، (بل عجبت ويسخرون) أى عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرئ عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبت وقد جاء التعجب من الله فى القرآن والحديث كقوله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلا على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفى سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفى السبب بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله (ويسخرون) تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث (وإذا رأوا آية يستسخرون) الآية هنا العلامة كانشقاق القمر ونحوه وروى أنها نزلت فى مشرك اسمه ركانة أراه النبى صلى الله عليه وسلم آيات فلم يؤمن ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعى بعضهم بعضاً لأن يسخر وقيل يبالغون فى السخرية (أئذا كنا تراباً) لآية: معناها استبعادهم البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين فى الرعد (أو آباؤنا) بفتح الواو (دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرئ بالإسكان عطفاً بأو (قل نعم وأنتم داخرون) أى قل تبعثون والداخر الصاغر الذليل (زجرة واحدة) هى النفخة فى الصور للقيام من القبور (فإذا هم ينظرون) يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار أى ينتظرون ما يفعل بهم (فهذا يوم الدين) يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذى قبله أو مما يقال لهم مثل الذى بعده (احشروا) الآية. خطاب للملائكة خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضاً (وأزواجهم) يعنى نساؤهم المشركات وقيل يعنى أصنامهم وقرناءهم من الجن والإنس (وما كانوا يعبدون) يعنى الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها (إنهم مسئولون) يعنى إنهم يسألون عن أعمالهم توبيخاً لهم وقيل يسألون

بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۝ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۝ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝ بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝

---

عن قول لا إله إلا الله والأول أرجح لأنه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون مسئولون عاملا فيما بعده والتقدير يقال لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وقد كنتم فى الدنيا تقولون نحن جميع منتصر (مستسلمون) أى منقادون عاجزون عن الانتصار ( قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ) الضمير فى قالوا للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم فى جهنم أو الإنس خاطبوا الجن واليمين هنا يحتمل ثلاث معان الأول أن يراد بها طريق الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشر بالشمال والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه والثانى أن يراد به القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التى يحلف بها أى كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم فى ذلك ونتبعكم ( قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ) الضمير فى قالوا للكبراء من الكفار أو للشياطين والمعنى أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون) أى وجب العذاب علينا وعليكم ، وإنا لذائقون : معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأنا ذائقون العذاب (فأغويناكم إنا كنا غاوين) أى دعوناكم إلى الغى ، لأنا كنا على غى (فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون) أى إن المتبوعين والأتباع مشتركون فى عذاب النار ( يقولون إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ) الضمير فى يقولون لكفار قريش ، ويعنون بشاعر مجنون : محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فرد الله عليهم بقوله ( بل جاء بالحق ) أى جاء بالتوحيد والإسلام ، وهو الحق ( وصدق المرسلين ) الذين جاؤا قبله : لأنه جاء بمثل ما جاؤا به ، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع بمعنى لكن ، وقرئ مخلصين بفتح اللام وكسرها فى كل موضع ، وقد تقدم تفسيره (على سرر متقابلين) السرر جمع سرير ، وتقابلهم فى بعض الأحيان للسرور بالأنس ، وفى بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره (يطاف عليهم بكأس من معين) الذين يطوفون عليهم الولدان ، حسبما ورد فى الآية الأخرى ، والكأس الإناء الذى فيه خمر قاله ابن عباس ، وقيل الكأس إناء واسع الفم ، ليس له مقبض ، سواء كان فيه خمر أم لا ، والمعين : الجارى الكثير ، ووزنه فعيل ، والميم فيه أصلية ، وقيل هو مشتق من العين ، والميم زائدة ، ووزنه مفعول (لذة) أى ذات لذة ، فوصفها بالمصدر

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۞ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۞

---

اتساعا (لا فيها غول) الغول: اسم عام فى الأذى والضير، ومنه يقال غاله يغوله: إذا أهلكه. وقيل الغول وجع فى البطن، وقيل صداع فى الرأس، وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا، لأن الغول فيها (ولا هم عنها ينزفون) أى لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف، وهو السكران، وعن هنا سببية، كقولك فعلته عن أمرك، أى لا ينزفون بسبب شربها (قاصرات الطرف) معناه أنهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهن (عين) جمع عيناء، وهو الكبيرة العينين فى جمال (كأنهن بيض مكنون) قيل شبههن فى اللون ببيض النعام، فإنه بياض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرئ القيس ۞ كبكر مقناة البياض بصفرة ۞ وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلى الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى، وقيل أراد الجوهر المصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة قال الزمخشرى هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب، بما جرى لهم فى الدنيا (إنى كان لى قرين) قيل إن هذا القائل وقرينه من البشر، مؤمن وكافر وقيل إن قرينه كان من الجن (يقول أئنك لمن المصدقين) معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة (لمدينون) أى مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه مفعول، وهو من الدين، بمعنى الجزاء والحساب (قال هل أنتم مطلعون) أى قال ذلك القائل لرفقائه فى الجنة، أو للملائكة أو لخدامه، هل أنتم مطلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها، وروى أن فى الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار (فى سواء الجحيم) أى فى وسطها (قال تالله إن كدت لتردين) أى تهلكنى بإغوائك، والردى الهلاك، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذى فى النار (من المحضرين) فى العذاب (أفما نحن بميتين) هذا من كلام المؤمن، خطاب لقرينه أو خطابا لرفقائه فى الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعا (إن هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه فى الجنة أو من كلام الله تعالى، وكذلك يحتمل هذه الوجوه فى قوله «لمثل هذا فليعمل العاملون» والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذى بعده من كلام الله فيكون متصلا به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة فى الدنيا ففيه تحضيض على العمل الصالح (أذلك خير أم شجرة الزقوم) الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة، وكل ما ذكر من وصفها، وقال الزمخشرى الإشارة إلى قوله رزق معلوم، والنزل الضيافة، وقيل الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيئين، ليس بينهما اشتراك، لأن الكلام تقرير وتوبيخ (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا كيف يكون فى النار شجرة، والنار تحرق

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَـٰطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۞ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۞ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۞ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۞ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ۞ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى الْعَـٰلَمِينَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۞ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ ۞

---

الشجر ، فالفتنة على هذا الابتلاء فى الدنيا وقيل معناه ، عذاب الظالمين فى الآخرة ، والمراد بالظالمين هنا الكفار (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى تنبت فى قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطالع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقوم وشبه برءوس الشياطين مبالغة فى قبحه وكراهته ، لأنه قد تقرر فى نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقبيح المنظر وجه شيطان وقيل رؤس الشياطين شجرة معروفة باليمن ، وقيل هو صنف من الحيات (لشوبا من حميم) أى مزاجا من ماء حار ، فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بثم ، فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال فى الزمان ، فالمعنى أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الحميم ، والثانى أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعنى أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله (يهرعون) الإهراع الإسراع الشديد (ولقد نادانا نوح ) أى دعانا فالمعنى دعاؤه بإهلاك قومه ونصرته عليهم (من الكرب العظيم ) يعنى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما أغرق الناس فى الطوفان ونجا نوح ومن كان معه فى السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة ، سام وحام ويافث (وتركنا عليه فى الآخرين) معناه أبقينا عليه ثناء جميلا فى الناس إلى يوم القيامة ( سلام على نوح فى العالمين ) هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام ، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهى محكية أى تركنا هذه الكلمة ، تقال له يعنى أن الخلق يسلمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول ، لا على الثانى والأول أظهر ومعنى فى العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين ، كما تقول أحب فلانا فى الناس أى أحبه خصوصا من بين الناس ومعناه على القول الثانى : أن السلام عليه ثابت فى العالمين ، وهذا الخلاف يجرى حيث ماذكر ذلك فى هذه السورة (وإن من شيعته لإبراهيم ) الشيعة الصنف المتفق ، فمعنى من شيعته من على دينه فى التوحيد ، والضمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر ( إذ جاء ربه ) عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى ، بكليته وقيل المراد المجىء بالجسد (بقلب سليم) أى سليم من الشرك ، والشك وجميع العيوب (أئفكا آلهة دون الله تريدون) الإفك الباطل وإعرابه هنا مفعول من أجله ، وآلهة مفعول به وقيل أئفكا مفعول به وآلهة بدل منه وقيل أئفكا مصدر فى موضع الحال ، تقديره آفكين أى كاذبين والأول أحسن

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي

(فما ظنكم برب العالمين) المعنى أى شىء تظنون برب العالمين، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أو أى شىء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ماظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه، فالمقصد على المعنى الأول تهديد وعلى الثانى تعظيم لله وتوبيخ لهم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) روى أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال إنى سقيم ليمتنع عن الخروج معهم، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفى تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذه الحمى فى وقت معلوم، فنظر فى النجوم ليرى وقت الحمى، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى، والثانى أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدل بالنظر فى علم النجوم أنه يسقم، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن معنى نظر فى النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إنى سقيم والنجوم على هذا ماينجم من حاله معهم، وليست بنجوم السماء، وهذا بعيد وقوله إنى سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا، ويعارض هذا ماورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله إنى سقيم، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعاريض فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لابد له أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى، لأن نفى الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لايجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهى جائزة (فتولوا عنه مدبرين) أى تركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدى فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى (فراغ) أى مال (فقال ألا تأكلون) إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام (ضربا باليمين) أى يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالحلف، وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم، والأول أظهر وأليق بالضرب وضربا مصدر فى موضع الحال (يزفون) أى يسرعون (قال أتعبدون ماتنحتون) أى تنجرون والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب (والله خلقكم وماتعملون) ذهب قوم إلى أن مامصدرية، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق أفعال العباد، وقيل إنها موصولة بمعنى الذى والمعنى الله خلقكم وخالق أصنامكم التى تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى فى قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل إنها نافية، وقيل إنها استفهامية، وكلاهما باطل (قالوا ابنوا له بنيانا) قيل البنيان فى موضع النار، وقيل بل كان للمنجنيق، الذى رمى عنه (فأرادوا به كيدا) يعنى حرقه بالنار (فجعلناهم الأسفلين) أى المغلوبين (وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) قيل إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه ذاهب أى مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح فى النار وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيهدين على القول الأول يعنى الهدى إلى صلاح

مِنَ الصَّـٰلِحِينَ ٥ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ٥ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّـٰبِرِينَ ٥ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ٥ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ٥ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ٥ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلَـٰٓؤُا الْمُبِينُ ٥ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ٥ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ٥ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ٥ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٥

---

الدين والدنيا ، وعلى القول الثانى إلى الجنة ، وقالت المتصوفة معناه إنى ذاهب إلى ربى بقلبى أى مقبل على الله بكليتى تاركا سواه (رب هب لى من الصالحين) يعنى ولدا من الصالحين (فبشرناه بغلام حليم) أى عاقل واختلف الناس فى هذا الغلام المبشر به فى هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعنى إسماعيل عليه السلام ووالده عبدالله حين نذر والده عبدالمطلب أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثانى أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشرناه بإسحق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه روى أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علىّ بن أبى طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادى إنما كانت بإسحاق لقوله فبشرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، والثانى أنه روى أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله (فلما بلغ معه السعى) يريد بالسعى هنا العمل والعبادة ، وقيل المشى وكان حينئذ ابن ثلاثة عشر سنة (قال يابنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أن يكون رأى فى المنام الذبح وهو الفعل أو أمر فى المنام أنه يذبحه والأول أظهر فى اللفظ هنا ، والثانى أظهر فى قوله افعل ماتؤمر ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين (فانظر ماذا ترى) إن قيل لم شاوره فى أمر هو حتم من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ماعنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب (فلما أسلما) أى استسلما وانقادا لأمر الله (وتله للجبين) أى صرعه بالأرض على جبينه وللانسان جبينان حول الجبهة ، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره ، فلما أسلما كان ماكان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها تله والواو زائدة ، وقال بعضهم جوابها : ناديناه والواو زائدة (قد صدقت الرؤيا) يحتمل أنه يريد بقلبك أى كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أى وفيت حقها من العمل ، فان قيل إنه أمر بالذبح ولم يذبح ، فكيف قيل له صدقت الرؤيا ؟ فالجواب أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذى منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ماعليه (البلاء المبين) أى الاختبار البين الذى يظهر به طاعة الله أو المحنة البينة الصعوبة (وفديناه بذبح عظيم) الذبح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذى فدى به ، وروى أنه من كباش الجنة ، وقيل إنه الكبش الذى قرب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل ، وروى فى القصص أن الذبيح قال لإبراهيم اشدد رباطى لئلا أضطرب ، واصرف بصرك عنى

وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ۝ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ۝ ولقد مننا على موسى وهارون ۝ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ۝ ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ۝ وآتيناهما الكتاب المستبين ۝ وهديناهما الصراط المستقيم ۝ وتركنا عليهما في الآخرين ۝ سلام على موسى وهارون ۝ إنا كذلك نجزي المحسنين ۝ إنهما من عبادنا المؤمنين ۝ وإن إلياس لمن المرسلين ۝ إذ قال لقومه ألا تتقون ۝ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ۝ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ۝ فكذبوه فإنهم لمحضرون ۝ إلا عباد الله المخلصين ۝ وتركنا عليه في الآخرين ۝ سلام على إل ياسين ۝ إنا كذلك نجزي المحسنين ۝ إنه من عبادنا المؤمنين ۝ وإن لوطا لمن المرسلين ۝ إذ نجيناه وأهله أجمعين ۝ إلا عجوزا في الغابرين ۝ ثم دمرنا الآخرين ۝ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ۝ وبالليل أفلا تعقلون ۝ وإن يونس لمن المرسلين ۝ إذ أبق إلى الفلك المشحون ۝ فساهم فكان من المدحضين ۝ فالتقمه الحوت وهو مليم ۝ فلولا

---

لئلا ترحمني وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع فحينئذ جاءه الكبش من عند الله وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحة (كذلك نجزي المحسنين) إن قيل لم قال هنا في قصة إبراهيم كذلك دون قوله إنا، وقال في غيرها إنا، فالجواب أنه قد تقدم في قصة إبراهيم نفسها: إنا كذلك فأغنى عن تكرار إنا (ولقد مننا على موسى وهارون) يعني بالنبوة وغير ذلك (من الكرب العظيم) يعني الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم (ونصرناهم) الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف (وآتيناهما الكتاب المستبين) يعني التوراة ومعنى المستبين البين، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع (وإن إلياس لمن المرسلين) إلياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس، وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أتدعون بعلا) البعل في اللغة الرب بلغة أهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك (سلام على آل ياسين) آل هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإلياس، وقيل لأبيه، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقرئ إلياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إلياس أو منسوب لإلياس حذفت منه الياء كما حذفت من أعجمين، وقيل سمى كل واحد من آل ياسين إلياس ثم جمعهم وقيل هو لغة في إلياس (عجوز في الغابرين) قد ذكر (وإن يونس لمن المرسلين) قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء (إذ أبق إلى الفلك المشحون) أي هرب إلى السفينة والفلك هنا واحد والمشحون المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأوا قومه مخايل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب (فساهم فكان من المدحضين) معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجة وسبب مقارعته أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تجر، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه أحد نا فنقترع لنرى على من تخرج

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۝ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ

---

القرعة فنطرحه فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه فى البحر (فالتقمه الحوت وهو مليم) أى فعل مايلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج (فلولا أنه كان من المسبحين) تسبيحه هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين حسبما حكى الله عنه فى الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة ، واختلف على هذا هل يعنى صلاته فى بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف فى مدة بقائه فى بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوما (فنبذناه بالعراء) العراء الأرض الفضاء التى لا شجر فيها ، ولا ظل وقيل يعنى الساحل (وهو سقيم) روى أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أى أنبتناها فوقه لتظله وتقيه حر الشمس ، واليقطين ، القرع وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل ولين اللمس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ ، والأول أشهر (وأرسلناه إلى مائة ألف) يعنى رسالته الأولى التى أبق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر (أويزيدون) قيل أو هنا بمعنى بل ، وقرأ ابن عباس ، بل يزيدون ، وقيل هى بمعنى الواو وقيل هى للابهام وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون واختلف فى عددهم فقيل مائة وعشرون ألفا وقيل مائة وثلاثون ألفا وقيل مائة وأربعون ألفا وقيل مائة وسبعون ألفا (فآمنوا فمتعناهم إلى حين) روى أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا فرفع الله العذاب عنهم إلى حين : يعنى لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس فى قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) قال الزمخشرى إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذى فى أول السورة وإن تباعد ما بينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أى اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث ورد عليهم بقوله وهم شاهدون ، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة ، أو بمعنى الحضور أى أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه ثم أخبر عن كذبهم فى قولهم ولد الله ثم قررهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات ؛ وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم ، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا (أصطفى) دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل (مالكم) هذا استفهام معناه التوبيخ وهى فى موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغى الوقف على قوله مالكم (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين (فأتوا بكتابكم) تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)

إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ سُبْحَـٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ۝ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

---

الضمير فى جعلوا لكفار العرب وفى معنى الآية قولان: أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بنى آدم كالجن والنسب الذى جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله ، والقول الثانى أن الجن هنا الشياطين ، وفى النسب الذى جعلوه بينه وبينهم قولان: أحدهما أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح فى الجن فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) من قال إن الجن الملائكة فالضمير فى قوله إنهم لمحضرون يعود على الكفار أى قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون فى العذاب ومن قال إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم أى قد علمت الشياطين أنهم محضرون فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل فى يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون فى العذاب أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير فى إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاتنين مضلين والضمير فى عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أنه يصلى الجحيم أى لا تقدرون على إغواء الناس إلا بقضاء الله وقال الزمخشرى الضمير فى عليه يعود على الله تعالى (ومامنا إلا له مقام معلوم) هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام ، تقديره مامنا ملك إلا وله مقام معلوم ، وحذف الموصوف لفهم الكلام ، والمقام المعلوم: يحتمل أن يراد به المكان الذى يقومون فيه ، لأن منهم من هو فى السماء الدنيا ، وفى الثانية ، وفى السموات ، وحيث شاء الله ، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف (وإنا لنحن الصافون) أى الواقفون فى العبادة صفوفاً ، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف فى صلاتهم ليقتدوا بالملائكة ، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفاً إلا المسلمون (وإنا لنحن المسبحون) قيل معناه المصلون ، لأن الصلاة يقال لها تسبيح ، وقيل معناه القائلون سبحان الله ، وفى هذا الكلام الذى قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله وشركاء له ، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له ، ويدل هذا الكلام أيضا على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة ، وقيل إنه هذا كله من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكلام المسلمين ، والأول أشهر (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين) الضمير لكفار قريش وسائر العرب ، والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لو أرسل الله إلينا رسولا وأنزل علينا كتابا لكنا عباد الله المخلصين (فكفروا به) الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يتقدم له ذكر (فسوف يعلمون) تهديد ووعيد لهم على كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون

الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ۝ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

## سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن

---

المعنى سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم (وإن جندنا لهم الغلبون) هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء فى القتال، وبالسعادة فى الآخرة (فتول عنهم حتى حين) أى أعرض عنهم، وذلك موادعة منسوخة بالسيف، والحين هنا يراد به يوم بدر، وقيل حضور آجالهم، وقيل يوم القيامة (وأبصر فسوف يبصرون) هذا وعد للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (أفبعذابنا يستعجلون) إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (فإذا نزل بساحتهم) الساحة الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محظور وسوء (فساء صباح المنذرين) الصباح مستعمل فى ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم (وأبصر) كرر الأمر بالتولى عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد، وقيل أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا، وبالثانى عذاب الآخرة، فإن قيل: لم قال أولا أبصرهم، وقال هنا أبصر، فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفار بخلاف الأول، فإنه فى قريش خاصة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم فى هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة، والعزة إن أراد بها عزة الله: فمعنى رب العزة، ذو العزة وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين: فمعنى رب العزة مالكها وخالقها، ومن هذا قال محمد بن سحنون: من حلف بعزة الله، فان أراد صفة الله فهى يمين، وإن أراد العزة التى أعطى عباده فليست بيمين، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلا لقوله إنهم لهم المنصورون، وأما الحمد لله، فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر فى هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق

## سورة داود عليه السلام

(ص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد، وقيل هو حرف

قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا اخْتِلَـٰقٌ ۝ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن

من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات (والقرآن ذى الذكر) هذا قسم جوابه محذوف تقديره إن القرآن من عند الله، وإن محمداً لصادق وشبه ذلك، وقيل جوابه فى قوله ص إذ هو بمعنى صدق محمد، وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وهذا بعيد، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا أبعد، ومعنى ذى الذكر ذى الشرف، والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج اليه من الشريعة (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) الذين كفروا يعنى قريشا، وبل الإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم أى إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق، والعزة التكبر، والشقاق العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) إخبار يتضمن تهديداً لقريش (فنادوا ولات حين مناص) المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، ولات بمعنى ليس وهى لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث، كما زيدت فى ربت وثمت، ولا تدخل لات إلا على زمان واسمها مضمر، وحين مناص خبرها، والتقدير ليس الحين الذى دعوا فيه حين مناص، والمناص المفر والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فر (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أى استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم (وقال الكافرون) كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع المضمر قصداً لوصفهم بالكفر (أجعل الآلهة إلها واحداً) هذا إنكار منهم للتوحيد، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبى طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا فكلمه أبو طالب فى ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحداً (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا) انطلاق الملأ عبارة عن خروجهم عن أبى طالب وقيل عبارة عن تفرقهم فى طرق مكة وإشاعتهم للكفر، وأن امشوا: معناه يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمداً فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده (إن هذا لشىء يراد) هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش وفى معناه وجهان: أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أى إن هذا التوحيد شىء يراد منا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أى إن هذا لشىء ينبغى أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شىء يريده الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) هذا أيضا مما حكى الله عنهم من كلامهم أى ما سمعنا بالتوحيد فى الملة الآخرة، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل المراد ملة قريش أى ما سمعنا بهذا فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا، وقيل المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء (إن هذا

بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۞ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۞ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَٰبِ ۞ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ ۞ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۞ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل

---

إلا اختلاق) هذا أيضا مما حكى من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى الاختلاف الكذب (أنزل عليه الذكر من بيننا) الهمزة للإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم (بل هم فى شك من ذكرى) هذا ردّ عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم فى شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) هذا ردّ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب، لأن العزيز يفعل مايشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا (أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما) هذا أيضا ردّ عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤا، بل مالك الملك يفعل فى ملكه مايشاء، وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما أم الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها (فليرتقوا فى الأسباب) هذا تعجيز لهم، وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل هى أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك (جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب) هذا وعيد بهزيمتهم فى القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره، وماهنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء فى الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا (وفرعون ذى الأوتاد) قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها فى الناس لقتلهم، وقيل أراد المبانى العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشرى إن ذلك استعارة فى ثبات الملك كقول القائل: فى ظل ملك ثابت الأوتاد (وأصحاب الأيكة) قد ذكر (ومابنظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعنى قريشا والصيحة الواحدة النفخة فى الصور وهى نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل أوشدة، والأول أظهر، وقد روى تفسيرها بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم (مالها من فواق) فيه ثلاثة أقوال: الأول مالها رجوع أى لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثانى مالها من ترداد: أى إنما هى واحدة لا ثانية لها: الثالث مالها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهى مابين حلبتى اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجرى على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة

لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۞ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۞ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا

بالضم ، والقولان الأولان على الفتح والضم (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) القط فى اللغة له معنيان : أحدهما الكتاب ، والآخر النصيب ، وفى معناه هنا ثلاثة أقوال : أحدها نصيبنا من الخير : أى دعوا أن يعجله الله لهم فى الدنيا والآخر نصيبهم من العذاب ، فهو كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء . الثالث صحائف أعمالنا (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) الأيد القوة ، وكان داود جمع قوة البدن وقوة الدين والملك والجنود ، والأواب : الرجاع إلى الله ، فإن قيل : ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره له بذكر داود ؟ فالجواب عندى أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء فى هذه السورة فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أمر به من الصبر ، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال ، وشدة ملكه ، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم الخاتمة له فى الآخرة بالزلفى وحسن المآب ، فكأنه يقول يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك ، فاصبر ولا تحزن على مايقولون ، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب ، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم ، وأعقبها بالخير العظيم ، فأمر سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه مايلقى من إذاية قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم ، فالمناسبة فى ذلك ظاهرة وقال ابن عطية : المعنى : اذكر داود ذا الأيدى فى الدين فتأس به وتأيد كما تأيد ، وأجاب الزمخشرى عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على مايقولون ، وعظم أمر المعصية فى أعين الكفار بذكر قصة داود ، وذلك أنه نبى كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب ، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم ، وهذا الجواب لايخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته ، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا (والإشراق) يعنى وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس : أى تضىء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها (محشورة) أى مجموعة (كل له أواب) أى كل مسبح لأجل تسبيح داود ، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاع أى ليرجع إلى أمره (وآتيناه الحكمة) قيل يعنى النبوة ، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق ، وقال علىّ بن أبى طالب هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعى ، وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها ، وقال الزمخشرى : معنى فصل الخطاب البين من الكلام الذى يفهمه من يخاطب به ، وهذا المعنى اختاره ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى « إنه لقول فصل » (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها

عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ

للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغى أن يلتى البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك عدل وزور واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروى أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود فى نازلة وقع هو فى مثلها، فأفتى بفتيا هى واقعة عليه فى نازلته ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا، ومعنى تسوّروا المحراب علوا على سوره ودخلوه، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسوّر المحراب اثنين فقط، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجيء الضمائر فى تسوّروا، ودخلوا، وفزع منهم: على وجه التجوز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا عول الزمخشرى (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) العامل فى إذ هنا تسوروا، وقيل هى بدل من الأولى، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أتاك أو تسوروا وردّ الزمخشرى ذلك، وقال إن العامل فيها محذوف تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب، وقيل إن ذلك كان ليلا (خصمان بغى بعضنا على بعض) تقديره نحن خصمان، ومعنى بغى تعدى (ولا تشطط) أى لا تجر علينا فى الحكم، يقال أشط الحاكم إذا جار، وقرئ فى الشاذ لا تشطط بفتح التاء: أى لا تبعد عن الحق، يقال شط إذا بعد (سواء الصراط) أى وسط الطريق، ويعنى القصد والحق الواضح (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب) هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة فى اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهى هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أكفلنيها أملكها لى وأصلها اجعلها فى كفالتى، وقيل اجعلها كفلى أى نصيبى، ومعنى عزنى فى الخطاب أى غلبنى فى الكلام والمحاورة يقال عز فلان فلانا إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التى وقع داود فيها. وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا حتى قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: من حدث بما يقول هؤلاء القصاص فى أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة فى ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار فى أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبته فسأله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التى كانت لداود، ولى نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابه داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ
أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ يَٰدَاوُدُ
إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

وذهبا ولم يرهما . فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) ولا تقتضى هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا ، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغى له أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ومتانة دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء ، وإن كان جائزا . وروى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أن داود انفرد يوما فى محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فوقع بين يديه فأعجبه فمد يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ما تخلص أحد منه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا فتزوج داود امرأته فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها ، وقيل إن داود هم بذلك كله ولم يفعله ، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك ، وروى أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعمله وظهر منه ما يقتضى أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة ، وروى أيضا أن السبب فى ذلك أنه تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له فى تلك القصة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) سؤال مصدر مضاف إلى المفعول ، وإنما تعدى بإلى لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه ، فإن قيل : كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه روى أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا ، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله ، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التى استغفر منها وأناب (وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض) الخلطاء هم الشركاء فى الأموال ، ولكن الخلطة أعم من الشركة . ألا ترى أن الخلطة فى المواشى ليست بشركة فى رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذى بغى ، والتسلية بالتأسى للخصم الذى بغى عليه (وقليل ما هم) ما زائدة للتأكيد (وظن داود أنما فتناه) ظن هنا بمعنى شعر بالأمر ، وقيل بمعنى أيقن ، وفتناه معناه اختبرناه (وخر راكعا وأناب) معنى خر ألقى بنفسه إلى الأرض ، وإنما حقيقة ذلك فى السجود ، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود ، وقيل خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع ، ومعنى أناب تاب ، وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما يبكى حتى نبت البقل من دموعه ، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعى ، إلا أنه اختلف فى مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأناب ، أو عند قوله وحسن مآب (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) الزلفى القربة والمكانة الرفيعة ، والمآب المرجع فى الآخرة (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) تقديره

يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۞ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا
ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۞ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا
ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۞

---

قال الله ياداود ، وخلافة داود بالنبوة والملك ، قال ابن عطية : لا يقال خليفة الله إلا لنبي ، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله ، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز (وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا) أى عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما (ذلك ظن الذين كفروا) المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السموات والأرض عندهم باطلا بغير الحكمة ، فان الحكمة فى ذلك إنما تظهر فى الجزاء الأخروى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار : أى أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار ، بل يجازى كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله فى الجزاء ، فى ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أيضا وعد ووعيد (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذى يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى ، وقيل الصافن هو الذى يسوى يديه ، والصفن علامة على فراهة الفرس ، والجياد السريعة الجرى واختلف الناس فى قصص هذه الآية ، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل أكثر فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشى «العصر» فأسف لذلك ، وقال ردوا على الخيل وطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله أسرع منها وهى الريح ، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأى ذنب للخيل فى تفويت الصلاة فقال بعضهم : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله ، وقال بعضهم لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل ، بل كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردوها على فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة ، وقيل إن المسح عليها كان وسما فى سوقها وأعناقها بوسم حبس فى سبيل الله (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف فى القصة ، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلفوا فى هذا على ثلاثة أقوال : أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل ، وزعموا أن الخيل يقال لها خير وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بعن كأنه قال آثرت حب الخيل فشغلنى عن ذكر ربى ، والآخر أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى « أو ترك خيرا » أى مالا ، والثالث

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ

أن المفعول محذوف ، وحب الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلنى عن ذكر ربى وأما الذين قالوا كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إنى أحببت حب الخير الذى عند الله فى الآخرة بسبب ذكر ربى ، وشغلنى ذلك عن النظر إلى الخيل (حتى توارت بالحجاب) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشى يقتضيها ، والمعنى حتى غابت الشمس ، وقيل إن الضمير للخيل ، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر (ردوها علىّ) أى قال سليمان ردوا الخيل علىّ (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) السوق جمع ساق يعنى سوق الخيل وأعناقهم : أى جعل يمسحها مسحا ، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم ، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها ، أو وسمها للتحبيس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف فى قصتها ، وفى ذلك أربعة أقوال : الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله ، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيرا لاسم الله تعالى ، فنزعه يوما ودفعه إلى جارية فتمثل لها جنىّ فى صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له ، روى أن اسمه صخر فقعد على كرسىّ سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان فارا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه ، وكان الجنى قد رماه فى البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه ففتنة سليمان على هذا هى ما جرى له من سلب ملكه ، والجسد الذى ألقى على كرسيه هو الجنىّ الذى قعد عليه وسماه جسداً ، لأنه تصور فى صورة إنسان ، ومعنى أناب رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجع إلى ملكه ، والقول الثانى أن سليمان كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكا كافراً قد قتله سليمان فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها فى ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها وصار صنما معبودا فى داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوما ، فلما علم به كسره فالفتنة على هذا عمل الصورة ، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولدا وكان يحبه حبا شديدا فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا فى السخرة أبدا فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه فالفتنة على هذا حبه الولد ، والجسد هو الولد لما مات وسمى جسداً لأنه جسد بلا روح ، القول الرابع أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتى كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق إنسان فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله ، والجسد هو شق الإنسان الذى ولد له ، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه ، وأما القول الثانى فضعيف أيضا مع أنه يبعد أنه يعبد صنم فى بيت نبى ، أو يأمر نبى بعمل صنم ، وأما القول الثالث فضعيف أيضا ، وأما القول الرابع فقد روى فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يذكر فى الحديث أن ذلك تفسير الآية (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) قدم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهمّ ، فإن قيل : لأى شىء قال لا ينبغى لأحد من بعدى ، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج

وَغَوَّاصٍ ۝ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا
لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ٱرْكُضْ
بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ وَخُذْ
بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ

---

إنه كان حسوداً؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه إنما قال ذلك لئلا يجرى عليه مثل ماجرى من أخذ الجنى الملك، فقصد أن لا يسلب ملكه عنه فى حياته ويصير إلى غيره، والآخر أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) معنى رخاء لينة طيبة، وقيل طائعة له، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله عاصفة فى الأنبياء، وحيث أصاب: أى حيث قصد وأراد (والشياطين كل بناء وغواص) الشياطين معطوف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين أى سخرنا له الريح والشياطين من يبنى منهم ومن يغوص فى البحر (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) أى آخرين من الجن موثقون فى القيود والأغلال (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك) الإشارة إلى الملك الذى أعطاه الله له، والمعنى أن الله قال له أعط من شئت وامنع من شئت، وقيل المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود، وأمسك من شئت منهم فى القيود، والأول أحسن وهو قول ابن عباس (بغير حساب) يحتمل ثلاثة معان: أحدها أنه لا يحاسب فى الآخرة على ما فعل، والآخر بغير تضييق عليك فى الملك، والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قد ذكر فى قصة داود (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام فى الأنبياء والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد: وبفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد وبفتحهما، ومعناه واحد وهو المشقة، فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان فالجواب من أربعة أوجه: أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روى أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره، وقيل إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئا، والثانى أنه أراد ما وسوس له الشيطان فى مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك، والثالث أنه روى أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام [1] والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه، والرابع روى أن الشيطان لقى امرأته فقال لها قولى لزوجك إن سجد لى سجدة أذهبت ما به من المرض فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها ذلك عدو الله الشيطان وحينئذ دعا (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) التقدير قلنا له اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ما كان فى ظاهر جسده، وروى أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى (ووهبنا له أهله) ذكر فى الأنبياء (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته

---

(١) الحق أن سيدنا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطنى لا ينفر منه الناس لعصمة الأنبياء من ذلك

وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۞ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۞ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ۞ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ۞ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۞ هَٰذَا فَوْجٌ

---

مائة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ماذكرته له من لقاء الشيطان ، وقوله لها إن سجدلى زوجك أذهبت مابه من المرض ، فأمره أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر فى يمينه ، وقد ورد مثل هذا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فى حد رجل زنى وكان مريضا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود والنسائى ، وأخذ به بعض العلماء ، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه (أولى الأيدى والأبصار) الأيدى جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم فى الأعمال الصالحات ، وإنما عبر عن ذلك بالأيدى ، لأن الأعمال أكثر ماتعمل بالأيدى ، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور ، وقيل الأيدى جمع يد بمعنى النعمة ومعناه أولوا النعم التى أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة ، وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة أكثر مايجمع على أيادى ، وقرأ ابن مسعود أولوا الأيد بغير ياء ، فيحتمل أن تكون الأيدى محذوفة الياء ، أو يكون الأيد بمعنى القوة : كقوله « داود ذا الأيد » ( إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ) معنى أخلصناهم جعلناهم خالصين لنا ، أو أخلصناهم دون غيرهم ، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخصلة خالصة ، وأما الباء فى قوله بخالصة فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين ، فالباء سببية للتعليل ، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم فالباء لتعدية الفعل ، وقرأ نافع بإضافة خالصة إلى ذكرى من غير تنوين ، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكر بدلا من خالصة على وجه البيان والتفسير لها ، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا ، فإن أراد به الآخرة ففى المعنى ثلاثة أقوال : أحدها أن ذكرى الدار يعنى به ذكرهم الآخرة وخوفهم فيها والآخر أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة ، وترغيبهم للناس فيها عند الله ، والثالث أن معناه ثواب الآخرة : أى أخلصناهم بأفضل مافى الآخرة ، والأول أظهر ، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حسن الثناء والذكر الجميل فى الدنيا كقوله لسان صدق ( الأخيار ) جمع خير بتشديد الياء أو خير المخفف من خير كميت مخفف من ميت (وذا الكفل) ذكر فى الأنبياء (هذا ذكر) الإشارة إلى ماتقدم فى هذه السورة من ذكر الأنبياء ، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملته ، والأول أظهر وكأن قوله هذا ذكر ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده فى كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول فهذا باب ثم يشرع فى آخر (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (أتراب) يعنى أسنانهن سواء يقال فلان ترب فلان إذا كان مثله فى السن ، وقيل إن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء (ماله من نفاد) أى ماله من فناء ولا انفضاء (هذا وإن للطاغين لشر مآب) تقديره الأمر هذا : لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتدأ وصف

مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار ﴿ قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار ﴿ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار ﴿ وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار ﴿ أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴿ قل إنما أنا منذر وما من إله

---

أهل النار ، ويعني بالطاغين الكفار (هذا فليذوقوه حميم وغساق) هذا مبتدأ وخبره حميم ، فليذوقوه اعتراف بينهما ، والحميم الماء الحار والغساق قرئ بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل النار، وقيل مايسيل من عيونهم ، وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله (وآخر من شكله أزواج) آخر معطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعني الزمهرير ، ومعنى من شكله من مثله ونوعه أي من مثل العذاب المذكور ، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أنهما أصناف من العذاب ، وقال ابن عطية : آخر مبتدأ ، واختلف في خبره ، فقيل تقديره ولهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج ، والجملة خبر آخر ، وقيل أزواج خبر الآخر، ومن شكله في موضع الصفة وقرئ أخر بالجمع وهو أليق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله (هذا فوج مقتحم معكم) الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل في زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولا ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه ،وقيل هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والأول أظهر (لا مرحبا بهم) أي لا يلقون رحبا ولا خيرا ، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار: أي لا مرحبا بالفوج الذين هم أتباع لهم (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) هذا حكاية كلام الأتباع الرؤساء لما قالوا لهم لا مرحبا بهم ، أجابوهم بقولهم بل أنتم لا مرحبا بكم (أنتم قدمتموه لنا) هذا أيضا من كلام الأتباع خطابا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم بل أنتم لا مرحبا بكم، والضمير في قدمتموه للعذاب، ومعنى قدمتموه أوجبتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) هذا أيضا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا في النار والضعف زيادة المثل (قالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) الضمير في قالوا لرؤساء الكفار ، وقيل للطاغين والرجال هم ضعفاء المؤمنين ، وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك والمعنى أنهم قالوا في جهنم مالنا لا نرى في النار رجالا كنا في الدنيا نعدهم من الأشرار (أتخذناهم سخريا) قرئ أتخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريا ، وقرئ بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ سخريا بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء (أم زاغت عنهم الأبصار) هذا يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون معادلا لقولهم مالنا لا نرى رجالا ، والمعنى مالنا لا نراهم في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومعنى زاغت عنهم مالت فلم نرهم . الثاني أن يكون معادلا لقولهم أتخذناهم سخريا والمعنى أتخذناهم سخريا . وأم زاغت الأبصار على هذا : مالت عن النظر إليهم احتقاراً لهم . الثالث أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهمزة فلا تعادل شيئاً مما قبلها (إن ذلك لحق) الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار

إلا الله الواحد القهار * رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ‌ۚ قل هو نبؤا عظيم ‌ۚ أنتم عنه معرضون ‌ۚ ما كان لى من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون ‌ۚ إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين ‌ۚ إذ قال ربك للملئكة إنى خلق بشرا من طين ‌ۚ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له سجدين ‌ۚ فسجد الملئكة كلهم أجمعون ‌ۚ إلا إبليس استكبر وكان من الكفرين * قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين ‌ۚ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ‌ۚ قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ‌ۚ قال فإنك من المنظرين ‌ۚ إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ‌ۚ إلا عبادك منهم المخلصين ‌ۚ قال فالحق والحق أقول ‌ۚ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ‌ۚ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من

---

ثم فسره بقوله ( تخاصم أهل النار) وإعراب تخاصم بدل من حق أو خبر مبتدأ مضمر (قل هو نبأ عظيم) النبأ الخبر ويعنى به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة ، وقيل هو القرآن ، وقيل هو يوم القيامة والأول أعم وأرجح (ماكان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) الملأ الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية الاحتجاج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك ، والضمير فى يختصمون للملأ الأعلى واختصامهم هو فى قصة آدم حين قال لهم إنى جاعل فى الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته فى مواضع من القرآن ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقال : لا أدرى قال فى الكفارات وهى إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد الحديث بطوله ، وقيل الضمير فى يختصمون للكفار : أى يختصمون فى الملأ الأعلى فيقول بعضهم هم بنات الله ، ويقولون آخرون هم آلهة تعبد ، وهذا بعيد (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين ) إذ بدل من إذ يختصمون ، وقد ذكرنا فى البقرة معنى سجود الملائكة لآدم ، ومعنى كفر إبليس وذكرنا فى الحجر معنى قوله تعالى «من روحى» (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) الضمير فى قال لله عز وجل ، وبيدى من المتشابه الذى ينبغى الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله ، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة ، وقال القاضى أبو بكر بن الطيب إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة ، قال ابن عطية وهذا قول مرغوب عنه ، وحكى الزمخشرى أن معنى خلقت بيدى خلقت بغير واسطة (أستكبرت أم كنت من العالين) دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل ، وأم هنا معادلة ، والمعنى أستكبرت الآن أم كنت قديما ممن يعلو ويستكبر ، وهذا على جهة التوبيخ له (رجيم) أى لعين مطرود (إلى يوم الوقت المعلوم ) يعنى القيامة ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى الحجر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) الباء للقسم ، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوى بنى آدم (قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) الضمير فى قال هنا لله تعالى ، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمر كقولك الله لأفعلن ، وجوابه لأملأن جهنم ، وقرئ بالرفع وهو مبتدأ ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره الحق يمينى ، وأما الحق الثانى

الْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۝

## سورة الزمر

مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبإ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ

---

فهو مفعول بأقول ، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم (وما أنا من المتكلفين) أي الذين يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من أهله (ولتعلمن نبأه بعد حين) هذا وعيد أي لتعلمن صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره

## سورة الزمر

(تنزيل الكتاب) تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمر تقديره هذا تنزيل ، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبراً بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثاني فهو القرآن باتفاق (بالحق) يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمنا الحق ، والثاني أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب (مخلصاً له الدين) أي لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء (ألا لله الدين الخالص) قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافي من شوائب الشرك ، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يريد بالأولياء الشركاء المعبودين ، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والأول أظهر لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل في اتخذوا عائداً على غير مذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدر قبل قوله ما نعبدهم لأن تقديره يقولون ما نعبدهم والأول أرجح لأن المعنى به أكمل (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هذه الجملة في موضع معمول قول محذوف والقول في موضع الحال أو في موضع بدل من صلة الذين ، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أي يقول الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعني بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزير فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قربى فهو مصدر من يقربونا (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) إشارة إلى كذبهم في قولهم ليقربونا إلى الله وقوله لا يهدي في تأويله وجهان : أحدهما لا يهديه في حال كفره والثاني أن ذلك مخصص بمن قضى عليه بالموت على الكفر أعاذنا الله من ذلك وهذا تأويل : لا يهدي القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق

يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ۞ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّـٰرُ ۞ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۞ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ

---

مايشاء) الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله تعالى لا يجوز في العقل والثاني التبني بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الانسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع فان قوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً يعم نفي الوجهين فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية : لو أراد الله أن يتخذ ولداً على وجه التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله ، وقال الزمخشري معناه : لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك ولكنه يصطفي من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولداً فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثا فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته (سبحانه هو الله الواحد القهار) نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركاء والأنداد لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى فكيف يكون شريكا له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقة السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته وعظمته (يكور الليل على النهار) التكوير اللف واللي ومنه كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض وهو هنا استعارة ، ومعناه : على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا ، فكأن الذي يطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءا فيستره وكأن الذي ينقص يدخل في الذي يطول فيستتر فيه ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في ستره له بثوب يلف على الآخر (لأجل مسمى) يعني يوم القيامة (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء خلقها من ضلع آدم ، فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم بثم التي تقتضي الترتيب والمهلة ولا شك أن خلقة حواء كانت قبل خلقة بني آدم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثاني أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود . الثالث أنه يعني بقوله خلقكم إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر وذلك كان قبل خلقه حواء ( وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ) يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه : الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها . الثاني أن معنى أنزل قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه. الثالث أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد (خلقا من بعد خلق) يعني أن الإنسان يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح (في ظلمات ثلاث) هي البطن والرحم والمشيمة ، وقيل صلب الأب

اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ قُلْ إِنِّي

---

والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم) أى لا يضره كفركم (ولا يرضى لعباده الكفر) تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين: أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعنى بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاة عليه، فهو كقوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أى لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينا ولا شرعا وأراده وقوعا ووجودا وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جريا على قاعدتهم فى القدر وأفعال العباد (وإن تشكروا يرضه لكم) هذا عموم والشكر الحقيق يتضمن الإيمان (ولا تزر وازرة) ذكر فى الإسراء (وإذا مس الإنسان ضر) الآية: يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله وجعل له أندادا، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله، فى الشدائد، فإن قيل لم قال هنا وإذا مس بالواو وقال بعدها فإذا مس بالفاء؟ فالجواب: أن الذى بالفاء مسبب عن قوله اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشرى وهو بعيد (ثم إذا خوله نعمة منه) خوله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أى نعمة كانت (نسى ما كان يدعو إليه من قبل) يحتمل أن تكون ما مصدرية أى نسى دعاءه أو تكون بمعنى الذى والمراد بها الله تعالى (أمن هو قانت) بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هى همزة النداء الأول أظهر، وقرئ بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله هل يستوى الذين يعلمون، والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل، وآناء الليل ساعاته (قل ياعباد الذين آمنوا) الآية نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يحتمل أن يتعلق فى هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا فى الدنيا لهم حسنة فى الآخرة، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية فى الدنيا والأول أرجح (وأرض الله واسعة) يراد البلاد المجاورة للأرض التى هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من

أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ۝ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

---

أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور ( وأمرت لأن أكون أول المسلمين) اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف، فإن قيل: كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثانى أمر بالسبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله قل الله أعبد ليس تكرارا لقوله أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثانى إخبار بأنه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده ( فاعبدوا ماشئتم من دونه ) هذا تهديد ومبالغة فى الخذلان والتخلية لهم على ماهم عليه (ظلل) جمع ظلة بالضم وهو ماغشى من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأما من تحتهم فسماه ظلة لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سماه ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) قيل إنها نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا وقيل نزلت فى أبى ذر وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة، والطاغوت كل ماعبد من دون الله، وقيل الشياطين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذى هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو الذى يستمع حديثا فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطية هو عام فى جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشرى مثل هذا المعنى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) فيها وجهان: أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه، فوضع من فى النار موضع المضمر، والهمزة فى قوله أفأنت هى الهمزة التى فى قوله أفمن وهى همزة الإنكار كررت للتأكيد، والثانى أن يكون التقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من فى النار، وعلى هذا

لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن
ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا
لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۞ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

---

يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضمار (فسلكه ينابيع فى الأرض) معنى سلكه أدخله وأجراه والينابيع جمع ينبوع وهو العين، وفى هذا دليل على أن ماء العيون من المطر (مختلفا ألوانه) أى أصنافه كالقمح والأرز والفول وغير ذلك، وقيل ألوانه الخضرة والحمرة وشبه ذلك، وفى الوجهين دليل على الفاعل المختار ورد على أهل الطبائع (أفمن شرح الله صدره للإسلام) تقديره أفمن شرح الله صدره كالقاسى قلبه، وروى أن الذى شرح الله صدره للإسلام علىّ بن أبى طالب وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده، واللفظ أعم من ذلك (من ذكر الله) قال الزمخشرى من هنا سببية أى قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله، وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندى أن يكون قاسية تضمن معنى خالية، فلذلك تعدى بمن، والمعنى أن قلوبهم خالية من ذكر الله (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن (كتابا) بدل من أحسن أو حال منه (متشابها) معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضا فى الفصاحة والنطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثانى) جمع مثان أى تثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء، لأنه يثنى فيه على الله، فإن قيل: مثانى جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار، وثوب أخلاق، أو يكون تمييزا من متشابها كقولك حسن شمائل (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إن قيل: كيف تعدى تلين بإلى؟ فالجواب أنه تضمن معنى فعل تعدى بإلى كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولا وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولا تقشعر ذكر الجلود وحدها، لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيا تلين ذكر الجلود والقلوب، لأن اللين توصف به الجلود والقلوب: أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولا من الخوف، ثم لانت بالرجاء (ذلك هدى الله) يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار الجلود (أفمن يتق بوجهه سوء العذاب) الخبر محذوف كما تقدم فى نظائره تقديره أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب، ومعنى يتقى يلاقى النار بوجهه ليكفها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لقى شيأ من المخاوف استقبله بيديه، وأيدى هؤلاء مغلولة، فاتقوا النار بوجوههم (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان (قرآنا عربيا) نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح

غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ . إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ . وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ . لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى انتِقَامٍ . وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

---

(غير ذى عوج) أى ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التى فى كلام البشر، وقيل معناه غير مخلوق وقيل غير ذى لحن ، فإن قيل : لم قال غير ذى عوج ولم يقل غير معوج ؟ فالجواب : أن قوله غير ذى عوج أبلغ فى نفى العوج عنه كأنه قال ليس فيه شىء من العوج أصلا (رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون متظالمون ، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر ، والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده ، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه ، والمملوك بينهم فى أسوإ حال وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد ، فمعنى قوله (سالما لرجل) أى خالصا له وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد (إنك ميت وإنهم ميتون) فى هذا وعد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد للكفار فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل وفيه أيضا إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم سيموت لئلا يختلف الناس فى موته كما اختلفت الأمم فى غيره وقد جاء أنه لما مات صلى الله عليه وسلم أنكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق بهذه الآية فرجع إليها (تختصمون) قيل يعنى الاختصام فى الدماء وقيل فى الحقوق والأظهر أنه اختصام النبى صلى الله عليه وسلم مع الكفار فى تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله ويحتمل أن يكون على العموم فى اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها (فمن أظلم ممن كذب على الله) المعنى لا أحد أظلم ممن كذب على الله ويريد بالكذب على الله هنا ما نسبوا إليه من الشركاء والأولاد (وكذب بالصدق) أى كذب بالإسلام والشريعة (والذى جاء بالصدق وصدق به) قيل الذى جاء بالصدق النبى صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر وقيل الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذى للجنس كأنه قال الفريق الذى لأنه فى مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم (أليس الله بكاف عبده) تقوية لقلب محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإزالة للخوف الذى كان الكفار يخوفونه (ولئن سألتهم) الآية احتجاج

قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ

---

على التوحيد ورد على المشركين (هل هن كاشفات ضره) الآية رد على المشركين وبرهان على الوحدانية وروى أن سببها أن المشركين خوفوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من آلهتهم فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرون على شيء، فإن قيل: كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث؟ فالجواب أنها لا تعقل فعاملها معاملة المؤنثة وأيضا ففي تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها (اعملوا على مكانتكم) تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف (بالحق) ذكر في أول السورة (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) هذه الآية اعتبار ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر وفاة النوم لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله «وهو الذي يتوفاكم بالليل» وتقديرها ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت الحقيقي ومعنى إمساكها أنه لا يردها الى الدنيا (ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) أي يرسل الأنفس النائمة وإرسالها هو ردها إلى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله «قل الروح من أمر ربي» (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها، لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (قل أو لو كانوا) دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون وهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها، فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه وفي هذا رد على الكفار في قولهم إن الأصنام تشفع لهم (وإذا ذكر الله وحده) الآية: معناها أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به، ومعنى اشمأزت انقبضت من شدة الكراهة، وروى أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في الحج، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا

ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۝ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ

---

يظنون لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة . قال الزمخشري : المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم أي ظهر لهم من عذاب الله مالم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد « فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين » وقيل معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات ، فإذا هي سيئات وقال الحسن : ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفار ( وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ) معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن ، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن ، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤن لأنهم كانوا في الدنيا يستهزؤن ، إذا خوفوا بعذاب الله ، ويقولون متى هذا الوعد (قال إنما أوتيته على علم) يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر : أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع ، والآخر على علم الله باستحقاقي لذلك وإنما هنا تحتمل وجهين : أحدهما وهو الأظهر : أن تكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال ، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى (بل هي فتنة ) رد على الذي قال إنما أوتيته على علم (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون وغيره (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) قال علي بن أبي طالب وابن مسعود هذه أرجى آية في القرآن، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : ماأحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ، واختلف في سببها فقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ماوقع فيه من قتل حمزة وقيل نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا قول عمر بن الخطاب : وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي ، لما جرى له ذلك وقيل نزلت في قوم من أهل الجاهلية ، قالوا : ماينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام يجب ماقبله ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه ، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الآية ، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة ، والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

---

والدليل على أنها فى الكفار ماذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم) يعنى اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله . إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم مافيه من الأوامر . ويجتنبوا مافيه من النواهى فالتفضيل الذى يقتضيه أحسن إنما هو فى الاتباع وقيل يعنى اتبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد (أن تقول نفس) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكفار (فى جنب الله) أى فى حق الله وقيل فى أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى (الساخرين) أى المستهزئين (بلى) جواب للنفس التى حكى كلامها ولا يجاوب ببلى إلا النفى وهى هنا جواب لقوله لو أن الله هدانى لكنت من المتقين لأنه فى معنى النفى لأن لو حرف امتناع وتقرير الجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية هى جواب لقوله لو أن لى كرة فإن معناه يقتضى أن العمر يتسع للنظر فقيل له بلى على وجه الرد عليه والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتى تفسير لما تضمنته بلى (وجوههم مسودة) يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب (بمفازتهم) أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم (وهو على كل شىء وكيل) أى قائم بتدبير كل شىء (مقاليد) مفاتيح وقيل خزائن واحدها مقليد وقيل إقليد وقيل لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية ، وقال عثمان بن عفان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال هى لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير فإن صح هذا الحديث فمعناه أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له (والذين كفروا) الآية قال الزمخشرى إنها متصلة بقوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض (أفغير الله) منصوب بأعبد (تأمرونى) حذفت إحدى النونين

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

---

تخفيفاً وقرئ بإدغام إحدى النونين فى الآخرى (لئن أشركت ليحبطن عملك) دليل على إحباط عمل المرتد مطلقا خلافا للشافعى فى قوله لايحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد: فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدته ، فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك ، فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أى لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطبوا هم ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى (وما قدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق تعظيمه ولاوصفوه بما يجب له ولا نزهوه عما لا يليق به والضمير فى قدروا لقريش وقيل لليهود (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ماقدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم فى غيرها من المشكلات فقالت المتأولة إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذى لايعلم علم حقيقته إلا الله وقد قال ابن عباس مامعناه إن الأرض فى قبضته والسموات مطويات كل ذلك بيمينه ، وقال ابن عمر مامعناه: إن الأرض فى قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الأخرى لأن كلتا يديه يمين (ونفخ فى الصور) هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر فى هذه الآية (إلا من شاء الله) قيل يعنى جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء (ثم نفخ فيه أخرى) هى نفخة القيام (قيام ينظرون) قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أى ينتظرون ما يفعل بهم (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ (وجىء بالنبيين) ليشهدوا على قومهم (والشهداء) يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد فى سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين والمراد على هذا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعنى الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق (زمرا) فى الموضعين جمع زمرة وهى الجماعة من الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشد نجم فى السماء إضاءة ثم هم بعد

جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ * وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿

ذلك منازل (خزنتها) جمع خازن حيث وقع (كلمة العذاب) يعني القضاء السابق بعذابهم (وفتحت أبوابها) إنما قال في الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال في النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها والمعنى حتى إذا جاؤها وأبوابها مفتحة فالواو واو الحال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤها فوقع قوله فتحت جواب الشرط فكأنه بغير واو وقال الكوفيون الواو في أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب (وأورثنا الأرض) يعني أرض الجنة والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة (نتبوأ) أي نتنزل من الجنة حيث نشاء ونتخذه مسكنا (حافين من حول العرش) أي محدقين به دائرين حوله (وقضي بينهم) الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول ، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة : لقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(تمّ الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع وأوله : سورة غافر)

## استـــدراك

في بعض النسخ بصفحة ١٨٧ بالسطر الأول «لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ» وصوابه «لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ» فتنبه

## فهرس الجزء الثالث من كتاب التسهيل


| صفحة | | صفحة | | صفحة | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٢ | سورة مريم | ٨٣ | سورة الشعراء | ١٣٢ | سورة الأحزاب |
| ١٠ | » طه | ٩٢ | » النمـــل | ١٤٦ | » سبأ |
| ٢٢ | » الأنبيـاء | ١٠٢ | » القصص | ١٥٤ | » فاطر |
| ٣٤ | » الحج | ١١٣ | » العنكبوت | ١٦٠ | » يس |
| ٤٨ | » المؤمنون | ١٢٠ | » الروم | ١٦٨ | » الصافات |
| ٥٨ | » النور | ١٢٦ | » لقمان | ١٧٨ | » ص |
| ٧٤ | » الفرقان | ١٢٩ | » السجدة | ١٩٠ | » الزمر |